

الشرق الأقصى

تأليف

بين

ترجمة : حسين الحوت

مراجعة : فريد عبد الرحمن

بإشراف إدارة الثقافة العامة

كتاب

وزارة التربية والتعليم بمصر

اهداءات ٢٠٠٢

الدكتور/ احمد فاروق كامل

هيئة المواد النووية

الشرق الأقصى

موجز تاريخي

(٥٩)

باشراف إدارة الثقافة
بوزارة التربية والتعليم

الألف كتاب (٥٩)

الشرق الأقصى

موجز تاريخي

تأليف
تشسترا . بين

ترجمة
حسين الحوت

مراجعة
فريد عبد الرحمن

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

هذه ترجمة لـكتاب :

The Far East

تأليف

Chester A. Bain

الفهرس

مقدمة

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ تشستر آرثر بين ، مستشار قسم الإنتاج والمعونة الفنية بإدارة التعاون الاقتصادى الأمريكى ، وأستاذ التاريخ والدراسات الاجتماعية بجامعات نيويورك وبرد چپورت سابقا ، والخبير بشئون الشرق الأقصى وجنوب آسيا فى البحرية الأمريكية .

ومن مؤلفاته الشهيرة « تاريخ الهند الصينية وحضارتها » — و « جنوب شرق آسيا » — و « تاريخ ڤيتنام منذ بدء الاحتلال الفرنسى » — و « شبه القارة الهندية » — و « كمبوديا » — و « ثورة تايبنج » — و « القبطان برى » .

وقد أراد الأستاذ تشستر بين من تأليف هذا الكتاب أن يقدم للمهتمين بتتبع التطور السياسى والاجتماعى والاقتصادى للشرق الأقصى عرضا عاما لعناصر هذا التطور وأسسه ، واعتمد فى بحثه على مصادر عدة ذيل بها كل فصل من فصول الكتاب .

ولم يفت المؤلف فى هذا الموجز أن يعرض فى كثير من الإيضاح للمشاكل الاقتصادية والتطور الحضارى لبلدان الشرق الأقصى بجانب تاريخها السياسى ، ولهذا جاء كتابه وافيا بالغرض وأكثر نفعا لطالب الثقافة العامة من الكتب المطولة فى هذا الموضوع مثل كتاب « الشرق الأقصى » الذى وضعه الأستاذ كلود بَسْ .

ولما كانت المكتبة العربية الآن فى حاجة ماسة إلى مؤلفات تتناول تاريخ الشرق الأقصى قديمه وحديثه ، وتطور بلاده ومشاكلها خصوصا بعد أن وثق مؤتمر باندونج ومؤتمر التضامن الأفريقى الآسيوى الروابط بين البلاد العربية والشرق الأقصى فإن اختيار هذا الكتاب وترجمته يعتبر اختيارا موفقا من إدارة الثقافة (قسم الترجمة والألف كتاب بوزارة التربية والتعليم) .

ولا يفوتنا أن نحمد للمؤلف الأمريكي أمانته في عرض الحقائق ، وتوضيح دور الكفاح الطويل الذي قامت به شعوب الشرق الأقصى ضد الغرب المستعمر ، وما تلقته تلك الشعوب من دروس مريرة أتاحت لها في العصور الحديثة التخلص من سيطرة الغرب والتحرر من الاستعمار ، بعد أن أيقنت أن النهضة الوطنية السليمة لا تتحقق بممالأة المستعمر ، ولكن بمناهضته .

والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه خير الشعوب الشرقية عامة ، والعرب خاصة حتى تأخذ مكانها اللائق بها بين دول العالم جمعاء .

المراجع — المترجم

فريد عبد الرحمن — حسين الحوت — ٩٥٨/٦/٨

الفصل الأول

تاريخ الصين القديم وحضارتها

المجموعات العنصرية

يتألف سكان الصين من عدة فروع من الجنس شبه المغولى تتخاطب بلغات ولهجات متعددة . وقد اعترفت جمهورية الصين التى قامت رسميا فى عام ١٩١٢ بخمس مجموعات عنصرية كبرى ، واتخذت علمها محتويا على خمسة خطوط يمثل كل منها عنصرا من العناصر الخمسة ، فاللون الأحمر يمثل العنصر الصينى ، والأصفر : عنصر المانشو ، والأزرق : العنصر المغولى ، والأبيض : العنصر التركى ، والأسود : العنصر التبتى . ومن المجموعات العنصرية الأخرى التى يكثر وجودها فى بلاد الصين: الكوريون فى الشمال ، والشان فى الجنوب ، وهؤلاء تربطهم بالصينيين أوثق الوشائج .

اختلاط المجموعات العنصرية :

كان طبيعيا أن يتم التزاوج بين هذه العناصر المتجاورة خصوصا فى الشمال الذى كان عرضة لغزوات القبائل الهمجية المتكررة من قلب آسيا .

مواطن المجموعات العنصرية :

يسود العنصر الصينى المقاطعات الصينية القديمة ، بينما يكثر المغول فى منغوليا الخارجية ، والتبتيون فى التبت ، والأتراك فى إقليم سينكيانج . أما المانشو فقد اندمج أغلبهم فى العناصر الأخرى فيما عدا بعض الجماعات التى بقيت شمال سور الصين الكبير .

الفوارق العنصرية :

يختلف سكان الصين بين شمالها وجنوبها فى طباعهم ومميزاتهم الجسمية ، كما يختلف الأوربيون من سكان اسكندناوه ذوى الأجسام الضخمة ، واللون الأشقر عن سكان حوض البحر الأبيض المتوسط الأصغر جسما والأدكن لونا .

عصر ما قبل الأسرات

إنسان ما قبل التاريخ فى الصين :

يرى بعض المؤرخين أن الشعب الصينى هاجر أولا من أواسط آسيا إلى أعالى وادى النهر الأصفر فى وقت ما بين عام ٣٠٠٠ و ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، ومع ذلك فإن الكشوف الأثرية الحديثة تدعونا إلى الاعتقاد بأنه يحتمل أن يكون الصينيون قد وفدوا على شمال الصين قبل ذلك بعدة آلاف السنين .

إنسان بيكينى :

تدل بقايا حيوان يشبه الإنسان على أن الإنسان استوطن شمال الصين منذ العصر الجليدى الأول ، وقد أثبت ذلك اكتشاف بقايا هياكل عظمية عام ١٩٢٨ لانسان أطلق عليه اسم « إنسان بيكين » .

المدنيات البدائية :

خطا أسلاف الصينيين الحديثين خطوات مطردة نحو المدنية ، وقد شجعتهم على ذلك إلى حد كبير جهودهم الخاصة ، وإذ كانوا بعيدين عن المدنيات التى نشأت فى الهند ومصر ووادى دجلة والفرات ، فقد اضطروا إلى جمع معلومات كثيرة لطريقة استنباط الأقوات من الأرض عن غير طريق الصيد ؛ فزرعوا الحبوب ، واستأنسوا الخنزير والكلب ، وبدأوا يستعملون الخزف الأسود ، واتخذوا الأصداف وسيلة بدائية لاستخدام النقود . وبعد فترة قصيرة اخترعوا الآلات والأوانى ، وأدخلوا عليها

تحسينات ، ثم بدأوا ينشئون نظاما سياسيا خاصا بهم ، ولم يحل عام ٢٢٠٠ ق . م حتى ظهر فى تاريخ الصين عصر الأساطير .

عصر الأساطير (٢٢٠٠ — ١٧٠٠ ق . م .)

يجب أن نعتمد فى معلوماتنا عن هذا العصر على القصص والأساطير الصينية ؛ فالصينيون ينسبون خلق السماء والأرض والمدنية الإنسانية إلى (بان كو) الأعظم ، أول الخلق ، واثنى عشر ملكا سماويا ، وتسعة ملوك من البشر . أما « هوانج تى » أو الإمبراطور الأصفر ؛ فيظن أنه عاش حوالى عام ٢٧٠٠ ق . م ، وأدخل دراسة الفلك وصناعة الحرير . وتؤيد الأساطير القديمة أيضا وجود أسرة (هسيا) التى حكمت من ٢٢٠٠ — ١٧٠٠ ق . م ، ومع ذلك فليس هناك ما يؤكد وجود هذه الأسرة ، إذ لم تكتشف آثار لذلك العهد .

الأسرات القديمة

أسرة شانج ١٧٠٠ — ١١٢٢ ق . م :

تروى الأساطير أن أسرة شانج خلفت أسرة هسيا ، وليست لدينا تواريخ مضبوطة عن أسرة شانج ، ولكن لدينا من الأدلة ما يثبت وجودها . ومن المحتمل أن كثيرا من الحوادث والاستكشافات التى جاء وصفها فى الأساطير الصينية كتقدم الكتابة الصينية ، ونمو صناعة الحرير قد تمت فعلا فى عهد أسرة شانج أو بعده .

اتساع إمبراطورية شانج :

شملت إمبراطورية شانج التى يحتمل أنها تمثل أقصى ما وصل إليه انتشار العنصر الصينى ، الجزء الأكبر من وادى نهرى هوانج وهواى ، كما امتدت شمالا إلى نهر بيى ، وجنوبا إلى نهر يانج تسى ؛ ولهذا فقد شملت أغلب شانتونج الحالية وإقليم هو بيى ، وكانسو ، وهوفان ، وشان ، وشينسى ، وآنهوى .

حضارة أسرة شانج :

ما قاربت أسرة شانج نهايتها حتى بلغ الصينيون مستوى عاليا من المدنية ، فقد استعملوا العجلة ، وشيدوا المبانى الضخمة ، و بدأ الدين يرتبط بعبادة الأسلاف ، وكان أكبر آلهتهم « شانج تى »

سقوط أسرة شانج :

كانت تحيط بأسرة شانج عشائر أقل مدنية من الصينيين ، ولكنها تمت إليهم بنسب ، وكانت أقوى هذه العشائر عشيرة « تشو » التى تقطن فى وادى نهر ويى الأعلى ، وهى التى غزت إمبراطورية شانج .

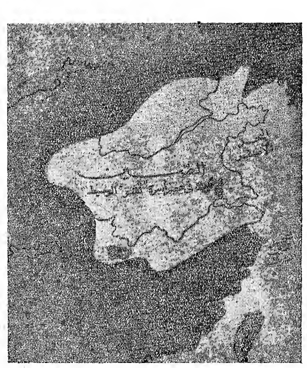
أسرة تشو ١١٢٢ — ٢٥٦ ق . م :

يعتبر عصر أسرة تشو أطول عصر فى تاريخ الصين ، وينقسم إلى أقسام ثلاثة : عصر تشو القديم (١١٢٢ — ٧٧١ ق.م) ، والمتوسط (٧٧١ — ٤٧٤ ق.م) ، والأخير (٤٧٣ — ٢٥٦ ق . م) ، وقد امتد سلطان الصين حتى شمل أكثر وادى النهر الأصفر فى عهد أباطرة العصر القديم ، وبعد أن تم لأباطرة تشو فتح الصين بدأوا يحكمونها من عاصمتهم قرب سيان ، فقسموا أغلبها إلى إقطاعات وزعوها على أقاربهم وأعوانهم العسكريين ، وظل هؤلاء الحكام الإقطاعيون موالين لسادتهم ما دام يجلس على عرش أسرة تشو أباطرة أقوياء ، ولكنهم أخذوا يتحدون السلطة المركزية تدريجيا ، ويشنون الحروب ضد بعضهم بعضا ، وهكذا كان عصر تشو المتوسط عهدا إقطاعيا لم يمارس فيه الإمبراطور سلطته إلا باعتباره الكهنوتى ، فكان فيصلا فى المسائل المتعلقة بالدين ، ولكن الإمبراطورية الصينية واصلت امتدادها نحو الجنوب رغم افتقارها إلى السلطة المركزية ، وظهرت حكومات « وو » و « يوويه » و « تشى » فى وادى اليانج تسى أثناء العصرين المتوسط والأخير لأسرة تشو ، كما اختص عصرها الأخير — إلى حد كبير — بالصراع بين هاتين الحكومتين

فى الجنوب وحكومة تشين فى وادى نهر ويى ، وأدى هذا الصراع إلى ظهور أسرة تشين .

حضارة أسرة تشو :

كان العصران المتوسط والأخير لأسرة تشو فترة تقدم ثقافى رغم ما اكتنفهما من اضطراب سياسى . وكان العصر الأخير منهما عصراً ذهبياً للصين ، ففيه ظهر كبار المعلمين من أمثال كنفوشيوس ، ولاوتزو ، وموتى ، ومنسيوس ، وشوانج تزو ، ويانج تشو ، وانتقلت الصين فى عهد أسرة تشو من العصر البرنزى إلى العصر الحديدى الأول ، وارتقت الفنون والصناعات رقيا عظيما ، وتقدمت الزراعة باستخدام المحراث الذى تجره الثيران ، وتحسنت وسائل الرى ، وتطورت الحياة الاقتصادية باستعمال النقود



المدنية وارتقاء المجتمعات المتحضرة . وفى هذا العهد بدأ تطبيق القواعد الأساسية لنظام الأسرة فى الصين ، فأخذ الحكماء يغرسون فى النفوس الشعائر والآراء التى سادت المجتمع الصينى منذ ذلك الوقت .

لاوتزو ٦٠٤ — ٥٣١ ق . م ، كنفوشيوس ٥٥١ — ٤٧٩ ق . م :

إن الشخصيتين اللتين كان لهما أكبر الأثر فى صوغ الخلق الصينى هما لاوتزو مشىء التاويّة وكنفوشيوس منشىء الكنفوشيه ، فهذان المذهبان يرتبطان ارتباطا وثيقا بحياة الصينيين الاجتماعية والسياسية ، فقد نادى لاوتزو فى مذهبه «تاو تى تشنج» بالمسالمة السلبية المطلقة ، فليس للمرء أن يسعى للتسلط على الآخرين ، وإنما تقتصر سيطرته على شخصه فقط ، ولا يكتسب الفوز فى الحياة عن طريق الكفاح ، بل عن طريق الانسجام الروحى ، ويكون ذلك باتباع الطريقة « تاو » ، وقد أفسدت الأجيال المتعاقبة تعاليم لاوتزو حتى أصبحت التاوية إحدى طرق الشعوذة والكهانة ، والكاهن التاوى فى الوقت الحاضر هو عرّاف القرية .

أما كونج فو — تزو ، أو « كنفوشيوس » فقد نادى بالإيجابية ، ولما كان سياسيا عمليا نشأ فى عصر النضال ، فقد استرشد بتجارب الماضى السعيد فى فن السياسة وأساليب الحياة . كان ينشد النظام فيحث الناس على اتباع طريقة «التناسق» المركزى أو « الطريق الوسط » فى جميع مايصدر عنهم من أفعال ، فالمرء تحكمه قواعد السلوك التى تنظم العلاقات المتبادلة بين (ا) الحاكم والمحكوم ، وبين (ب) الأب والابن ، وبين (حـ) الزوج والزوجة ، وبين (د) الأخ الأكبر وأخيه الأصغر ، وأخيرا بين (هـ) الصديق وصديقه .

وتقوم الطريقة الكنفوشية على الطاعة البنوية أو الولاء العائلى ، فعلى الابن أن يمجد أباه ويطيعه ، كما أن واجب الأب أن يكون قدوة حسنة لابنه ، ويعتقد كنفوشيوس أن الإنسانَ خيّر بطبعه ، ولكن ضبط النفس لازم للتحكم فى العواطف التى تقود إلى الشر .

ولقد أصبحت الكنفوشية هى الديانة الرسمية للدولة فى بلاد الصين ، والمرشد الخلقى للصينيين فى حياتهم اليومية .

أسرة تشن ٢٢١ — ٢٠٧ ق . م — شيه هوانج تى :

انتهت فترة الاضطراب التى سادت العصر الأخير لأسرة تشو بأن غزا الأمير تشن أمير مقاطعة تشن كل الأقاليم المتحاربة واتخذ لنفسه لقب شيه هوانج تى .

التطورات الدولية :

أعاد شيه هوانج تى ووزيره الأول « لى سو » تنظيم الأداة الحكومية ، فأحل البيروقراطية المركزية تحت إشراف الامبراطور محل النظام الإقطاعى ، ولكى يحقق الوحدة السياسية والثقافية والاقتصادية فى بلاد الضين شجع الإصلاحات الداخلية كتوحيد الموازين والمكاييل والآلات وعربات النقل ، وقام بمشروعات الرى وحفر القنوات ، ثم شيد سور الصين الكبير لحماية الحدود الشمالية ، وأخيرا عمل على حماية ملكية الفلاحين للأراضى الزراعية . ولقد غالى شيه هوانج تى فى استئصال شأفة العهد الإقطاعى ، فأمر بإحراق جميع الكتب عدا ما كان منها خاصا بالطب أو الكهانة أو الزراعة .

سقوط أسرة تشن :

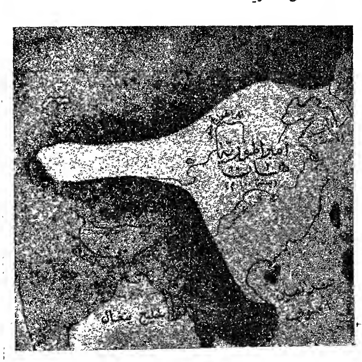
لجأ الإمبراطور الطموح إلى استعمال نظام السخرة على نطاق واسع ، كما اضطر من أجل زيادة الضرائب لإصدار قوانين صارمة . وأدت هذه الاجراءات القاسية وماصحبها من انتشار السخط المرير بين أهل العلم نظرا لحرق الكتب — إلى كراهية الناس لهذا الامبراطور ، ومع ذلك لم تحدث ثورة واحدة إلى أن توفى عام ٢١٠ ق . م . ، وانتهت الحرب الأهلية بارتقاء القائد « ليو بانج » عرش الصين ، وسمى كاو تسو ، وهو المؤسس لإمبراطورية هان .

أسرة هان ٢٠٦ ق . م . — ٢٢٠ م :

يمكن القول بوجه عام إن أسرة هان كانت معاصرة لعهد عظمة روما ، بل إن إمبراطورية هان ضارعت الإمبراطورية الرومانية مساحة وسكانا ، وامتازت عليها بالوحدة السياسية والثقافية التي لم تحصل عليها روما قط . ولقد بلغت أسرة هان مبلغا من الثروة والعظمة جعل الصينيين الحاليين يفخرون بأنهم (أبناء هان)

— انقسام إمبراطورية هان إلى شرقية وغربية :

ينقسم عصر أسرة هان إلى قسمين ؛ فقد كانت هناك فترة قصيرة بين عامى ٩ و٢٣ م حكمت فيها أسرة هسن بلاد الصين ، أما الفترة التي سبقت حكم أسرة هسن والفترة التي تلتها فيطلق عليهما عصر هان الشرقية ، وعصر هان الغربية ، وذلك تبعا لموقع العاصمة في كل من العصرين .



اتساع إمبراطورية هان :

امتدت إمبراطورية الصين العظيمة القوية فى عصر أسرة هان من جنوب منشوريا وكوريا شمالا إلى أنام وتونكين جنوبا ، ومن المحيط الهادى شرقا إلى هضبة البامير غربا .

الحضارة فى عصر أسرة هان :

أحيا العلماء ما ضاع من كنوز العلم بسبب إحراق الإمبراطور شيه هوانج تى الكتب ، وشجع اختراع صناعة الورق على الإنتاج الأدبى ، ونهضت الموسيقى والرسم والحفر ، وأحرز القائمون عليها كثيرا من المهارة الفنية ، وارتقت الزراعة باستخدام الدورة الزراعية فى زراعة البقول ، وصنعت أطقم جيدة لحيوانات الجر ، واتسع نطاق التجارة تبعا لاتساع رقعة الامبراطورية ، وتعلم الصينيون طلاء الخزف وأدخلوا تحسينات على التقويم ، كما اخترعوا آلة لقياس الزلازل (سيسمو جراف) لتسجيل الهزات الأرضية .

اضمحلال امبراطورية هان :

أخذت إمبراطورية هان الشرقية تضمحل ، وبدأ يحكمها خصيان القصر الفاسدو الخلق الذين كانت توكل إليهم دائما مهام رئيسية ، وفى النهاية قضى هؤلاء الخصيان على أسرة هان بأن دبروا ثورة فى القصر ، ومع ذلك فإن تفكك الإمبراطورية كان قد بدأ قبيل إتمام فتوحاتها الخارجية ، إذ أن اتساع بلاد الصين جعل من الصعب حكمها إلا عن طريق حكومة مركزية قوية تحفظ وحدتها وتماسكها . وفى الوقت الذى أهمل فيه الصينيون فى الجهات الداخلية من الامبراطورية فن الحرب بعد أن بلغوا درجة كبيرة من التقدم الحضارى — ظلت قبائل البرابرة التى تقيم على حدود الإمبراطورية محتفظة بشجاعتها وقوتها العسكرية ، ولهذا كان سقوط امبراطورية هان يشبه من بعض الوجوه سقوط الامبراطورية الرومانية ، فقد اقترن الحادثان

بغزوات البرابرة التى دمرت معالم المدنية ، وحلت محل الإمبراطوريات المتسعة السابقة عدة ممالك من البرابرة حاولت كل منها أن تقلد الإمبراطورية التى قامت على أنقاضها ، وكانت النتيجة فى الحالين ظهور عهد جديد أطلق عليه اسم « العصر المظلم » .

العصر المظلم ٢٢٠ — ٥٩٠ م

الممالك الثلاث ٢٢٠ — ٢٦٥ م :

قامت فى الصين ثلاث ممالك فى الفترة التى تلت انهيار إمبراطورية هان مباشرة ، وهى : مملكة وِيى فى الشمال ، ومملكة وُو فى الجنوب الشرقى ، ومملكة شُو فى الجنوب الغربى ، ونشأ صراع بين الممالك الثلاث : فقد حاولت كل منها حكم الصين كلها ، وفى عام ٢٨٠ م استطاعت مملكة ويى أن تؤسس أسرة تْسِن التى ظلت تحكم اسميا حتى سنة ٤٢٠ م . وكان توحيد الصين تحت حكم أسرة تسن قصير الأجل ، ولم تقتصر كوارث الحكومة الجديدة على الصراع الداخلى ، بل تعرضت لغارات الترك والمغول والهون الذين أنشأوا حكومات تسيطر على أجزاء مختلفة من الصين .

عصر الأسرات الست ٣١٧ — ٥٩٠ م :

فى تلك الفترة ظل إقليم وادى اليانجتسى تحت حكم الصين ، ويطلق الصينيون عليه عصر الأسرات الست ، وذلك لأنه قامت فى أثناءه ست حكومات متتابعة تركزت حول نانكنج .

الغزاة من قبائل هسيونج نو :

من أهم الجماعات البربرية التى غزت الصين جماعة هسيونج نو ، والمعتقد أنهم مجموعة من القبائل التى يطلق عليها الأوربيون اسم الهون ، وقد سيطروا على ست حكومات على الأقل فى أثناء العصور المظلمة فى الصين .

التقدم الذى تم فى العصور المظلمة :

على الرغم من إراقة الدماء والفوضى السياسية التى سادت هذه السنين الأربعمائة فقد واصل الصينيون التوسع الإقليمى والتقدم الحضارى ، وأصبحت البوذية ديانة هامة فى الصين ، بينما ضعفت الكنفوشية عندما انهارت الحكومة المركزية التى كانت ترعاها .

أما التاوية التى بدأ تعليمها كأسلوب فلسفى للحياة ، فقد تحولت إلى دين بعد أن اقتبست كثيرا من الطقوس الدينية والتعاليم البوذية ، وبدأ استعمال الشاى واستخدام عربة اليد ذات العجلات ، واختراع الطاحونة المائية والكرسى الهودجى والطيارة الورقية .

ومن المحتمل أن يكون استخدام الفحم كوقود بدأ فى ذلك العهد ، كما اخترعت البوصلة البحرية وأدخل النرد إلى بلاد الصين ، إما عن طريق قبائل البرابرة أو عن طريق الزوار البوذيين الوافدين من الهند ، كما تعلم الصينيون صناعة الزجاج من بارثيا (بلاد الأشغان Parthia) .

العصر الأخير للأسرات

٥٩٠ — ١٦٤٤ م

أسرة سُووى ٥٩٠ — ٦١٨ :

استولى دوق سووى على السلطة بطريقة وحشية ، و بعد أن دان له القسم الأكبر من الصين الأصلية اتخذ لنفسه لقب الامبراطور يانج تشين ٥٨٩ م ، ثم قتله ابنه يانج تى وتولى الملك بعده ، فمد أملاك الدولة حتى شملت الهند الصينية ولكنه فشل فى محاولة غزو كوريا .

سقوط أسرة سووى :

كانت خاتمة أسرة سووى عنيفة كنشأتها ، ولكن محاولة توحيد الصين أثمرت فى عهد خلفائها من حكام أسرة تانج ، ويرجع السبب الأساسى فى سقوط أسرة سووى

إلى كثرة حروبها الخارجية التى أضعفت قبضتها على الصين الأصلية ، كما يرجع إلى تسخيرها لقوى الشعب على نطاق واسع ، فى أعمال البناء وشق القناة الكبرى التى تبدأ عند هان شو بولاية تشكيانج ، وتنتهى عند تينتسن فى ولاية هوبيه .

أسرة تانج ٦١٨ — ٩٠٧ م :

لم تقتصر جهود أباطرة أسرة تانج الأوائل على صد هجمات قبائل الحدود ، ولكنهم مدوا حدود الصين إلى منغوليا وجنوب منشوريا ، وأصبحت كوريا دولة تابعة ، كما اعترفت القبائل التركية التى تقطن حوض نهر تاريم بسيادة الصين عليها .

إعادة تنظيم الحكومة :

لقد عمد حكام أسرة تانج إلى جمع القوانين ، وإعادة تقسيم الصين إلى وحدات إدارية ، كما أحيوا الحكم المركزى البيروقراطى ، وابتدعوا طريقة عقد اختبارات للمتقدمين للخدمة المدنية كى تحصل الدولة على موظفين مثقفين ، ويحتمل أن يكون هذا النظام قديما كأسرة تشو ، كما أن أباطرة أسرة هان كانوا يعقدون المسابقات بين حين وآخر لاختيار الموظفين الأكفاء ، ولكن طريقة عقد هذه الاختبارات لم تطبق فى نطاقها الواسع لإعداد موظفين لجميع أنواع الوظائف إلا فى عهد أسرة تانج .

الرقى المادى :

زاد الرخاء زيادة كبيرة فى العهد الأول لأسرة تانج ، كما أعادت هذه الأسرة توزيع كثير من الأراضى التى أهملت زراعتها فى العصور المظلمة ، وأدخلت تحسينات على الأشغال العامة ، وشجعت التجارة . وقد جذبت ثروة الامبراطورية التجار برا وبحرا من أقاصى آسيا . أما تشانج آن عاصمة الإمبراطورية فيرجح أنها كانت أضخم وأجمل مدينة فى العالم ، وأن سكانها بلغوا مليونين من الأنفس .

الاختراعات :

فى هذه الفترة أنتج الصينيون أول نوع من البارود ، واستخدموه فترة طويلة فى الألعاب النارية فقط . أما استخدام المكبس فى الطباعة فيظهر أنه بدأ حوالى عام ٦٠٠ م حين نشأت الحاجة للحصول على نسخ من المؤلفات الدينية البوذية والتاوية . ويرجع تاريخ أول كتاب مطبوع إلى سنة ٨٦٨ م .

التطورات الدينية :

نتج عن كثرة تدفق التجار الأجانب على البلاد أن دخلت ديانات جديدة إلى بلاد الصين ، فانتشرت فيها النسطورية ، والمذاهب المسيحية الأخرى ، وكذلك الإسلام ، والمنوية ، والزرادشتية خصوصا فى المراكز التجارية ، ولكن البوذية كانت أوسع هذه الديانات الوافدة نفوذا حتى بلغ من قوتها أن أباطرة تانج قرروا نهائيا إخضاع جميع الديانات لإشراف الدولة أو إلغائها جميعا ، وشجعوا إحياء الكنفوشية التى كانت الدين الرسمى للدولة إمعانا فى محاربة الديانات الأجنبية الدخيلة .

حضارة الصين فى عصر تانج :

ظهرت فى تانج مجموعة مختارة من رجال العلم والفن ، أمثال لى پو ، ووانج ويى ، وتوفو ، وهؤلاء يعتبرون من أعظم شعراء الصين و بفضلهم و بفضل الأدباء والشعراء المعاصرين أطلق على عصر الامبراطور منج هوانج (٧١٢ — ٧٥٦ م) العصر الذهبى للشعر . وقد ألفت فى هذا العصر دائرتان واسعتان للمعارف ، وعدة مؤلفات تاريخية قيمة ، وكثير من الكتب العلمية الممتازة . أما فنون الرسم والنحت فقد عنيت بها التاوية والبوذية عناية خاصة ، ولم يمنع هذا النهوض من توجيه أكثر العناية للموضوعات المتعلقة بالدين ، كما ارتقت صناعة الخزف الصينى « القيشانى » إلى مستوى الفنون الجميلة .

اضمحلال أسرة تانج :

أدى ضعف الحكومة المركزية التدريجى إلى تعدى البرابرة على حدود الصين ، وإلى الحروب الأهلية ، وهذا هو ما حدث فعلا للأسرات السابقة ، وتم انهيار أسرة تانج فى أوائل القرن العاشر بعد أن ظلت الصين تعانى آثار التفكك طوال نصف قرن .

عهد الأسرات الخمس ٩٠٧ — ٩٦٠ م :

يطلق على العصر التالى لأسرة تانج عصر الأسرات الخمس والحكومات العشر المستقلة ، وكان عصر اضمحلال ساد فيه حكم الأسر القوية النفوذ على ما بقى من أسرة تانج ، وفى أثناء ذلك العهد أقام المغامرون والغزاة المغول عدة حكومات منفصلة ، وكان أشهر هؤلاء الغزاة مغول خيتا الذين غزوا منغوليا ومنشوريا .

عادة ربط الأقدام :

من أمثلة الاضمحلال الذى ساد ذلك العصر انتشار عادة ربط أقدام الراقصات حتى تصبح صغيرة جدا ، ناصعة البياض ، وعمت هذه العادة جميع طبقات المجتمع ، وأصبحت من الرسوخ بحيث لم يتم التخلص منها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

أسرة سونج ٩٦٠ — ١٢٧٩ م :

كان تشاو كوانج ين قائدا قويا ، فقضى على الفوضى ، وأنشأ أسرة حاكمة جديدة هى أسرة سونج . وفى أثناء حكم هذه الأسرة قويت شوكة الشعوب غير الصينية التى تقطن شمال سور الصين الكبير حتى أن أسرة سونج اضطرت لدفع الجزية إلى زعماء البرابرة كى تحافظ على السلام .

وكانت حكومتا هسى هسيا و لياو على حدود الصين مصدر تهديد دائم لها ، وأخيرا سقطت أسرة سونج فى يد أقوى زعماء القبائل الرحل وهو « قبلاى خان » زعيم جحافل المغول .

التقدم المادى :

لم يمنع ضعف الصين السياسى فى عهد أسرة سونج من التقدم الحضارى ، فقد طرأ على الطباعة تحسن كبير باستعمال الحروف المتحركة ، وبلغت صناعة الآنية الخزفية درجة رفيعة من الفن ، وعرف الصينيون استعمال الكرسى ، كما شاع استعمال القطن واستخدام البارود لأول مرة فى العمليات الحربية .

الآداب والفنون :

أنتج عصر أسرة سونج عددا من مشاهير الفلاسفة الذين أسسوا مذاهب فكرية جديدة . ومن أشهر هؤلاء « تشوهسى » مؤسس الكنفوشية الصوفية الحديثة التى مزجت عناصر التاوية والبوذية بالتعاليم الكنفوشية ، كذلك تفوق الكتاب فى عصر أسرة سونج فى العلم والرياضيات والتاريخ .

وانج آن شيه واشتراكية الدولة :

كان الإمبراطور « وانج آن شيه » الذى حكم من سنة ١٠٢١ — ١٠٨٦ م أول حاكم أدخل مذهب اشتراكية الدولة وطبقه تطبيقا شاملا فى الصين . وفى أثناء حكم هذا الإمبراطور بدأت الصين تطبق نظريات قريبة من الآراء الحديثة فى الحكم ، كفكرة ميزانية الدولة ، وعمل الصوامع النموذجية لخزن الغلال ، ومنح قروض حكومية على الحاصلات الزراعية ، وتوزيع الأراضى بالتساوى ، وجعل الضريبة تصاعدية . وفوق ذلك ألغى هذا الامبراطور التقدمى أشغال السخرة وأدخل تحسينات على اختبارات المسابقة للالتحاق بالوظائف المدنية ، وطبق نظام التجنيد الإجبارى على جيشه بعد إعادة تنظيمه ، وكان لهذه التجارب الاشتراكية أثر كبير على بعض ساسة الغرب حتى ليقال إنها أوحت إلى ساسة أمريكا ببعض نواحى البرنامج الزراعى فى (حركة النظام الجديد * *New Deal*)

(*) هو مشروع للاصلاح الاجتماعى الشامل فى عهد ديلانو روزفلت أحد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية السابقين، والغرض منه الحد من نفوذ الاحتكاريين الأمريكيين .

أسرة يو وان ١٢٧٩ — ١٣٦٨ م :

إن جحافل المغول التى قضت على الخلافة الإسلامية فى الشرق الأدنى ، واجتاحت روسيا فى أوربا ، هى نفسها التى أسست أسرة يو وان فى الصين ؛ فقد أقام القائد المغولى جنكيز خان إمبراطورية عظيمة فى وسط آسيا ، ولما حضرته الوفاة عام ١٢٢٧ م ، كان يستعد لغزو الصين . وقد انتخب أحد أحفاده وهو قبلاى خان لمنصب الخان الأعظم عام ١٢٦٠ م . فى نفس السنة التى أصبحت فيها بيكين عاصمة ثانوية لإمبراطورية المغول ، ولم تتم هزيمة آخر جيوش أسرة سونج نهائيا فى جنوب الصين إلا فى سنة ١٢٧٩ م .

الفتوح الخارجية :

قام قبلاى خان فى عامى ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ م بمحاولات فاشلة لغزو اليابان ، ولكنه نجح فى غزو بورما سنة ١٢٧٧ ، أما محاولة ضم أنام إلى إمبراطورية المغول فقد باءت بالفشل ، ولكنهم ضموا إليهم التبت بالطرق الدبلوماسية ، وقد يكون سبب ذلك اعتناقهم للديانة اللامية (وهى مشتقة من البوذية ومنتشرة فى التبت ومنغوليا) .

الصين تحت حكم أسرة يو وان :

فضل أباطرة المغول حكم الصين عن طريق البيروقراطية الصينية ، كما استخدموا الصينيين فى إدارة كثير من الأقاليم غير الصينية التى تضمها إمبراطوريتهم الفسيحة الأرجاء ، وأسس أباطرة المغول الأوائل مدارس فى شمال الصين لإعداد ما يلزمهم من الموظفين الأكفاء ، ثم قاموا بعد ذلك بتحسين وتنظيم وسائل المواصلات ، وأحيوا بعض إصلاحات الإمبراطور وانج آن شيه الاشتراكية ، فأعادوا إنشاء صوامع الحبوب التابعة للدولة ، كما عنيت حكومتهم برعاية الأيتام والمرضى والمسنين .

المستحدثات الثقافية والتقدم الحضارى :

هرعت إلى الصين جموع حاشدة من طلاب الوظائف والتجار والمبشرين من جميع أنحاء امبراطورية المغول ، ونقلوا إليها آراءهم الجديدة ومهارتهم الفنية وأطعمتهم وأدويتهم، بل نقلوا آلاتهم الموسيقية .وزادت معلومات الصين الرياضية ثروة باستخدام لوحات العد الحسابية ، وإدخال نظام حساب المثلثات الكروى ، كما عرف الصينيون أنواعا جديدة من الفنون والعمارة وصبغوها بصبغتهم ، ويتبين لنا مدى تقدم الصينيين فى الفنون المسرحية إذا عرفنا أن ١١٦ مسرحية من مسرحيات عصر يو وان لا تزال باقية إلى اليوم .

سقوط إمبراطورية المغول :

قام أباطرة المغول بمحاولات عدة لنشر المسيحية عن طريق جلب المبشرين ، ولما لم يفلحوا فى محاولاتهم اعتنقوا الديانة اللامية ، وهى الصيغة التبتية للبوذية ، فخول قبلاى خان وخلفاؤه لامات التبت سلطة عظيمة فى الصين أدت إلى ازدياد الجفاء بين الصينيين وحكامهم الأجانب ، وأخيرا فى سنة ١٣٦٧ م . رفع تشو يو وان تشانج الصينى لواء الثورة وطرد آخر أباطرة المغول ، وفى نفس العام اتخذ لنفسه لقب هونج وو أول إمبراطور فى أسرة منج .

أسرة منج ١٣٦٥ — ١٦٤٤ م :

أصبحت الصين مرة أخرى دولة عظيمة تستمد عظمتها من جهود أبنائها تحت حكم أسرة منج وصارت مدينة نانكنج الواقعة فى وسط الصين هى العاصمة المختارة لحكام هذه الأسرة .

رد فعل صينى ضد السيطرة الأجنبية :

حاول الإمبراطور وونج هو وخلفاؤه القضاء على كثير من المظاهر الأجنبية التى استحدثت فى الصين تحت حكم أسرة يو وان عن طريق التشريع ، فنزع السلطة

من يد اللامات وتبع ذلك اضمحلال نفوذ الديانات الأخرى بما فيها المسيحية ، وحرم استعمال الزى الأجنبى وأحيا الأزياء الصينية القديمة .

التوسع تحت حكم الأباطرة الأوائل لأسرة منج :

بعد هزيمة المغول دفع حكام أسرة منج حدود بلادهم حتى شملت يونان وسيشوان فى الجنوب الغربى ، ومنشوريا إلى حوض نهر آمور على طول الساحل ، أما كوريا ومنغوليا و بورما فأصبحت دولا تابعة ، وأرسلوا حملات بحرية إلى جنوب شرق آسيا وجزر الهند الشرقية والهند وسيلان و بلاد العرب بل إلى إفريقية ، وهكذ أصبحت إمبراطورية منج معروفة فى منطقة واسعة من العالم ، وخاصة بعد أن أنشأت طرقا للتجارة .

إغلاق أبواب الصين :

فى الوقت الذى وصل فيه حكام منج إلى قمة المجد وأصبحت الصين تتسلم الجزية من بلاد نائية كجاوه وسيلان ، أقفلت أبوابها فجأة ، فمنعت السفن الصينية من مغادرة مياهها الساحلية ، فاضمحل الأسطول الصينى العظيم وصارت سواحل الصين فريسة للمغيرين من اليابانيين والأوربيين الذين بدأوا استكشافاتهم فى قارة آسيا .

حكومة أسرة منج :

لما كان هدف أباطرة منج الأوائل استئصال النفوذ الأجنبى ، فقد أحيوا نظام الحكم الذى كان سائدا فى عهد الأسرات الحاكمة القديمة بالصين ، فأعاد الإمبراطور هونج وو تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر إقليما ، وأنشأ ست وزارات للحكومة المركزية ، وعادت اختبارات المسابقة للوظائف المدنية مرة أخرى أساسا للالتحاق بوظائف الحكومة وإعاد النظر فى القوانين الصينية ، وعمل هونج وو وخلفاؤه على تحسين الزراعة ، وتعمير الأراضى البور وحفر الترع ، فأنشأوا الطرق وأعادوا تشييدا المبانى العامة .

الحضارة الصينية فى عهد أسرة منج :

كان نظام المسابقات للوظائف الحكومية الذى وضعه الإمبراطور هونج وو مشجعا للتعليم ، ولكن قصر نطاق المعرفة والدراسة على الآداب الصينية القديمة ضيق نطاقها إلى حد كبير . وترتب على ذلك أن اتجه الإنتاج الأدبى والفنى برغم اتساعهما فى عهد أسرة منج اتجاها قريبا إلى تقليد الآداب القديمة نصا وموضوعا . ورغم ما عرف عن هونج وو من أنه كان راهبا بوذيا فقد ناصر الكنفوشية باعتبارها الدين الرسمى للدولة ، أما التاوية التى كان أباطرة يوان قد حرموا من اعتناقها فقد استعادت قوتها تحت حكم أسرة منج .

النفوذ الأوربى :

أثناء حكم أسرة منج بدأت جماعات كثيرة من « البرابرة ذوى الشعر الأحمر » الوافدين من أوربا يعتدون على شواطىء الصين ، واتخذ عدوانهم مظهرين مختلفين : أحدهما نشاط التجار ، والآخر نشاط القسس ؛ فقد تركزت جهود التجار إلى حد كبير فى منطقة السواحل الجنوبية ، وأصبحت مدينة كانتون مركزا للتبادل المنظم بين السلع الصينية من الحرير والخزف ومواد الترف وما يقابلها من السلع الأوربية المتنوعة بما فيها الفضة . أما التوغل الدينى فلم يتم عن طريق الساحل فقط ، بل بدأ أيضا فى داخل الصين ، فقد قام بعض المسيحيين بنشاط كبير فى عهد أسرة يووان ، فى حين قضى على المسيحية قضاء يكاد يكون تاما فى الصدر الأول من عهد أسرة منج ، أما فى العصور التالية لهذه الأسرة فقد بدأت الكنيسة الكاثوليكية ترسل بعوثها الدينية إلى الصين مرة أخرى .

اليسوعيون فى الصين :

كان اليسوعيون أول من بشر بالمسيحية فى الصين ، وإن كان أتباع المذاهب المسيحية الأخرى قد وفدوا عليها بعد ذلك . وقد مات اليسوعى الإسبانى الشهير فرانسيس زافييه عام ١٥٥٢ م على سواحل الصين بعد أن أدى رسالته بنجاح فى الهند

واليابان ، أما ماتيو ريتشى الإيطالى فقد كان أكثر توفيقا فى الصين ، وساعده على ذلك تمكنه من علم الفلك والرياضيات ، فاستطاع أن يصبح شخصية هامة فى بلاط أسرة منج ، وخلفت ريتشى طائفة من اليسوعيين الأكفاء ، فأصلحوا التقويم الصينى ، وصححوا الخرائط ، وعلموا الصينيين صناعة المدافع كى يستعينوا بها فى حربهم ضد المانشو . وقد نجح اليسوعيون فيما فشل فيه غيرهم ، لأنهم أظهروا كثيرا من التسامح نحو عبادة الأسلاف والتقاليد الكنفوشية التى كانت تسود الصين حينذاك .

اضمحلال أسرة منج :

أخذت قوى أسرة منج تنهار انهيار سريعا بعد عام ١٤٥٦ م ، فقد كثر قيام القراصنة اليابانيين بالغارات المدمرة حتى اضطر الأباطرة إلى إصدار أوامرهم لسكان المناطق الساحلية بالانسحاب ثلاثين ميلا إلى الداخل ، وأحرقت مدينة منج بو كما هوجمت مدينة نانكنج نفسها عام ١٥٥٥ . أما الدول التابعة مثل أنام والتبت ومنغوليا فقد أعلنت استقلالها . وفى أواخر القرن السادس عشر تخلصت منشوريا الشمالية من سيطرة الصين ، ومع ذلك استطاعت جيوش حكومة منج فى عامى ١٥٩٢ ، ١٥٩٧ أن تطرد جيوشا يابانية تعدادها مائتا ألف رجل كان قد أرسلها الدكتاتور العسكرى اليابانى هايديوشى إلى كوريا لغزو الصين .

المانشو أو أسرة تشنج ١٦٤٤ — ١٩١١ م . :

بدأت قبائل من التتار يطلق عليها عادة اسم المانشو تتخذ لنفسها وضعا سياسيا هاما منذ عام ١٥٩٩ عندما نجح زعيمها نور هاشو فى منع الجزية عن امبراطورية منج ، وبعد ذلك بسبع عشرة سنة أعلن نور هاشو نفسه إمبراطورا لأسرة تشنج وأسس له عاصمة فى مكدن ، وقد واصل ابنه الإمبراطور تاى تسونج توسيع رقعة الدولة ، فغزا كوريا سنة ١٦٢٧ ، أما حكام أسرة منج فقد زادتهم المجاعات والثورات والفرار من الجندية وهنا على وهن حتى فقدوا أقاليمهم واحدا تلو الآخر ، وسقطت بكين سنة ١٦٤٤ وإن كان آخر قواد منج لم يسلم بالهزيمة إلا بعد إخضاع فرموزا سنة ١٦٨٣م

الفصل الثانى

تاريخ اليابان القديم

التراث العنصرى والحضارى

أصل الشعب اليابانى :

يغلب على الظن أن الشعب اليابانى مزيج عنصرى من الملايو والكوريين والصينيين والمغول يضاف إلى عنصر الأينو ، وهم سكان اليابان الأصليون ، ولا يتجلى هذا المزيج العنصرى فى مظاهر الخلقة فقط ، بل يتعداها إلى الحضارة واللغة اليابانية .

تأثير الحضارة الصينية :

إذا كان الصينيون يعتزون اعتزازا قويا بحضارتهم فإن اليابانيين على أتم استعداد للتخلى عن حضارتهم ، لاتخاذ حضارة أجنبية إذا اقتنعوا بقيمتها وتقدمها .

ولقد كانت الصين هى المعلم الأول لليابان فى الفنون والآداب ، وفن الحكم والدين والفلسفة طوال الشطر الأكبر من التاريخ اليابانى .

عصر العشائر

نشأة حكم العشائر :

حوالى عام ١٠٠ ق . م قام شعب محارب يرجح أن أصله من الملايو بطرد السكان الأصليين (الأينو) من جزيرة كيوشو وجنوب جزيرة هنشو نحو الشمال ، وكان هذا الشعب اليابانى القديم مقسما إلى عدة عشائر مستقلة ، لكل منها رئيس يزعم أنه من نسل الآلهة ، حتى لقد زعم أحدهم وهو رئيس عشيرة « ياماتو » القوية إذ ذاك أنه ينحدر من إلهة الشمس التى كانت لها السيادة على جميع آلهة اليابان .

جيمو تنُّو أول إمبراطور يابانى :

استطاعت عشيرة « ياماتو » أن تخضع بقية العشائر لسلطانها السماوى المزعوم ولأسلحتها القوية . وتقول أولى المؤلفات التاريخية اليابانية وهى « كوجيكى ونيهونجى » — فى سنتى ٧١٢ م ، ٧٢٠ م على التوالى — إن جيموتنو كان أول زعيم بين العشائر أمكنه فرض سلطانه على بقية العشائر حتى أصبح يلقب بالإمبراطور جيموتنو ، وحدث هذا عام ٦٦٠ م طبقا لما رواه الكتاب الآنف الذكر ، وإن كان بعض المؤرخين المحدثين يرون أنه حدث حوالى سنة ٤٠ ق . م .

نهوض عشيرة سوجا :

لم تكف العشائر الأخرى عن تحدى سلطان عشيرة « ياماتو » الإمبرطورية ، ففى أوائل القرن السادس الميلادى نجحت عشيرة « سوجا » فى التغلب على جميع العشائر الأخرى عدا ياماتو ، واستطاع زعيمها بفضل مالديه من قوة أن ينصب نفسه « أو أومى » وهو المنصب الوراثى « للزعيم الامبراطورى العظيم » الذى يحكم البلاد حكما واقعيا ، بينما يظل الإمبراطور نفسه حاكما إسميا فقط ، وهكذا نشأ طراز من الحكم الثنائى الذى تكرر ظهوره عدة مرات فى تاريخ اليابان .

التوسع فى كوريا :

فى أثناء القرنين الخامس والسادس الميلادى امتد سلطان اليابان حتى شمل أجزاء من كوريا ، برغم نشوب حروب داخلية بين العشائر اليابانية ، وقد بعث إمبراطور اليابان برسالة إلى إمبراطور الصين عام ٤٨٧ م . يباهى فيها بأنه يحكم عدة ممالك فى كوريا ، ورغم ذلك لم تحل نهاية القرن السادس حتى كان اليابانيون قد أضاعوا كل أملاكهم فى قارة آسيا .

حضارة عصر العشائر :

كانت حضارة اليابان بدائية حين نشأ عصر العشائر ، فلم تـكن لليابانيين لغة مدونة . أما الفنون والصناعات فلم تـكن أعلى من مستوى مثيلاتها فى أواخر العصر الحجرى الجديد .



الجزر اليابانية

وقد أخذت كوريا عن الصين الـكتابة والدين والعلم فى القرن الرابع ، وفى القرنين الخامس والسادس أرسلت علماءها إلى اليابان . ولما كانت الطبقة الأرستوقراطية فى اليابان تعتبر الـكتابة عملا يدويا ، فقد قام بتدوين السجلات اليابانية الأولى الصينيون والـكوريون ، وظل الحال كذلك إلى أن وجه الأمير « شوتوكو » وغيره من قادة اليابان أتباعهم إلى تعلم القراءة والـكتابة .

عصر الإصلاح

وصاية شوتوكو تايشى :

لقد اغتال أحد زعماء عشيرة سوجا الإمبراطور ، فانتقل الحكم إلى الأمير « شوتوكو تايشى » الذى صار وصيا على العرش . ولما كان هذا الأمير من بين اليابانيين القلائل الذين نالوا حظا من العلم فى ذلك الوقت فقد أدخل إلى بلاده النظريات السياسية الصينية والديانة البوذية . وفى عام ٦٠٤ م أصدر قانونا يتضمن مجموعة من القواعد الخلقية التى سميت خطأ « الدستور اليابانى الأول » واستوحى هذا القانون النظرية الصينية فى الحكم ، وهى التى تركز السلطة العليا فى شخص الإمبراطور ، وسعى «شوتوكو» إلى توحيد الشعب اليابانى بتحويل ولائه من العشيرة إلى الإمبراطور ، وكان هدفه من تأييده للبوذية مساهمتها فى تحقيق هذا الغرض .

تايكوا « الإصلاح الأعظم » :

عاد نفوذ عشيرة سوجا يظهر مرة أخرى بعد انتهاء وصاية شوتوكو ، وظل الحال كذلك حتى ظهر مثقف يابانى آخر هو « كاماتارى » مؤسس عشيرة « فوجيوارا » تغلب على عشيرة سوجا عام ٦٤٥ م ، وعمل على مواصلة إدخال الأساليب الصينية فى بلاده . وفى سنة ٦٤٥ ، بعد أن وطد حكمه فى اليابان أصدر مجموعة من قوانين الإصلاح تعرف فى مجموعها بالتايكوا أو الإصلاح الأعظم ، وهى فى جوهرها لا تعدو محاولة نقل النظم السياسية والاقتصادية التى كانت تطبقها فى الصين أسرة منج المعاصرة له .

إعادة توزيع الأراضى :

طبقا للنظرية القائلة بأن الأرض ملك للإمبراطور استعادت قوانين الإصلاح جميع الأراضى لكى يقوم الإمبراطور بتوزيعها من جديد ، وعوض النبلاء الذين عادت أملاكهم للدولة ، ووضعت تحت سلطة الإمبراطور ثم عينهم فى مناصب

الإمبراطورية ، وأجريت لهم مرتبات متكافئة ، ثم قسمت الأرض من جديد إلى وحدات إدارية يحكمها موظفون يعينهم الإمبراطور ، والحقيقة أن هذا الإصلاح لم يغير وضع الطبقة الحاكمة ؛ فقد عين الإمبراطور كبار النبلاء الذين جردوا من أراضيهم مديرين لأملاكهم السابقة ، ولكن الجدير بالذكر أن التغيير الإصلاحى الذى طرأ على ملكية الأرض كان له أثر عظيم على الطبقات الدنيا ، فحررها من رق أصحاب الأرض ، ووزع عليها الأرض بمساحات متساوية ، فتحسنت أحوال الكثيرين بينما ساءت أحوال غيرهم ممن فقدوا مزارعهم السابقة .

تايهو :

بين عامى ٧٠١ و ٧٠٤ م صدرت مجموعة أخرى من قوانين الإصلاح تعرف باسم « تايهو » أو « الكنز الأعظم » تضمنت تنظيم اليابان السياسى وإنشاء عدة وزارات على غرار مالدى الصين .

كانت الهيئة السياسية العليا هى مجلس الدولة الذى يرأسه رئيس القضاة ، وتليه وزارات : المكتب المركزى ، والمراسم ، والشئون الدينية ، وشئون الشعب ، والدفاع ، والعدل ، والخزانة العامة ، والقصر الإمبراطورى .

فشل التايهو :

كان من سوء حظ اليابان محاولة إدخال بيروقراطية محكمة التنظيم فيها ، وهى بلاد يسودها الإقطاع ، فإن هذه المحاولة تجاهلت أن اليابان تنقصها الطبقة المتعلمة التى تحسن توجيه هذا النظام ، فالأرستوقراطية اليابانية كانت أرستوقراطية نشأة لا ثقافة . وقد طالب أرستوقراطيو اليابان بمناصب الدولة الكبرى وحصلوا عليها ، فى حين كانت تنقصهم الثقافة اللازمة لإدارة هذه الوظائف بجدارة ، ولهذا لم تتعد جهود الحكومة فى نشر التعليم حدود العاصمة وضواحيها .

إصلاح الثقافة اليابانية :

امتاز عصر الإصلاح باستخدام الأساليب الصينية فى الأدب والفن على أوسع نطاق ، فأدخل المصلحون ثقافة أسرتى سو وى وتانج ونظمهما السياسية والاقتصادية ، وتم تبادل رجال العلم والفن بين الصين وكوريا واليابان . ورغم أن اليابانيين تعلموا حروف الهجاء الصينية فإنهم كانوا ينطقونها كما ينطقون حروفهم اليابانية وأقبلوا بلهفة على دراسة الأدب الصينى ثم أنتجوا أدبا قويا خاصا بهم ، وكذلك فعلوا فى الرسم والعمارة والنحت ، فنقلوا أصولها من القارة وتناولتها العبقرية اليابانية، فصبتها فى قالب جديد . وفوق ذلك كان هناك تقدم عام فى الصناعات ، خصوصا المعدنية والخزفية .

عصر نارا ٧١٠ — ٧٨٤ م :

لم تكن لليابان عاصمة ثابتة قبل عصر الإصلاح الكبير ، وفى سنة ٧١٠ م أسست أول عاصمة ثابتة فى « نارا » ليتهيأ للحكومة عنصر الاستقرار ، وظلت نارا عاصمة للدولة حتى نقلت إلى « ناجا أوكا » عام ٧٨٤ م . ثم إلى كيوتو بعد ذلك بعشر سنوات . وكان لمدينة نارا من عظيم الأثر فى نشر المدنية الصينية باليابان ما جعل اسمها يطلق على عصر من أزهى عصور اليابان فى الإنتاج الثقافى .

تأثير الحضارة الصينية على اليابان :

لم تأخذ اليابان عن الصين نظمها الاقتصادية فحسب ، بل تلقت عنها الآداب والفنون ، وسحرت هذه الحضارة الصينية ألباب رجال البلاط فى نارا ، أما خارج نطاق البلاط فلم يكن لها أثر غير انتشار البوذية ، وهكذا امتاز نبلاء الحاشية « كوجى » على غيرهم من نبلاء الأقاليم ، وتم فى عصر نارا تدوين تاريخ اليابان فى مجموعتين « كوجيكى » و « نيهونجى » وازدهرت النواحى الأدبية الأخرى خصوصا الشعر ، وكذلك ظفرت الفنون الجميلة برعاية تامة ، أما البوذية فكسبت تشييد المعابد والأديرة الجميلة .

عصر هيي ٧٨٤ — ١١٨٥ م

نهضة الفوجيوارا :

كانت مظاهر الترف التى سادت البلاط الإمبراطورى فى أثناء القرن الثامن عبئا ثقيلا على البلاد ، فقد انصرف نبلاء البلاط عن أداء واجباتهم ، كما ازداد نبلاء الأقاليم « بوكى » ثراء وجاها على حساب صغار الزراع . و بمضى الوقت بدأت عشائر الأقاليم تصطرع من أجل السلطة . وفى عام ٨٥٨ م عقد لواء السيادة لعشيرة فوجيوارا ، لكن لم تفقد الأسرة الإمبراطورية عرشها ، واكتفى زعماء الفوجيوارا بأن يتولوا الحكم ويحملوا لقب وصى أو دكتاتور ، وسمح للإمبراطور بأن يظل فى الحكم بسلطات محدودة .

الأباطرة الغلمان :

جرت العادة فى عهد الفوجيوارا بأن يوضع على عرش الإمبراطورية غلام من أسرة الإمبراطور ، يلزم بقبول فتاة من الفوجيوارا عروسا له ، فإذا بلغ هذا الإمبراطور الغلام أشده عزل وخلفه أحد أبنائه الصغار أو أحد أقاربه الأقربين ، وهذا بدوره لابد أن يقبل عروسا له من الفوجيوارا .

تنحية الفوجيوارا عن السلطة :

لما كان الأوصياء من عشيرة فوجيوارا قد قصروا وظائف الدولة الهامة على أبناء عشيرتهم ، فقد عم السخط الشديد جميع العشائر الأخرى ، وفى الوقت الذى انغمس فيه الفوجيوارا فى الترف الذى أحاط بالبلاط الإمبراطورى ، زادت عشائر الأقاليم قوة على قوتها ، وأخيرا بدأ الميناموتو والتايرا ، وهما فرعان من عشيرة الإمبراطور يتحديان سلطة الفوجيوارا ، فأخذت الحكومة المركزية تفقد نفوذها تدريجيا ، وكاد حكام الإقطاع يستقلون استقلالا تاما ، وهنا بدأ الصراع من أجل السيادة بين

الميناموتو والتايرا ، وقد أفلح التايرا فى تسلطهم على الإمبراطور عدة سنوات . وفى عام ١١٨٥ قضى الميناموتو على سلطانهم ، وتولوا شئون الدولة ، واتخذ زعيمهم لقب « سي — إي — تاى — شوجن » أى « القائد الأعظم قاهر البرابرة » وبهذه الطريقة أسست أول دكتاتورية عسكرية فى اليابان .

التقدم الحضارى فى عصر هيي :

بلغت الحياة فى القصر الإمبراطورى فى أثناء القرنين التاسع والعاشر نهاية الترف والعبث ، فافتن الشعب فى أوجه التبذير ، وكانت مباريات قرض الشعر من أهم أنواع اللهو ، ولم تقتصر المباريات على إنتاج مجموعة ضخمة من الشعر البديع ، بل كان إلى جانبه الكثير من النثر الممتاز الذى اشتهر من بينه جنجي مونوجاتورى أو قصة جنجي ، ووجهت الحاشية الإمبراطورية الماجنة عنايتها لفنون الموسيقى والرقص والتصوير ، وفلاحة البساتين والتمتع بالعطور ، أما البلاد فقد ظلت فى مجموعها بعيدة عن التأثر بحياة البلاط الماجنة .

عصر سادة الإقطاع

الدكتاتورية العسكرية « الشوجنة » فى كاما كورا ١١٨٥ — ١٣٣٣ م .

أطلق على الحكومة الجديدة « شوجنة كاما كورا » ، لأن الدكتاتور العسكرى « الشوجن » اتخذ كاما كورا عاصمة له ، على رغم أن عاصمة الإمبراطورية بقيت كما هى فى كيوتو ، وظل الإمبراطور يختار من بين الأسرة الإمبراطورية ، ولكنه إذ حاول أن يجمع بين الملك والحكم عزل فى الحال وحل محله أحد أقاربه ممن هم أقل طموحا منه .

الحكم غير المباشر :

أصبح منصب « الشوجن » وراثيا فى زعماء عشيرة مينا موتو ، ومع ذلك كان بقاء السلطة فى يده رهنا بقوته ومهابته بين أقرانه من القادة العسكريين . وكان

يوريتومو — وهو أول شوجن من عشيرة كاما كورا — حاكما قويا ، ولكن ابنه عجز عن السيطرة على الأمر صاحبة النفوذ ، ونتج عن ذلك أن تحكم زعماء عشيرة هوجو فى منصب الشوجن ، وأصبحوا أوصياء على من يتولاه من ضعاف الحكام الذين ظلوا يسيطرون على الإمبراطور برغم ضعفهم ، وهكذا نجد فى حكومة اليابان دكتاتورا يفرض سلطته على الشوجن الذى يسيطر هو الآخر على الإمبراطور ، ولم يمنع هذا الوضع المعقد من اضطلاع عشيرة هوجو بحكم البلاد حكما رشيداً يفضل كل أنواع الحكم التى سادت فى عدة قرون ، وفضلا عن هذا فقد أفلحوا فى صد غزو بحرى ضخم قام به المغول مرتين خلال القرن الثالث عشر .

عصر أشيكاجا ١٣٣٦ — ١٥٦٨ م

أنهكت مكافحة اليابانيين للمغول قوى عشيرة « هوجو » فقامت ثورة فى عام ١٣٣٦ أطاحت بحكام الكاما كورا من مناصبهم ، وأنهت عهدهم . أما عصر أشيكاجا الذى خلفه فقد أطلق العنان للحكم الإقطاعى ، لأن حكام أشيكاجا كانوا أضعف من أن يسيطروا على اليابان سيطرة فعالة ، وفى أواخر عهدهم بلغوا من الضعف ما بلغه الإمبراطور نفسه .

الحضارة فى عصر أشيكاجا :

لقد اتبع حكام أشيكاجا الأساليب التى وضع أساسها حكام ناراوهيى ، وظل الفن الصينى يضىء الحياة اليابانية ، وكان من أحب وسائل اللهو إلى رجال البلاط قرض الشعر ، وعقد المباريات للمفاضلة بين أنواع البخور والعطور ، فضلا عن الموسيقى والرقص وإنشاء البساتين الخلوية ، وتنسيق الزهور . وفى هذا العصر استحدث تقليد اجتماعى جديد هام هو إقامة حفلات الشاى ، وجعل الأديرة مراكز هامة للثقافة والعلم ، أما خارج دائرة البلاط والأديرة ودور حكام الإقطاع فقد كان الجهل سائداً والفقر عاما .

أودا نوبوناجا ١٥٨٢ — ١٥٩٨ :

انتهت الفوضى التى سادت العهد الأخير من حكم أشيكاجا بثورة عسكرية ثلاثية تحت قيادة أودا نوبوناجا وهو من صغار الإقطاعيين . وفى سنة ١٥٦٨ استطاع نوبوناجا ، وحليفه توكوجا يعاونهما القائد تويوتومى هايديوشى — أن يفرض سلطانه على الحكومة المركزية ، وأن ينشئ حكومة قوية بعد القضاء على سلطات من بقى من حكام الإقطاع وقهر جيوش الرهبان البوذيين ذوى النزعة العسكرية .

هايد يوشى ١٥٨٢ — ١٥٩٨ :

لما اغتيل نوبوناجا كان قد بسط نفوذه على أكثر من نصف اليابان ، وبموته عين الإمبراطور العاجز القائد هايديوشى « كوامبا كو » أى وصيا ، وفى سنة ١٥٨٧ تغلبت قيادة هايديوشى القوية على كل مقاومة .

غزو كوريا :

كان هايديوشى يطمع فى إنشاء إمبراطورية عالمية تضم كوريا والصين والفلبين وربما الهند أيضا ، ولكن غزوه لكوريا عام ١٥٩٢ قوبل بمقاومة برية أعنف مما كان يتوقع ، كما تصدى له فى البحر أسطول كورى قوى يستخدم أول سفن حربية مدرعة عرفها التاريخ ، وقد مات هايديوشى أثناء قتاله وخلف منصبه لابنه .

شوجنة توكوجاوا ١٦٠٠ — ١٨٦٨

تأسيس هذه الشوجنة :

بعد موت هايديوشى بعامين تمرد توكوجاوا ورفع راية العصيان ، فعينه الإمبراطور « شوجن » بعد أن أحرز نصرا مؤزرا على خصومه ، وقد قضى توكوجاوا الخمسة عشر عاما التالية فى إخضاع بقية بلاد اليابان لسلطانه ، ولم يتمتع بالسلام إلا عاما واحدا قبيل وفاته .

ثروة توكوجاوا :

فى حروب توكوجاوا لإخضاع اليابان لسلطانه صادر أملاك حكام الإقطاع المنهزمين ، ووزع بعضها على أعوانه مكافأة لهم ، وظل هو أكبر ملاك الأراضى فى اليابان .

حكومة توكوجاوا :

استطاع الشواجنة الثلاثة الأول من أسرة توكوجاوا بما أوتوا من قوة أن يحكموا اليابان بأنفسهم ، ولكن السلطة الفعلية تركزت بعدهم فى النظام الدكتاتورى القائم حينذاك ، وهو يقضى بوضع السلطة فى أيدى مجموعة من أصحاب المناصب التابعين للشوجن ، لا فى أيدى الشوجن نفسه ، وخير توضيح لهذا النوع من الحكم غير المباشر أن نستعيد فى أذهاننا أن الأسرة كانت هى الوحدة الأساسية للمجتمع اليابانى ، وأن مجلس الأسرة هو الذى يرسم السياسة التى تسير عليها هذه الأسرة رغم أن أكبر أفرادها الذكور قد يكون زعيما إسميا .

تسلسل المناصب :

كان تسلسل مناصب الحكم فى عهد توكوجاوا يتبع النظام الآتى :

١ — الإمبراطور ، وهو من الناحية النظرية الحاكم الزمنى والروحى لليابان ، ولكنه بدأ منذ القرن الثانى عشر يملك ولا يحكم ، وقد احتفظ الإمبراطور ببلاط منعزل فى كيوتو ، وتناسته رعيته كلها عدا الشوجن الذى كان يمارس سلطته ويؤيده هو وأشراف البلاط الإمبراطورى .

٢ — الشوجن : هو صاحب السلطة الفعلية ، مع كون الإمبراطور هو الذى يوليه هذا المنصب من الناحية النظرية ، وكان يتلقى خلعة المنصب من الإمبراطور .

٣ — المجلس المخصوص والساموراى « رجال الحرب » :

كان الشوجن يؤدى مهام منصبه بوساطة المجلس المخصوص الذى يبسط سلطانه

على الطبقة الأرستوقراطية اليابانية كلها ، والواقع أن الشوجن وأعضاء المجلس المخصوص يخضعون لسيطرة فئة من أتباعهم ذوى المناصب ، وهؤلاء هم الساموراى أو رجال الحرب من عشيرة توكوجاوا وكانوا هم الحكام الحقيقيين .

٤ — الدايميو « الحكام الإقطاعيون فى الأقاليم » :

كانت أكبر سلطة فى اليابان بجانب حكومة الشوجن فى يدو « طوكيو » هى سلطة الدايميو ، وهم الأشراف الذين يحكمون الأقاليم الصغرى « الدايميات » ، والديميو أصلا يختارون بواسطة الشواجنة من أسرة توكوجاوا ولكنهم بمرور الزمن غدوا حكاما إقطاعيين وراثيين .

٥ — الساموراى :

كانت الإدارة الفعلية فى الإقطاعات الصغرى « الدايميات » يسيطر عليها أتباع الحاكم الإقطاعى المعروفون بالساموراى ، وكثيرا ما بسطوا نفوذهم على الدايميو « الحاكم الاقطاعى » كما كان الشوجن يبسط نفوذه على الإمبراطور ، وهكذا . ويمكن القول بأن الساموراى كانوا هم الطبقة الحاكمة الحقيقية فى اليابان ، كما كانوا هم رجال الحرب ، يشبهون فى ذلك فرسان العصور الوسطى بأوربا . غير أن الفارس اليابانى يمتاز بأنه كان محاربا قويا كما كان إداريا مثقفا ، ولهذا كثيرا ما كان يفرض سلطانه على سيده ، وهذه الفائدة المزدوجة جعلت من الساموراى طبقة لها امتيازات عظيمة . وكما أن الساموراى اعتمدوا فى معيشتهم على الدايميو ، فقد اعتمد هؤلاء على الساموراى فى احتفاظهم بمركزهم وسلطانهم .

الحالة الاقتصادية فى عهد توكوجاوا :

عندما نشأت شوجنة توكوجاوا كان الاقتصاد اليابانى فى جملته اقتصادا زراعيا ، وكان الأرز لديهم هو وحدة التبادل ومقياس الثروة ، وكان ينظر إلى زراع الأرض على أنهم آلات لإنتاج الأرز ، وليس لهم أى نوع من الحقوق الخاصة .

تنوع الاقتصاد اليابانى :

شجعت فترة السلام الطويلة التى فرضتها أسرة توكوجاوا على تطور النظام النقدى رغم محاولات الحكام التقليل من أهمية التجارة ، وكانوا يستهدفون من ذلك تطبيق نظرية الاكتفاء الذاتى فى اليابان ، وشجع إنتاج الحرير إذ ذاك على تطور صناعة المنسوجات الحريرية ، كما أن استيراد الأشجار الزيتية من الصين أدى إلى قيام صناعة الشمع ، ونشأت صناعات أخرى نتيجة لانتشار زراعة قصب السكر والقطن ، واتساع نطاق زراعة الشاى ، وأدت وفرة المنتجات الجديدة إلى رقى الصناعة ، وهذا بدوره شجع على اتساع نطاق تبادل السلع . ولما كان التبادل يستلزم وجود النقود فقد استوردت اليابان النقود من الصين وكوريا ، واستمر الحال كذلك حتى أنشئت دار سك النقود الذهبية فى القرن السابع عشر ، ووافقت الحكومة أخيراً على دفع الضرائب نقداً ، وتلا ذلك استخدام النقود فى تبادل الأرز .

ظهور طبقة أصحاب الصناعة :

شجع ازدياد استهلاك مواد الترف — الذى ترتب على فترة السلام الطويلة — على قيام اقتصاد يابانى نقدى ، ثم نشأت فى المدن النامية طبقة من التجار وأرباب الصناعة لمواجهة الطلبات المتزايدة على مواد الترف .

اندماج الطبقات :

أصبح كثير من التجار أوفر ثروة من الدايميو « حكام الإقطاع » وإن كان مركزهم الاجتماعى ظل كما هو دون أشد أفراد الساموراى إملاقا ، بيد أن هؤلاء التجار استطاعوا بمرور الزمن أن يرتفعوا إلى الطبقة الأرستقراطية تارة بالمال وأخرى بالتزاوج أو بالتبنى ، ولم يقبل عام ١٨٥٠ م حتى كان مستوى طبقة الساموراى دون مستوى محدثى النعمة من طبقة رجال الأعمال الذين بدأوا يحلون محل الساموراى

فى المناصب الإدارية . وصحب فترة الانتقال توتر سياسى واجتماعى قارب درجة الانفجار ، لولا أن برى *Perry* اقتحم أبواب اليابان وتركها مفتوحة للتجارة الخارجية.

النتائج التى ترتبت على التغيرات الاجتماعية والاقتصادية :

أضعفت نهضة الطبقة الوسطى شوجنة توكو جاوا . يضاف إلى ذلك أن نظام الضرائب الذى يرتبط بالاقتصاد الزراعى ظل عاجزا عن مواجهة المطالب المالية للدولة ، كما أن التحول من نظام دفع الضرائب عينا من الأرز إلى دفعها نقدا سبب للزراع الكثير من المتاعب وكان هؤلاء تحت رحمة سماسرة الأرز وحكام الإقطاع .

وقد أدى هذا الاستغلال المزدوج وما صاحبه من توالى هبوط المحصول ، إلى عدة ثورات فى الريف أجهدت حكومة توكوجاوا كل الإجهاد ، كما أن التحول الاقتصادى العام دفع بكثير من الزراع والساموراى إلى احتراف النهب والسلب .

سياسة إقصاء الأجانب :

اتخذت حكومة توكو جاوا سياسة صارمة لاستبعاد التجارة الخارجية والنفوذ الأجنبى ، وكان ذلك بسبب الاضطرابات التى أثارها النزاع بين طائفة المبشرين المسيحيين ، واستثنى الهولنديون من هذا التشريع الصارم ، فصرح لهم بالاتجار مع اليابان فى نطاق ضيق . ونعمت اليابان بالسلام فى الداخل والخارج مائتى عام بفضل تطبيق سياسة اقصاء الأجانب . وكان من المتوقع بقاء حكومة توكو جاوا مدة أطول مما قدر لها لولا أن الأساطيل الأجنبية والآراء الحديثة اجتاحت البلاد .

ظهور المنافسة بين العشائر :

تضافرت عدة عشائر للقضاء على حكومة توكو جاوا ولكن قيام أملاك توكو جاوا كحواجز بين العشائر أضعف قوة هذا التكتل . وبينما كان حكام توكو جاوا غارقين فى اللذة والترف فى يدو (طوكيو) بحالة أدت إلى ضعف كفاءتهم العسكرية ، إذا بالعشائر الأخرى تعمل على مضاعفة قواتها العسكرية .

إحياء العلوم :

احتفظت طائفة الساموراى فى وقت السلم بصفاتها العسكرية الممتازة ، فداوموا على ممارسة ألعاب الفروسية ، ولما أراد حكام توكوجاوا توجيههم إلى احتراف مهن سلمية شجعوا على الاشتغال بالأدب والثقافة ، فأسست المدارس لتعليم فلسفة كنفوشيوس ، لأن الرأى السائد لديهم هو أن الكنفوشية أقل من غيرها خطراً فى بث الآراء الثورية ، وكما أن الآداب الكنفوشية نشرت دراسة علم الأخلاق الذى ساعد على بث روح المسالمة فى الساموراى ، فقد علمت رجال الحرب أن أسمى مراتب الولاء يجب أن يختص بها الإمبراطور دون الشوجن ، لأن الشوجن ليس إلا موظفاً يعينه الإمبراطور ، وهذا التنازع على السلطة جعل الكثير من اليابانيين يدرسون التاريخ الذى أوضح لهم أن الشوجن ليس مغتصباً لسلطة الإمبراطور ، وكانت النتيجة أن ارتفع مقام الإمبراطور فى نظرهم ، وأصبح محط آمال الساخطين من طائفتى الدايميو والساموراى .

انتشار الثقافة :

أدى ظهور الطبقة المتوسطة إلى انتشار ثقافة البلاط الإمبراطورى بين الطبقة البورجوازية ، فهبط مستوى هذه الثقافة ، وفقدت أنماط الفن اليابانى الكثير من ذوقها الفنى الرفيع حين تناولتها أيدى طبقة رجال الأعمال .

علوم الغرب :

عندما ألغى ثامن شوجن تحريم مطالعة الكتب الأجنبية عام ١٧٢٠ م ، بدأ اليابانيون يدرسون علوم الغرب وآدابه . بل إن بعض ذوى الجرأة من أهل العلم استطاعوا أن يستوردوا الكتب الأجنبية قبل ذلك التاريخ .

ديانات اليابانيين

البوذية :

ظلت البوذية هى الديانة الرئيسية فى اليابان عهداً طويلا، رغم أن اتخاذ « الشنتو» كدين رسمى للدولة أثر على مركز البوذية إلى حد ما ، وقد أدخلت البوذية فى بلاد اليابان من الصين أو من كوريا قبيل عام ٥٢٢ م ، ولاقت تشجيعاً رسمياً على يد شرتوكو تايشى الوصى على العرش (٥٤٣ — ٦٢٢) ، ومع أن البوذية من أصل أجنبى فإن اليابانيين تناولوها بكثير من التعديل .

تعدد المذاهب البوذية :

تعددت طوائف البوذية فى اليابان بمرور الزمن ، وكان ذلك بواسطة إدخال مذاهبها من الصين أو من كوريا ، و بنشوئها فى اليابان نفسها على أيدى رجال الدين اليابانيين ، وكان فى مقدمة هذه المذاهب مذهب « الشنجون » ومعناها (كلمة الحق أو الصيغة الرمزية) التى أكدت فائدة الطقوس الدينية الجميلة ، وقوة تأثير الطلاسم والرقى . أما بوذية زين Zen فقد وفدت من الصين فى القرن الثامن عشر ، وكانت تعاليمها تقضى بأن الخلاص من الخطيئة لا يتم إلا بكبح جماح العقل والجسم ، وكان هذا المذهب هو أنسب المذاهب لطائفة الساموراى الذين شبوا على الفضائل العسكرية وحب النظام ، وأسست أيضا بوذية جورو وشنران فى القرن الثامن عشر أيضا ، التى ترى أن خلاص الروح نعمة يمنحها بوذا الرحيم لكل من يدعوه بعقيدة وإخلاص . وانتشرت بوذية نيشيرين كفرع من بوذية جورو التى أخذت الكثير عن الكنفوشية والشنتو رغم تعصبها ضد المذاهب البوذية الأخرى .

الكنفوشية :

أول من أدخلها فى اليابان « شوتوكو » و « كاماتارى » ولكنها لم تنتشر أبداً كدين من ديانات اليابان ، غير أن المبادىء الخلقية الكنفوشية وقواعد العلاقات

الإنسانية التى نادى بها كنفوشيوس أصبحت جزءا لا يتجزأ من النظام الاجتماعى الياباني ، و يظهر أثر ذلك جليا فى بوشيدو « طريق المحاربين » الذى يسترشد الساموراى بهديه .

الشنتو (طريق الآلهة) :

تسرب كثير من العقائد الكنفوشية إلى الشنتو ، وهى ديانة اليابان المحلية . ومن أخص هذه العقائد أن الإنسان خيّر بطبعه ، وكانت « الشنتو » ديانة اليابانيين قبل إدخال البوذية والكنفوشية وقد جمعت أساطيرها فى مجموعتين هما : كوجيكى و نيهونجى ، وتتضمنان أساطير خلق اليابان ، والآلهة اليابانية ، و يرجع أول كتاب فى الصلوات والطقوس الشنتوية إلى القرن العاشر ، وأكبر آلهة الشنتو قوى الطبيعة ، وعلى رأس مجموعة الآلهة إلهة الشمس . يضاف إلى ذلك الآدميون الذين تضفى عليهم صفة الألوهية كأبطال التاريخ اليابانى القديم .

أما ديانة الشنتو الحديثة فتنقسم إلى عدة مذاهب تبدأ بالمذهب الرسمى للدولة ، ثم تتفرع إلى عدة أفرع ثانوية تشبه من بعض النواحى مذهب الطب الروحانى لدى المسيحيين و باقى المذاهب البروتستانتية الأخرى .

الرمز المقدس :

إن أكثر الأشياء قداسة فى ديانة الشنتو هى المرآة والسيف والجوهرة ، فهم يعتقدون أن جيموتنو أول أباطرة اليابان حفيد إلهة الشمس قد ورثها عن هذه الإلهة العظمى . وهذه المقدسات الثلاثة ترمز إلى طهارة الضمير ، والشجاعة ، والإخلاص فى أداء الواجب .

إحياء ديانة الشنتو :

ظلت الشنتو ردحا من الزمن ممتزجة بالبوذية حتى كادت تفقد كيانها المستقل ، غير أن الدراسات العقلية فى أثناء حكم شوجنة توكوجاوا وجهت الاهتمام إلى الشنتو كدين .

قومى خالص يرتبط ارتباطا وثيقا بالبيت الإمبراطورى ، وبذلك ساهم إحياء ديانة الشنتو فى إعادة السلطة الزمنية والروحية للإمبراطور .

المسيحية فى اليابان

بدء توافد المسيحية على اليابان :

كانت اليابان تعانى أقسى حالات الفوضى تحت حكم أشيكاجا حين اكتشفها البرتغاليون بطريق المصادفة عام ١٥٤٢م . وفى السنوات الخمسين التالية التى احتكر فيها البرتغاليون الاتجار مع اليابان تغلغلت فيها المسيحية وازدهرت . وفى سنة ١٥٤٩ وفد عليها فرانسيس زافييه المبشر اليسوعى مع ثلاثة من زملائه ، وشجع بعض الدايميو فى الجنوب رعاياهم وحاشيتهم على اعتناق المسيحية ، بل لقد كانوا يلزمونهم بذلك أحيانا لتلهفهم على الاتجار مع الأجانب .

انتشار المسيحية فى عهد نوبونجا :

عندما كان أووا نو بونجا يشق طريقه نحو السلطة فيحارب الحكام الإقطاعيين وجيوش الكهنة البوذيين وجد فى المسيحيين قوة يعتد بها ، فاستعان بهم فى القضاء على معارضة البوذيين لحكمه ، وهكذا كانت رعايته هو والدايميو للمسيحيين سببا فى زيادة عددهم إلى مائة وخمسين ألفا حوالى عام ١٥٨٢ .

اضطهاد المسيحيين فى عهد هايديوشى :

ظلت علاقات هايديوشى مع المسيحيين ودية حتى أتم فتح جزيرة كيوشو ، غير أنه فى سنة ١٥٨٧ أصدر فجأة مرسوما يتهم فيه القساوسة بأن مسلكهم مخالف للقانون ، وأمرهم بالرحيل العاجل من البلاد ، ولم تعرف على وجه التحديد الأسباب التى دعته إلى اتخاذ هذا الإجراء . ولما كان هايد يوشى يقدر أهمية التجارة الخارجية حق قدرها فإنه لم يقم بتنفيذ مرسوم عام ١٥٨٧ بالدقة الواجبة فأدى ذلك إلى بقاء

أكثر المسيحيين فى البلاد وازدياد معتنق المسيحية من اليابانيين إلى ثلاثمائة ألف حوالى سنة ١٥٩٥ .

وفود الإسبانيين على اليابان :

فى سنة ١٥٩١ بعث هايديوشى رسالة إلى دى ماريا ناس الحاكم الأسبانى لجزر الفلبين يدعوه فيها للخضوع لسيادة اليابان ، فاتخذ دى ماريا ناس هذا ذريعة لإرسال بعثة إسبانية إلى اليابان تتألف من عدد من المبشرين ، وقد بدأ هؤلاء المبشرون عملهم مخالفين بذلك أوامر الحكومة اليابانية والبابا والبرتغاليين ، فألغى البابا أخيراً القيود التى تحرم على غير طائفة اليسوعيين القيام بالتبشير .

معارضة توكوجاوا :

بدأ إياسو توكوجاوا بمحاباة المسيحية باعتبارها وسيلة لتشجيع الاتجار مع الأجانب ، ولكن الشك تسرب إليه فى أن المبشرين المسيحيين يعملون كرأس حربة إسبانية أو برتغالية موجهة إلى اليابان ، توطئة لغزوها ، ولهذا حرم نشر المسيحية فى البلاد ابتداء من عام ١٦١٢ م . فتشبث القساوسة بالبقاء فى البلاد رغم الشدة فى تنفيذ القانون .

اتساع نطاق سياسة إقصاء الأجانب :

أدى تشبث رجال الدين المسيحيين بالبقاء فى اليابان وتمسك أتباعهم بعقيدتهم الجديدة إلى إثارة مخاوف الشوجن ، فأصدر ابن إياسو أوامره سنة ١٦٢٤ بطرد الإسبانيين من البلاد ، وأخيراً أصدر ثالث شوجن من أسرة توكوجاوا مرسوما بمنع اليابانيين من الاتجار فى الخارج ، ومعاقبة كل من يخالف ذلك بالإعدام . وكان الهدف الأول لهذا المرسوم منع المواطنين اليابانيين من تلقى تعاليم المسيحية فى الخارج .

تمرد شيما بارا :

أدى اضطهاد المسيحيين فى جنوب اليابان إلى كثير من حوادث إراقة الدماء ،

وكان هذا من الأسباب الرئيسية التى أشعلت ثورة شيما بارا سنة ١٦٣٧ . وساهم الهولنديون فى إخماد هذه الثورة لكى ينقذوا تجارتهم مهما كان الثمن .

إقصاء الأجانب عن اليابان إقصاء تاما :

فى عام ١٦٣٨ توالى صدور المراسيم التى تفرض القيود على المسيحية ، وتنزل العقوبات بأتباعها ، وكان ذلك على أثر ثورة شيما بارا ، فحرم الاتجار مع الأجانب عدا الهولنديين والصينيين ، وقضى على الديانات الوافدة من الخارج ، ومنع استيراد الكتب الأجنبية عدا ما سمح للهولنديين بتقديمه إلى الشوجن .

الهولنديون فى ديشيما :

لم يحاول الهولنديون الخلط بين التجارة والدين ، فسمح لهم بمواصلة الاتجار فى هيرادو ، غير أن مركز نشاطهم نقل بالقوة من هيرادو إلى ديشيما سنة ١٦٤١ . وظل الهولنديون يمارسون التجارة فى ديشيما قرنين كاملين تحت أشد القيود إذلالا ، وكانت الجالية الهولندية هى همزة الوصل بين اليابان والعالم الخارجى طوال عهد إقصاء الأجانب .

الفصل الثالث

بدء ظهور المصالح الأوربية فى آسيا

ظلت الصين طوال عصورها التاريخية قليلة الحاجة إلى الغرب ، بينما كان الغرب يسعى فى لهفة للحصول على منتجاتها .

أول اتصال بين أوربا والصين

التجارة فى عهد أسرة هان :

كانت للرومان تجارة واسعة فى السلع الصينية خصوصا الحرير ، وكانت الطرق البرية تسير من خنجان فى غرب الصين إلى بحيرة لوب نور وحوض نهر تاريم وتنتهى فى أنطاكية ، وقد وقعت هذه الطرق التجارية تحت سيطرة الأشغانيين أعداء روما ، ولهذا تجنب الرومان المرور بأراضى أعدائهم ، فاتخذوا البحر طريقا هاما يوصلهم إلى غرب الهند حيث يجدون السلع الصينية الواردة براً عن طريق خوتان أو بحراً من جنوب الصين .

قيام الإمبراطورية العربية :

جلبت دودة القز إلى القسطنطينية فى القرن السادس الميلادى ، و بدأ عقب ذلك إنتاج الحرير فى أوربا والشرق الأدنى ، و بذلك قل اعتماد الغرب على صادرات الصين من الحرير ، وأصبحت السلع الرئيسية التى تستوردها أوربا من شرق آسيا هى التوابل و بعض مواد الترف ، وصارت أكثر هذه التجارة فى أيدى العرب ، ومن دخل فى الإسلام من غيرهم بعد القرن الثامن الميلادى . واستمرت سيادة العرب على الطرق البحرية إلى شرق آسيا حتى القرن السادس عشر . وظلت الطرق البرية مقفلة فى وجه الأوربيين حتى قام المغول بغزو آسيا كلها من بحار الصين إلى روسيا .

المبشرون المسيحيون الأول :

اقترن قيام إمبراطورية المغول باهتمام الأوربيين باعتناقهم المسيحية بدل الوثنية ، أملا فى أن يصبح هؤلاء المغول حلفاء لهم ضد المسلمين ، وحمل جون أوف بلانو كاربينى رسالة من البابا إلى جنكيز خان عام ١٢٤٦ م . وفى عامى ١٢٤٩ ، ١٢٥٢ أرسلت فرنسا بعثاتها تحت قيادة « أندرو أوف لونجومو ، ووليم أوف روبروك » ولكن هذه البعثات فشلت فى تحويل المغول إلى المسيحية ، كما فشلت فى عقد تحالف معهم ضد المسلمين ، غير أنها زادت من اهتمام الأوربيين بشئون الشرق الأقصى .

ماركو بولو :

فى عام ١٢٦٤ رحل أخوان من البندقية هما نيكولو بولو ومافيو بولو إلى بلاط قبلاى خان للحصول على امتيازات تجارية ، فردهما قبلاى إلى أوربا برسالة إلى البابا يطلب فيها بعثة قوامها مائة من المبشرين ليقوموا بتعليم المغول ، وكان رد البابا أن أرسل راهبين خائرى العزيمة من رهبان الدومينيك ، ما بدءا رحلتهما حتى أصابهما الوهن فعجزا عن إتمامها . وفى سنة ١٢٧٤ عاد الأخوان نيكولو ومافيو إلى الصين ومعهما ماركو بن نيكولو وقضوا فى الصين سبعة عشر عاما فى خدمة الخان ، ثم عادوا إلى أوربا حيث دون ماركو بولو للأوربيين أول تاريخ مفصل عن الصين .

جون أوف مونتى كورفينو :

فى سنة ١٢٨٩ أرسل البابا ، جون أوف مونتى كورفينو إلى بلاط الخان ، وقد بلغت جهوده حدا من النجاح جعله يعين رئيساً لأساقفة كامبالوك سنة ١٣٢٨ . ولما قضت أسرة منج على حكم المغول عام ١٣٦٨ أزالت كل أثر للمسيحية والديانات الأخرى التى كان المغول قد أيدوها .

توقف التجارة البرية :

بسقوط المغول انتهت التجارة الواسعة فى الحرير والتوابل بين أوربا والصين والهند ، فاعتمد الأوربيون على أعدائهم المسلمين فى الحصول على هذه السلع ، وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعارها فأخذ كثير من الأوربيين يبحثون عن طرق جديدة للوصول إلى شرق آسيا .

البرتغاليون فى آسيا

الأمير هنرى الملاح :

قام البرتغاليون تحت زعامة الأمير هنرى الملاح (١٣٩٤ — ١٤٦٠) بأول مجهود جدى للبحث عن طريق جديد إلى الشرق ، فعمل هنرى على تشجيع بناء السفن الكبيرة ورسم الخرائط وصناعة الأجهزة اللازمة للملاحة ، ولكن عمله لم يثمر إلا بعد وفاته .

ففى سنة ١٤٨٦ تمكن البرتغاليون من الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، و بعد ذلك بأحد عشر عاما وصل فاسكو داجاما مدينة قاليقوط فى الهند ، وفى هذه الأثناء استطاع كولومبوس أن يبحر غربا حتى وصل إلى جزر الهند الغربية ، ونال حقوقا لإسبانيا على الأمريكتين . وقد رأى البابا إسكندر السادس أن يفض النزاع بين إسبانيا والبرتغال فقسم العالم بينهما على طول خط حدد موقعه أخيرا بثلاثمائة وسبعين فرسخا غرب جزر آزوروس ، فما وقع شرق الخط فهو لإسبانيا ، وما وقع غربه فهو للبرتغال . وهكذا حصلت إسبانيا على أكثر بلاد العالم الجديد ، بينما حصلت البرتغال على الهند الشرقية .

ألفونسو دى ألبوكيرك :

تقدمت فتوح البرتغاليين فى الهند وجنوب شرق آسيا على أيدى ألفونسو دى ألبوكيرك فأضعفت بذلك احتكار المسلمين للتجارة مع الهند ، وأسس ألبوكيرك بالقوة

مراكز تجارية فى جوا وفى أماكن أخرى على طول ساحل ملابار فى الهند ، واستولى على ملقا فى شبه جزيرة الملايو عام ١٥١١ ، وبذلك سيطر البرتغاليون على طريق التجارة بين الهند والصين . وقد أسس أول مركز تجارى فى الصين بطريق سلمى قرب مدينة كانتون سنة ١٥١٥ ، وفى العام التالى فتحت سيام أبوابها للبرتغاليين بالطرق الدبلوماسية ، ولو كان البرتغاليون تمكنوا من حفظ النظام بين رعاياهم لأسسوا لأنفسهم مركزا قويا فى الصين . بيد أنه فى عام ١٥٢٠ فى الوقت الذى سافر فيه توماس بيريز إلى بلاط إمبراطور الصين للحصول على معاهدة ، استولى جماعة من المغامرين البرتغاليين على جزيرة صينية قريبة من كانتون ، متجاهلين السلطات الصينية التى تحكم الجزيرة ، فأدى هذا الاستيلاء إلى إنهاء التبادل التجارى والسياسى رسميا بين الدولتين مؤقتا ، ولكن البرتغاليين احتفظوا ببعض المواقع على الجزيرة بطريق غير مشروع .

التجارة مع اليابان :

فى سنة ١٥٤٢ دفعت العواصف ثلاثة من البحارة البرتغاليين نحو شواطىء اليابان ، فأحسن اليابانيون استقبالهم بدرجة شجعت البرتغاليين على بدء الاتجار المنظم مع اليابان .

فرانسيس زافييه :

هيأ البرتغاليون للمبشر اليسوعى فرانسيس زافييه فرص التجوال فى إمبراطوريتهم التجارية بالهند ، وملقا ، واليابان ، وأخيرا حط رحاله فى الصين ومات بها عام ١٥٥٢ .

استئناف التجارة مع الصين :

أنشأ التجار البرتغاليون مصنعا فى ننجبو رغم تحريم التجارة رسميا بين الصين والبرتغال ، ولكن مجرفتهم وتحديهم للسلطات الصينية أثارت الاضطراب من جديد ، ففى سنة ١٥٤٦ ذبح الصينيون ثمانمائة أجنبى ، وحطموا خمسا وثلاثين سفينة

من سفنهم فى ننجبو ، وحدث مثل ذلك فى تشن تشو بعد ثلاث سنوات ، ولم يصرح للبرتغاليين بالعودة إلى الصين إلا بعد أن دفعوا التعويضات .

ماكاو :

فى سنة ١٥٥٧ سمح للبرتغاليين باستئجار بعض الأراضى فى ماكاو مكافأة لهم على قطع دابر القرصنة بتلك المنطقة ، ومنذ ذلك الوقت ادعى البرتغاليون ملكية ماكاو ، مع أن الصين لم تعترف بتنازلها عن سيادتها عليها ، وقد ظلت ماكاو — وهى أكبر ميناء أسيوى — تحت سيطرة الأوربيين ، فترة .

عدوان أسبانيا على جزر الهند الشرقية

جزر الفلبين :

بعد عشر سنوات من استيلاء البرتغاليين على ملقا قام قبطان برتغالى ساخط يدعى « ماجلان » برحلة على نفقة إسبانيا ، فطاف حول أمريكا الجنوبية ، ثم عبر المحيط الهادى إلى جزر الفلبين ، ولم يكن الإسبانيون إذ ذاك يهتمون بهذه البلاد المتخلفة أى اهتمام ، بل لا يهتمون بالصين نفسها ، ولكنها كانت تسعى للحصول على نصيبها من جزر البهار التى ادعى ماجلان أنها تابعة لنصف الكرة الإسبانى ، طبقا لخط تقسيم الحدود الذى رسمه البابا بين أسبانيا والبرتغال . ولما كانت جزر البهار وجزر الفلبين فعلا فى دائرة نفوذ البرتغاليين ، فقد تمكن هؤلاء من إحباط المحاولات الإسبانية التى تريد غزو منطقتهم . .

الدولارات المكسيكية فى مانيلا :

ظل مركز إسبانيا فى الشرق ضعيفا حتى عام ١٥٧١ حين استولت على مانيلا مركز تجارة الفلبين ، ومع أن البرتغاليين أفلحوا فى إقصاء إسبانيا عن الصين واليابان وجزر البهار باحتكارهم التجارة معها ، فإنهم لم يستطيعوا منع أهالى هذه البلاد من

مبادلة بضائعهم بالدولارات الفضية المكسيكية مع الإسبانيين فى مانيلا . وقد استطاع الإسبانيون تشجيع تدفق السلع عليهم بالمعاملات التجارية السخية ، وأصبح الدولار الفضى المكسيكى أحسن العملات قبولا لدى الصين ، بل إنه ظل يستعمل هناك إلى العصر الحديث . وعندما ورث فيليب الثانى ملك إسبانيا عرش البرتغال سنة ١٥٨٠ أصبحت إسبانيا ذات حق مشروع فى الاتجار مع موانى الشرق .

مذابح الصينيين فى جزر الفلبين :

ما لبثت الفرص التجارية المغرية فى مانيلا أن جذبت إليها عددا كبيرا من المهاجرين الصينيين ، فعم الفزع الإسبانيين المتوطنين بها ، فقاموا بمذابح شاملة ضد الصينيين عام ١٦٠٣ ، ولم يطلع عام ١٦٣٩ حتى كانوا قد قضوا على ثلثى الجالية الصينية بالفلبين ، وكان تعدادها ثلاثين ألفا ، ومن أجل ذلك فرضت الصين قيودا ثقيلة على التجار الإسبانيين .

توغل الهولنديين فى شرق آسيا

لم يحصل الهولنديون على استقلالهم إلا فى أواخر القرن السادس عشر ، ومع ذلك فقد زاحموا البرتغاليين فى احتكارهم للتجارة الأسيوية .

شركة الهند الشرقية الهولندية :

فى سنة ١٦٠٢ اعتمدت الحكومة الهولندية قيام شركة الهند الشرقية الهولندية كشركة قانونية مساهمة تحت إشراف الدولة ، وذلك بعد أن ظلت سبع سنوات تتجر فى آسيا لحسابها الخاص ، وقد استطاعت هذه الشركة بالغزو مرة وبالدسائس مرة أخرى أن تحصل على قواعد فى جزر البهار « جزر ملقا » ولم يشرق عام ١٦٤١ إلا وقد سيطر الهولنديون على ملقا نفسها ليُحكموا قبضتهم على إمبراطوريتهم الجديدة بجزر الهند الشرقية .

الصراع من أجل اعتراف الصين بالشركة :

اضطر الهولنديون إلى إنشاء مصانعهم على جزر بسكادورس البعيدة عن سواحل الصين الشرقية ، وذلك بسبب معارضة البرتغاليين لهم . ولما طردهم الصينيون من تلك الجزر أقاموا مؤسساتهم فى فرموزا و بقوا بها حتى أخرجهم منها القائد كوكسنجا من قواد إمبراطورية منج عام ١٦٢٤ . وقد انتقم الهولنديون لأنفسهم بتقديم المساعدة إلى المانشو أثناء صراعهم ضد إمبراطورية منج ، فكافأهم هؤلاء بالتصريح لهم وللإنجليز بالاتجار فى آموى ، ومع ذلك لم يبدأوا الاتجار المنظم مع الصين إلا فى سنة ١٧٢٩ .



جزر المحيط الهادى

اليابانيون يكرمون وفادة الهولنديين :

صاحب الحظ السعيد جهود الهولنديين فى اليابان منذ أن دفعت العواصف بإحدى سفنهم إلى سواحلها سنة ١٦٠٠ م ؛ ففى العام التالى لهذا الحادث حصل الهولنديون على تصريح بإنشاء مصنع فى هيرادو ، ويرجع نجاحهم المحدود إلى أنهم لم يظهروا اهتماما بالتبشير كبقية المسيحيين الأوربيين ، وهذا هو السبب فى أن الهولنديين فقط هم الذين استثنوا من اضطهاد اليابانيين للمسيحيين ، ومن تطبيق سياسة إقصاء الأجانب — التى فرضتها حكومة توكوجاوا .

استثمار جزر الهند الشرقية اقتصاديا :

كان هدف الهولنديين فى جزر الهند الشرقية الاستثمار الاقتصادى ، ولهذا أبقوا على عروش الحكام الوطنيين بشرط أن يقدموا لشركة الهند الشرقية الهولندية الجزية من المنتجات والسلع التجارية ، كما فرض على هؤلاء الحكام أن يمدوا الهولنديين دائما بحاصلات بلادهم بالأسعار التى تحددها الشركة ، ولم يفكر الهولنديون فى العناية بمصالح رعاياهم ما دام استتباب النظام والسلام وتدفق المنتجات مضمونا ، وقلما فكر الهولندى فى الإقامة بالجزر أكثر من المدة التى يخولها له التعاقد ، فإذا رحل ترك وراءه أسرة من الأطفال المولّدين بسبب زواجه المؤقت من الوطنيات .

الاستعمار الفرنسى

شركة الهند الشرقية الفرنسية :

بدأ اهتمام فرنسا بالتجارة فى الشرق فكونت شركة الهند الشرقية الفرنسية فى عهد هنرى الرابع ، وظلت هذه الشركة قائمة اسميا فقط حتى عهد لويس الرابع عشر ، فقد وجه رئيس وزرائه « كولبير » عنايته نحو الاتجار مع جزر الهند الشرقية كجزء من سياسة فرنسا الاقتصادية ، وأنشئ أول مصنع فرنسى بالهند فى سورات عام ١٦٦٨ ، ومع ذلك لم ترسخ أقدام الفرنسيين فى بندشيرى إلا عام ١٦٧٤ .

الغزو التبشيرى :

كان المبشرون الفرنسيون الكاثوليك يسبقون التوسع الاستعمارى الفرنسى فى آسيا أغلب الوقت؛ ففى سنة ١٦١٠ أرسلت فرنسا الأب الجزويتى إسكندر رودس ليستقصى أحوال بلاد الهند الصينية ، وقام آخرون من الجزويت الفرنسيين بتمهيد الطريق للحكومة الفرنسية كى تفرض سيادتها على كمبوديا وأنام وسيام وجنوب بورما ، ولكنهم فى غمرة الحماس الدينى بالغوا فى حرصهم على تنفيذ مذهبهم ، فأخذوا يضطهدون المسيحيين فى سيام ، وما وافى عام ١٦٨٨ حتى كان النفوذ الفرنسى قد تلاشى من البلاد نهائيا .

الفرنسيون فى الهند الصينية :

لما انهزم الفرنسيون أمام البريطانيين فى صراعهما الطويل بالهند ولت فرنسا وجهها شطر الهند الصينية لتعوض ما فقدته ، وقد أتاح لها النزاع على الملك فى هذه البلاد إذ ذاك الفرصة فتدخلت لمساعدة الملك المخلوع فى إعادة تاجه فكافأهم على ذلك بأن مكنهم من إنشاء قواعد لهم فى أنام .

أطماع روسيا فى الشرق

قد تكون روسيا أكثر الدول الأوربية استعدادا لفهم الشرق الأقصى ، فقد كانت هى أيضا جزءا من إمبراطورية المغول تحت حكم الخانات .

التوسع فى الشرق :

حين استعادت موسكو استقلالها عام ١٤٨٠ م بدأ الروس يوسعون رقعة أملاكهم من حولها فى جميع النواحى ، ولكن سرعان ما وقفت الدول الأوربية لتحول دون تحقيق أطماع روسيا فى الغرب ، أما فى الشرق فلم يكن أمامها سوى المغول الذين هم فى طريق الاضمحلال . وفى أثناء حكم إيفان الرابع أول القياصرة

امتد النفوذ الروسى إلى نهر أوب واستمر ينتشر شرقا عبر سيبريا ، كما امتد نفوذ الأمريكيين غربا على أيدى الرواد الأول من المستوطنين الأمريكيين . وفى سنة ١٦٣٨ عبر الروس نهر آمور ، وفى نحو سنة ١٦٥٢ بدأ الغزاة القوزاق يصطدمون بالقوات الصينية .

الكسب الدبلوماسى الروسى :

فشلت المساعى التى بذلتها روسيا سنة ١٦٥٤ لإنشاء علاقات دبلوماسية وتجارية مع الصين ، لأن الممثلين الدبلوماسيين الروس رفضوا القيام بمراسم الكاوتاو « السجود أمام الإمبراطور » ، وإذ استمرت حرب الحدود خمساً وثلاثين سنة ؛ فقد عاد السلام بعدها فى عام ١٦٨٩ ووقعت روسيا والصين معاهدة « نيرشنسك » التى نصت على الحدود وتضمنت شروط الاتجار بين البلدين ، وظلت هذه المعاهدة نافذة مع بعض تعديلات طفيفة حتى عام ١٨٥٨ .

معاهدة كياختا :

فى العام التالى لسنة ١٨٥٨ ثارت عدة منازعات بين البلدين حول نقض شروط المعاهدة أدت بالصين إلى منع الاتجار مع روسيا . وفى سنة ١٧٢٠ عقد اجتماع دبلوماسى بين روسيا والصين أمكن الوصول فيه إلى حل وسط لمشكلة الكاوتاو ، فقد أدى أحد رجال الإمبراطور مراسم الكاوتاو أمام سفير القيصر ، كما قام السفير الروسى بأداء هذه المراسم أمام الحاكم الصينى ، وهكذا اعترفت الصين لأول مرة بدولة أوربية وأبرمت بينهما شروط تكاد تنزل إلى حد المساواة .

وفى معاهدة كياختا التى عقدت سنة ١٧٢٧ أعيد النظر فى معاهدة نيرشنسك السابقة . وبالإضافة إلى فقرات المعاهدة الخاصة بخط الحدود والتجارة ، كانت هناك فقرات هامة تنص على أن يتاح لروسيا الاحتفاظ فى بيكين بكنيسة وقسس لخدمة الروس المقيمين فى الصين .

التجارة الصينية الروسية :

طبقا لشروط المعاهدة أنشىء طريق برى هام للتجارة كان مركزه مدينة كياختا الواقعة على الحدود . وقد حاول الروس أن يبدأوا أيضا تجارة بحرية مع الصين ، ولـكن الحـكومة الصينية قابلت محاولتهم بالرفض البات ، وأخيرا تم فى سنة ١٨٥٨ فتح موانى الصين للسفن الروسية .

العدوان التجارى الإنجليزى فى شرق آسيا

دريك يمهد الطريق :

كانت أولى الرحلات الإنجليزية إلى شرق آسيا هى رحلة سير فرانسيس دريك سنة ١٥٧٧ ، فقد زار كاليفورنيا ثم عبر المحيط الهادى إلى الفلبين ، وفى جزر البهار أخذ يستبدل التوابل بالفضة المسروقة من إسبانيا ، ثم عاد إلى إنجلترا بطريق جنوب إفريقية .

وبعد ست سنوات كرر كافندش مغامرات دريك ، ولـكن بريطانيا لم ترسل أول بعثة تجارية إلى الهند الشرقية إلا فيما بين ١٥٩١ ، ١٥٩٤ ، وكانت هذه البعثة مكونة من ثلاث سفن لم تعد إلى بريطانيا منها إلا واحدة ، ثم رأى الإنجليز بعد ذلك اتباع وسيلة القرصنة فأخذوا فى سلب السفن الإسبانية المحملة بالنفائس باعتبار السلب أجلب للربح من التجارة الحرة .

شركة الهند الشرقية الإنجليزية :

فى سنة ١٦٠١ ظفر جماعة من تجار لندن بترخيص يخول لهم تكوين شركة الهند الشرقية ، وكان هذا الترخيص يسمح لهم بالاتجار مع جزر الهند الشرقية التى ليست تحت إشراف الأوربيين . وظلت هذه الشركة تتمتع بالتوسع المتصل فى شرق آسيا مدى ٢٥٨ سنة ، وأصبحت تسيطر على عدد من السكان يبلغ أضعاف سكان الجزر

البريطانية . وزادت نسبة أرباح بعض الرحلات الأولى على ٢٠٠٪ ، وكانت الرحلات الأولى التى قامت بها سفن الشركة رحلات تجارية استطلاعية اتجهت إلى البحر الأحمر والخليج الفارسى وجزر الهند الشرقية ، وفى سنة ١٦٠٢ أقيمت مراكز تجارية دائمة فى الهند .

مغامرات تجارية أقل من هذه الرحلات نجاحا :

كان ولْ آدمز الإنجليزى ربانا لأول سفينة هولندية تبحر إلى اليابان سنة ١٦٠٠ وكان آدمز هذا مقربا إلى الشوجن ، فحصل على تصريح للإنجليز بافتتاح مصنع فى اليابان والاتجار معها ، ولم تكن هذه المغامرة صفقة رابحة لسوء اختيار موقع المصنع فانسحب الإنجليز من اليابان بعد عشر سنوات واستطاعوا بالطرق الدبلوماسية الحصول على مركز تجارى فى باتانى ، بسيام ، ولكن هذه المغامرة باءت بالفشل أيضا .

الاتجار مع الصين :

شغل الإنجليز بتجارتهم الوفيرة الأرباح مع الهند عن توجيه ضرباتهم نحو الاحتكار البرتغالى للتجارة مع الصين ، وظلوا كذلك حتى عام ١٦٣٧ فقاموا بمغامرة لم تكلل بالنجاح ، ولم تبدأ التجارة المنظمة بين إنجلترا والصين إلا فى سنة ١٦٩٩ .

بينانج :

لما انتظمت التجارة بين الهند والصين واستقرت، بدأ البريطانيون ينظرون بقلق إلى سيطرة الهولنديين على بوغاز ملقا . وفى سنة ١٧٨٢ استولى أحد الأمراء الوطنيين على جزيرة بينانج القريبة من شبه جزيرة الملايو ، ومنذ هذا التاريخ صارت بينانج أهم قاعدة بحرية أمامية للإنجليز فى جنوب شرق آسيا وظلت كذلك إلى أن استولوا على سنغافوره .

أرباح الإنجليز فى أثناء الثورة الفرنسية :

انتفع الإنجيز بجزيرة يينانج عند وقوع الأراضى المنخفضة فى قبضة الفرنسيين خلال الثورة الفرنسية ، وكان من نتيجة اشتعال الحروب فى داخل قارة أوربا أن انتزع الإنجليز من هولندة ملقا وسيلان عام ١٧٩٥ . ولما اتسع نطاق الحروب الأوربية أظهرت انجلترا كثيرا من الحذر فى آسيا فلم تحتل الأقاليم التابعة لهولندة وفرنسا إلا بعد أن اتضح أن فرنسا تريد تحصين الممتلكات الهولندية .

القائد البريطانى رَافِلْزْ :

كان القائد البريطانى خلال حروب نابليون هو توماس ستامفورد رافلز الذى كان يعمل على إنشاء إمبراطورية بريطانية عظيمة تسيطر على جميع جنوب شرق آسيا ، ولما أعاد البريطانيون أكثر الممتلكات الهولندية إلى هولندة بعد سنة ١٨١٥ استطاع رافلز أن يحصل لبريطانيا على قاعدة سنغافورة الهامة .

التجارة الأمريكية مع الصين

لما تخلصت المستعمرات الأمريكية من نير الحكم البريطانى سارعت السفن الأمريكية إلى دخول ميناء كانتون .

نمو التجارة مع الصين :

كانت أولى السفن الأمريكية التى أبحرت إلى الصين سنة ١٨٧٥ هى السفينة السريعة « إمبراطورة الصين » التى لم تصادفها أية صعوبة فى استبدال الحرير والشاى بكل ما تحمله من سلع ، وأصبح التجار الأمريكيون أقوى منافس للإنجليز فى الصين ، وفى هذا الوقت امتازت السفن الأمريكية على السفن الإنجليزية بالسرعة وإن كانت أصغر منها حجما .

الطريق التجارى الثلاثى :

عاق نمو التجارة الأمريكية مع الصين الحاجة إلى المال وعدم تأييد الحكومة بعكس ما فعلت الحكومة البريطانية مع التجار الإنجليز ، وكانت هناك عقبة أخرى هى الافتقار إلى سلع تجارية مناسبة . وظل الحال كذلك حتى اكتشف الأمريكيون أن الصينيين يدفعون ثمنا عاليا للفراء ، ومنذ ذلك الوقت ازدهرت تجارة حققت أغراضا ثلاثة ، فقد كانت السفن الأمريكية السريعة تحمل الروم والخرز والمصنوعات الحديدية إلى ساحل المحيط الهادى فتستبدل هناك بالفراء ، ثم يستبدل الفراء فى الصين بالحرير والشاى والخزف والأثاث ، وكانت هذه السلع تباع بأرباح وفيرة فى أمريكا ، كما كانت السفن ترسو فى بعض رحلاتها نحو الصين فى الموانى الإفريقية .

الفصل الرابع

الشرق والغرب يلتقيان فى الصين

التطورات الداخلية فى الصين تحت حكم المانشو حتى سنة ١٨٤٠

حكومة المانشو :

عمد المانشو إلى حكم الصين باعتبارهم حكاما صينيين ، واحتفظوا بشخصيتهم الأصلية ، ومع أنه كان على رأس دواوين الحكومة رؤساء من المانشو فقد احتفظت هذه الدواوين بموظفيها الصينيين ونظمها الصينية ، وظل نظام الخدمة المدنية ونظام الاختبار قائمين مع تغيير قليل .

حاميات المانشو :

أقام المانشو حاميات من جنودهم فى المدن الرئيسية ليحتفظوا بسلطانهم على الصين ، ووضعوا هذه القوات تحت إمرة ولاة من المانشو بجانب القوات الإقليمية المكونة من الصينيين .

شون تشيه ١٦٤٤ — ١٦٦٢ :

كان أول من جلس على عرش التنين فى بيكين من أباطرة المانشو « شون تشيه » وهو غلام لم يتجاوز التاسعة من عمره ، ورث العرش قبل الاستيلاء على بكين ، وأمضى مدة حكمه البالغ سبعة عشر عاما فى إتمام فتح الصين الأصلية وتنظيم الحكومة .

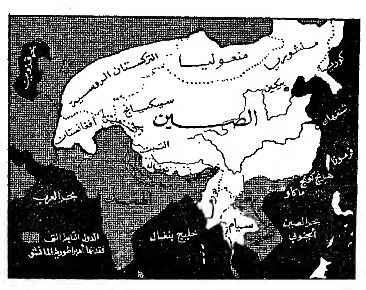
كانج هسى ١٦٦٢ — ١٧٢٣ :

تولى الإمبراطور كانج هسى الملك بعد أبيه « شون تشيه » ولما يتجاوز الثامنة من عمره وكان من أقدر حكام الصين ، فقد برز فى فنون قيادة الجيوش والأدب والإدارة ،

ولم تقتصر جهوده على سحق الثورة الخطيرة التى قامت ضد عرشه ، بل وسع حدود إمبراطوريته حتى شملت منغوليا والتبت وفرموزا ، وشجع إدخال العلوم الأوربية ، وأعاد فتح موانى الصين للتجارة العالمية بعض الوقت ، وأحسن استقبال المبشرين المثقفين فى بلاطه ، ولكنه اعتبر التجاء أحد المبشرين إلى البابا لإيجاد حل لجدل دينى — افتياتا على سلطته ، وأصبح عدوا للمسيحية ، فأضاف إلى تقييد نشاط المبشرين ، فرض القيود على الاتجار مع الغرب .

يونج تشنج ١٧٢٣ — ١٧٣٥ :

وكان يونج تشنج خليفة كانج هسى حاكما قديرا ، ولكنه لم يكن متسامحا ، فبدأ يضطهد المسيحيين فى الصين ، ثم اشتبك فى حروب كبدته نفقات باهظة للاحتفاظ بفتوح سلفه .



إمبراطورية المانشو فى أقصى اتساعها

تشين لونج ١٧٣٦ — ١٧٩٦ :

شهدت السنوات الست التى حكمها تشين لونج أعظم اتساع وصلت إليه حدود الصين ، فقد أتم وضع منغوليا والتبت تحت حكم الصين ، كما ضمت سينكيانج إليها . واعترفت كل من بورما وأنام ونيبال بسيادة الصين ، كما اعترفت كل من كوريا وليوشيوس ، وكان لدى تشين لونج من الميول الثقافية ما دفعه إلى تشجيع العلم ، كما أنه ألف عدة كتب بنفسه .

بدء الاضمحلال :

كان عصر تشين لونج فترة رخاء عظيم وازدياد فى سكان الصين ، ولكن زمام الحكم أفلت من يده فى أخريات أيامه فتفشى الفساد السياسى ونشبت الثورات ، ويعتبر عهده ذروة مجد المانشو وبدء اضمحلالهم ، إذ لم يخلفه منهم حاكم قدير .

تشيا تشنج ١٧٩٦ — ١٨٢١ ، تاوكوانج ١٨٢١ — ١٨٥٠ :

كان العهدان التاليان لعهد تشين لونج فترة اضمحلال وانحلال عم فيها الفساد أسرة المانشو، كما كثر عدد الثورات واشتد تدميرها ، ووصلت القرصنة وأعمال السلب إلى درجة خطيرة ، وبلغ من سوء العلاقات الخارجية أن رفض الاتجار مع الأجانب والترفع عن علومهم وآدابهم .

التطور الثقافى :

تفشت التقاليد الثقافية التى ازدهرت فى عهد أسرة منج خلال حكم أباطرة المانشو الأول ، ولم تظهر فى البلاد عبقريات ممتازة ، ولكن لمعت شخصيات كثيرة فى محاكاة النماذج التقليدية ، وازداد عدد المؤلفات الأدبية زيادة كبيرة ، بيد أن الابتكار فى الإنتاج الأدبى لم يتعد القصص مثل تشن بنج هاى « اللوتس الذهبى » ، وهونج لو منج « حلم الغرفة الحمراء » .

بدء التجارة الخارجية فى كانتون

أهمية كانتون :

كانت مدينة كانتون منذ أقدم العصور من أهم مراكز التجارة فى الصين بفضل موقعها ، وكانت السلع تجلب إليها من جهات العالم الأخرى لاستبدالها بمنتجات الصين ، وقد ظل الهندوس يتجرون مع الصين حتى عصر النهضة الإسلامية التى كان للمسلمين فيها السيطرة على التجارة الآسيوية .

وفود الأوربيين :

وفى القرن السابع عشر أصبحت تجارة كانتون احتكارا للبرتغاليين ، وظل الحال كذلك حتى ظفر الإنجليز بتصريح يخول لهم إنشاء مصنع فى سنة ١٦٨٤ ، ولم يحل عام ١٧٠٠ حتى اقتسم الإسبانيون والهولنديون والفرنسيون تجارة كانتون ، ومع ذلك بقى للإنجليز النصيب الأوفر منها .

الإشراف الصينى :

وضعت حكومة المانشو إقليمى كوانج تونج ، وكوانج سى تحت إشراف حاكم عام اتخذ مدينة كانتون مقراً لحكمه ، كما رأت من الصالح تعيين مندوب سام إمبراطوى للإشراف على العلاقات مع الأجانب ، ومنع الاتصال الدبلوماسى المباشر بالحكومة فى بيكين ، ويرجع ذلك كله إلى أهمية التجارة الخارجية فى كانتون . وفى سنة ١٧٠٢ عين مراقب للجمارك أطلق عليه الأجانب اسم « هوپو » .

نظام السكوهونج :

لما اتسع نطاق التجارة الخارجية ولم يعد من المستطاع إشراف رجل واحد عليها أذن الهوپو « مراقب الجمارك » لبعض التجار الصينيين بمشاركته فى الإشراف عليها ، فكون هؤلاء التجار نقابة « كوهونج » لتجنب المزايدة على السلع الأجنبية . وقد نص قانونها على أن الغرض من تكوينها هو الاحتفاظ باحتكار التجارة الخارجية .

إجراءات الكوهونج :

كان لهذا الاحتكار الذى أحكم تنظيمه من القوة ما جعل الأجانب يجأرون بالشكوى منه ، لأنه غل نشاطهم التجارى إلى حد كبير ؛ فقد كان كل تاجر يقع فى دائرة اختصاص أحد أعضاء الكوهونج الذى يشرف على دفع الرسوم الجمركية ويتولى بيع البضاعة الأجنبية التى يحملها التاجر وشراء المنتجات الصينية التى يعود بها إلى بلاده : وكثيراً ما كانت الرسوم الجمركية تجبى على السلع التى لم يتم بيعها ، ومع ذلك ظلت الشكاوى ضد الكوهونج عديمة القيمة ، لأن النقابة كانت هى الوسيلة الوحيدة للاتصال بكبار الموظفين الصينيين . وبرغم الاعتراضات الكثيرة التى أثارها الأجانب فقد ظل نظام الكوهونج نافذا دون انقطاع حتى عام ١٨٤٢ عدا فترات قليلة من الزمن .

القيود المفروضة على الأجانب :

بذل الصينيون أقصى جهدهم لمنع التجار غير المرغوب فيهم من الإقامة فى الصين ، وكان محرما على النساء الأجنبيات أن يطأن أرض الصين ، وسمح للتجار بالسكنى فقط فى الأحياء المحيطة بمتاجرهم ، وكان يطلب إليهم الرحيل عند تحول الرياح الموسمية إلى الجنوب الشرقى .

أسباب حرب الأفيون :

كانت العلاقات بين الصينيين والأوربيين يتخللها نزاع كثير وخلافات طويلة ، نظراً لاختلاف الثقافة والميول والأهداف والمنازع ، ولعل تجارة الأفيون كانت هى السبب الرئيسى فى النزاع الذى نشب بين الصين وبريطانيا ؛ فقد أدخل البحارة الأوربيون عادة تدخين الأفيون فى الصين فى القرن السابع عشر فانتشرت بسرعة فى جميع أنحاء البلاد ، وكان لها أسوأ النتائج . وفى عام ١٧٢٩ صدر أمر إمبراطورى بتحريم استيراد الأفيون ، ولكن هذا الأمر كان عديم الجدوى ، لأن تجارة

الأفيون كانت تدر أرباحا وفيرة حتى سهل ذلك على الأجانب تقديم الرشوة للموظفين الصينيين ليسمحوا لهم بتهريب الأفيون إلى الداخل .

شعور الصينيين بالتفوق :

اعتبرت الصين نفسها طوال عهود التاريخ « المملكة المركزية » ، فقد كانت مركزا لدائرة اقتصادية وثقافية عظيمة تنظر إلى ما حولها من الشعوب على أنهم أتباع يدينون لها بالطاعة . وإذا كان نظام الحكم الأوربى فى العصور الحديثة قد نشر فكرة المساواة القانونية بين جميع الأمم ، فإن الصينيين ظلوا يعاملون الأجانب معاملة من هم أدنى منهم سياسيا وثقافيا .

الدبلوماسية الإنجليزية الصينية :

بدأت شركة الهند الشرقية الإنجليزية تجارتها فى كانتون دون إنشاء علاقات دبلوماسية بين الصين وانجلترا ، وكانت أول بعثة إنجليزية نظامية أرسلت إلى الصين هى سفارة « كيبهارت » عام ١٧٨٧ ، وقد انتهت بوفاة كيبهارت عاجلا . وفى سنة ١٧٩٣ استقبل الامبراطور تشين لونج ثانى سفير إنجليزى ، وهو لورد « ماكارتنى » وأعفاه من أداء مراسم الـكاوتاو « السجود » ولـكن بعثته كذلك لم تثمر أية ثمرة .

بعثة أمهرست :

بعد هزيمة نابليون عام ١٨١٦ أرسلت بريطانيا مبعوثا خاصا هو لورد أمهرست ، لمحاولة تحسين العلاقات التجارية بينها و بين الصين ، وكان أمل بريطانيا وضع التجارة تحت حماية الإمبراطور مباشرة و إنشاء سفارة لهم فى بيكين ، ولـكن أمهرست رفض أداء مراسم « الـكاوتاو » كما رفض المثول بين يدى الإمبراطور دون تقديم أوراق اعتماده ، فصدرت الأوامر للسفارة البريطانية بمغادرة الصين .

لورد نابيير :

رغم الفشل الدبلوماسى والمضايقات المتعددة استمرت شركة الهند الشرقية الإنجليزية تمارس الاتجار مع الصين حتى انتهت مدة الاحتكار عام ١٨٣٣ . وفى ذلك الوقت عينت انجلترا لورد نابيير مراقبا للتجارة فى كانتون ، فحاول إنشاء علاقات مباشرة مع ممثل الإمبراطور فى كانتون ، فباءت محاولته بالفشل ، وأبلغ أنه ليس من واجبه أن يجعل اتصالاته فقط عن طريق الـكوهونج « نقابة التجار فى كانتون » ، بل عليه أيضا أن يحرر التماسا تدل صيغته على أنه مقدم من مرءوس إلى رئيس ، وقد مات نابيير سنة ١٨٣٤ فحاول خلفاؤه تنفيذ سياسة ودية .

الاختصاص القضائى :

كان هناك سبب هام للنزاع الدائم ، هو فهم أسس العدالة لدى الشرقيين ، وفهمها لدى الغربيين ؛ فالأمم الأوربية فى مطالع القرن التاسع عشر ، وإن ظلت قوانينها قاسـية ، إلا أنها لم تـكن تطبق قاعدة « العين بالعين » السائدة فى بلاد الشرق . وكانت عقوبة القتل الخطأ فى الصين كالقتل العمد هى الإعدام ، وكان الموظفون الصينيون هم المسئولون عن إثبات الإدانة فى كل جريمة ترتـكب ، فلم يكن يعنيهم كثيرا على من تقع الإدانة .

ومما زاد الخلافات القانونية سوءا أن الأوربيين الذين احترفوا التجارة فى الصين كانوا غالبا من المتمردين ذوى الأخلاق الشرسة ، فنشأت عن ذلك سلسلة من الأزمات ؛ ففى عام ١٧٨٠ نفذ حكم الإعدام فى بحار فرنسى لأنه ارتـكب جريمة قتل دفاعا عن نفسه ، وفى سنة ١٧٨٤ أرغم الصينيون البريطانيين على تسليم بحار بريطانى لتنفيذ حكم الإعدام فيه لقتله امرأتين صينيتين خطأ ، وكان هذا الحادث هو السبب فى أن أرسلت بريطانيا بعثة كيبهارت .

حادثة ترانوفا Terranova عام ١٨٢١ :

كان ترانوفا بحارا إيطاليا يعمل على سفينة أمريكية ، فاشترك فى جريمة قتل امرأة صينية فأرغم الصينيون القنصل الأمريكى على تسليمه ، وكان المعتقد أن الرجل برىء ، فأثارت هذه الحادثة مطالبة الأجانب المقيمين فى الصين بمحاكمتهم طبقا لقوانين بلادهم .

مساوىء الكوهونج :

لم يحل عام ١٨٣٠ حتى كانت التجارة الخارجية مزدهرة إلى حد بعيد ، ولكنها كانت مع ذلك احتكارا لقلة من التجار الصينيين . ولم يذق الأجانب من أعضاء الكوهونج ما ذاقوه بسبب الأسعار فحسب بل إن هؤلاء التجار كانوا يماطلون فى أداء ما عليهم من ديون دون أن يدفعوا تعويضا عن التأخير لهؤلاء الأجانب .

التوازن التجارى :

حلت كثرة الطلب على الأفيون المشكلة التى واجهها البريطانيون وهى إيجاد سلع يرغب الصينيون فى شرائها ؛ فقد كانت جميع السلع المشحونة إلى الصين تشمل الفضة والذهب اللذين يدفعان أثمانا للمنتجات الصينية ، فلما انتشر استهلاك الأفيون فى الصين انعكس الميزان التجارى لصالح البريطانيين .

وفى بضع سنين تدفقت كميات هائلة من الفضة إلى خارج الصين ، فكان لهذا أسوأ الأثر على الاقتصاد الصينى .

محاولة مراقبة التهريب :

احتكرت شركة الهند الشرقية البريطانية التى تشرف على موارد الأفيون فى الهند تجارة الأفيون ، واستغلت هذا الاحتكار بطريقة غير مباشرة فسمحت للمرتزقة من التجار البريطانيين بتهريب الأفيون ، ولما أصدرت حكومة المانشو أمرا آخر بتحريم

تجارة الأفيون سنة ١٧٩٩ لم يكن أثره أفعل من سابقه ، فلم يحل عام ١٨٣٣ حتى كانت قيمة الأفيون المهرب إلى الصين ١٥ مليون دولار ، ولم تقم الصين بمحاولة جدية لوقف هذه التجارة المفسدة للأخلاق إلا فى سنة ١٨٣٩ ، ولكن لم تكد تبدأ هذه المحاولات الجدية حتى انطلقت الشرارة الأولى لحرب الأفيون .

الحرب الإنجليزية الصينية الأولى ونتائجها

الصين تبرر موقفها :

كان الأفيون من وجهة نظر الصين هو السبب الوحيد فى النزاع بينها وبين بريطانيا ؛ فقد صمم الصينيون على مكافحة توريد الأفيون باعتباره شرا من الناحيتين الاقتصادية والخلقية .

المندوب السامى لِنْ Lin :

أشار بعض الموظفين الصينيين — كحل لمشكلة الأفيون — بإقرار تجارته قانونا كى تحصل الحكومة على دخل منه ، بينما رأى آخرون القضاء عليه لأسباب خلقية ، وقد تغلب رأى هؤلاء ، فجاء لن تسى هسو إلى كانتون فى مارس سنة ١٨٣٩ مزودا بسلطات خاصة لوقف تجارة الأفيون فيها ، بعد أن أثبت مقدرته على وقفها فى جهات أخرى . وبادر لِنْ بإصدار أوامره إلى جميع الأجانب بتسليم ما لديهم من الأفيون ، وتوقيع تعهدات بعدم الاشتراك فى هذه التجارة وإلا استحق المخالف منهم الإعدام . وقد استطاع لِنْ بمظهر القوة هذا أن يرغم الأجانب على تسليم ما قيمته ٦ ملايين دولار من الأفيون ، فقام بإعدام الكمية كلها بشكل أثار دهشة الأجانب .

الاختصاص القضائى :

لما تسلم لِنْ الأفيون سحب قواته وأعلن إبطال التجارة حتى تمضى التعهدات ، وقد وافق جميع الأجانب على هذا الإجراء عدا الإنجليز الذين أصر مراقب تجارتهم

كابتن إليوت على عدم الخضوع لأمر الإبطال ، وأمر التجار البريطانيين بمغادرة كانتون ، وظلت السلع البريطانية فترة من الزمن تنقل إلى كانتون على سفن أمريكية وأخرى غير بريطانية ، ومع ذلك اشترك بعض البحارة الإنجليز يوم ٧ يوليو فى شغب أدى إلى قتل أحد الصينيين ، فأثار هذا من جديد تلك المشكلة القديمة ، وهى مشكلة الاختصاص القضائى . ولما رفض إليوت تسليم البحارة الإنجليز الذين سبق توقيع العقوبة عليهم طبقا للقانون الإنجليزى منع لبنْ المواد الغذائية البريطانية عن هنج كنج ومكاو ، و بعد أسابيع من المفاوضات بدأ فى ٣ نوفمبر تبادل إطلاق النار بين السفن الصينية والسفن الحربية البريطانية ، وهكذا بدأت حرب الأفيون .

الأعمال العدوانية البريطانية :

فى ذلك الوقت عرض البريطانيون شروطا للصلح طلبوا فيها :

(١) أن تدفع الصين قيمة الأفيون الذى أعدم .

(٢) معاملة الموظفين البريطانيين معاملة لائقة تتفق مع القانون الدولى كما تفهمه الدول الغربية .

(٣) تنازل الصين عن جزيرة على بعد من سواحلها لضمان المزيد من الأمن لتجارهم وتجارتهم .

ضرب كانتون بالقنابل :

لقد رفضت الصين هذه الشروط ، فحاصر البريطانيون كانتون . ولما فشلت وسائل الإرهاب ضربوا المدينة فى يناير سنة ١٨٤١ بالقنابل فعرض الموظفون فى كانتون شروطا ، ولكن أول اتفاقية وضعت كان نصيبها الرفض من الجانبين . وفى مايو التالى دفعت بريطانيا مبلغا قدره ستة ملايين من الدولارات تعويضا للمدينة البائسة .

قيادة سير هنرى بوتنجر :

لما وصلت الإمدادات العسكرية بقيادة سير هنرى بوتنجر هاجم البريطانيون نانكنج فى الشمال حتى أصبحت تحت رحمة المدفعية البريطانية ، وكانت مقاومة الصينيين للقوات البريطانية الضئيلة عقيمة حتى إن الحكومة الصينية بادرت بالتسليم . وفى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٤٢ وقعت أول معاهدة من سلسلة المعاهدات غير المتكافئة التى أضاعت الكثير من سيادة الصين .

شروط الصلح :

بمقتضى معاهدة نانكنج فتحت كانتون وآموى وفوشو وننج بو وشنغهاى للتجارة الخارجية وصار من الممكن تعيين قناصل بريطانيين فى هذه الموانى ، كما صار فى استطاعة التجار البريطانيين استئجار الأرض للإقامة وللأعمال التجارية ، وتنازلت الصين لبريطانيا عن هنج كنج نهائيا ، وألغى نظام الكوهونج ، وأصبح التجار البريطانيون أحرارا فى الاتجار مع من يشاءون من التجار الصينيين . وطلب إلى الصين دفع تعويض قدره ٢١ مليون دولار منها ستة ملايين ثمنا للأفيون المصادر ، وثلاثة ملايين تسديداً للديون التى على الكوهونج ومضى موعد استحقاقها ، أما باقى المبلغ فتغطيه نفقات الحرب التى تكلفتها بريطانيا ، وأصبحت المراسلات بين الموظفين البريطانيين والصينيين قائمة على أساس المساواة ، ووافقت الصين على تعريفة جمركية موحدة أساسها قيمة السلع بحيث لا تتغير هذه التعريفة إلا بموافقة الطرفين .

وفى العام التالى فى ملحق معاهدة بوج Bogue منحت الصين البريطانيين المقيمين بها حق امتداد القوانين فى القضايا الجنائية ، كما أضافت إلى المعاهدة فقرة تكسب بريطانيا حق الدولة الأولى بالرعاية ، وهذا ضمن لبريطانيا الحصول على أى امتيازات إضافية قد تمنحها الصين للدول الأخرى مستقبلا .

معاهدة وانجهيا Wanghia :

أغرى الوضع البريطانى الجديد الدول الغربية الأخرى بالحصول على امتيازات تحددها معاهدات ، ففى سنة ١٨٤٤ أرسلت الولايات المتحدة كالِبْ كوشنج إلى الصين لبدء علاقات بين الحكومتين الأمريكية والصينية على أساس إبرام معاهدات ، وبعد شهرين انقضيا فى التسويف والمداورة الصينية ، ظفر كوشنج بمعاهدة وانجهيا فى ٣ يوليو سنة ١٨٤٤ التى تضمنت أغلب شروط المعاهدتين البريطانيتين وفاقتهما فى موضوع نصوصها ، وفى اتساع نطاق حق امتداد القوانين للرعايا الأمريكيين المقيمين بالصين ، فقد شمل هذا الحق القضايا المدنية والجنائية معا .

المعاهدة الفرنسية :

كانت المعاهدة الفرنسية عام ١٨٤٤ ذات أهمية خاصة نظرا لما تضمنته من نواح دينية ، فتأكيدات فرنسا المتكررة بحمايتها للكاثوليك جعلت المذهب الكاثوليكى حقا مشروعا للأجانب والوطنيين على السواء ، وبذلك أعيدت أملاك الكاثوليك التى صودرت سنة ١٧٢٤ ، ونتيجة لهذه الامتيازات التى منحت للكاثوليك منحت جميع الديانات الأجنبية الأخرى نوعا من التسامح فى عام ١٨٤٩ .

نمو شنغهاى :

لم يثبت أن لغير شنغهاى وكانتون من الموانى الخمسة التى شملتها المعاهدة أية قيمة كبرى ، وقد كان موقع شنغهاى قرب مصب نهر يانج تسى كيانج مثاليا لاستغلال موارد وادى هذا النهر العظيم ، ونظرا لأن المدينة لم تقف موقفا عدائيا من الأجانب فقد تعاون الصينيون فيها تعاونا تاما مع هؤلاء الأجانب على تنمية أعمال الميناء وتيسيرها ، وإعداد مساحة من الأرض تتسع لإقامة الجاليات الأجنبية .

فتنة تايبنج

كانت فتنة تايبنج الكبرى — التى قد تعتبر أشد أنواع الفتن تدميرا فى جميع العصور — إحدى النتائج غير المباشرة لاحتكاك الصينيين بالأجانب احتكاكا كان يزداد على الأيام .

أسباب ثورة تايبنج :

كانت هذه الثورة ظاهرة اجتماعية معقدة ، وكانت فى نفس الوقت تمرد أقلية مضطهدة وفتنة بين طبقة الزراع ، ومظهر دين جديد وثورة ضد الأسرات الحاكمة ، وسلسلة من غارات القراصنة ورجال العصابات ، ومع ذلك فالمرجح أن سببها الرئيسى كان هو السخط الذى تفشى بين طبقة الزراع ضد جهاز حكومى فاسد .

هونج هسيو تشوان :

كان « هونج هسيو تشوان » قائد هذه الثورة ، معلما فى إحدى مدارس القرى فشل فى اختبارات الخدمة المدنية ، وفى سنة ١٨٣٣ وصلته بعض رسائل دينية بروتستانتية ثم انتابه مرض . وفى أثناء مرضه رأى عدة رؤى لم يجد لها تفسيرا إلا فى هذه الرسائل المسيحية ، واستنتج هونج من قراءتها أنه الأخ الأصغر للمسيح أرسل بوحى مسيحى جديد لهداية عالم ضال . وبعد أن حصّل مزيدا من التعاليم الدينية بواسطة أحد المبشرين الأمريكيين من طائفة المعمدانيين وهو « إيساكر روبرتس » أخذ هذا النبى الجديد فى جمع عدد كبير من الأتباع من بين الزراع الساخطين فى إقليم « كوانجسى » .

الأعمال العسكرية الأولى :

بعد أن أعلنت السلطات فى كوانجسى أن هونج خارج على القانون ، بدأ هو فى سنة ١٨٥١ ثورة واسعة النطاق على حكومة المانشو ، فزحف بأتباعه الذين لا يتجاوزون

بضعة آلاف نحو الشمال فى اتجاه نهر يانج تسى كيانج ، وكان كلما تقدم ازداد عدد أتباعه ، ولم تستطع الجيوش التى تعمل تحت لواء المانشو ، ولا القوات الإقليمية أن تقف فى وجه ثوار تايبنج المتعصبين . و بعد أن استولى هؤلاء الثوار على شانجشاو ووتشانج أبحرت قواتهم نحو مصب نهر يانج تسى إلى مدينة نانكنج حيث ذبحت عشرين ألفا من المانشو ، واتخذت المدينة عاصمة لها .

التوسع نحو الشمال :

بقى هونج فى نانكنج لتنظيم حكومته ودياناتها ، بينما زحفت بعض قواته نحو شمال الصين حتى منيت بالهزيمة قرب بيكين على يد قبائل المغول التى لجأ إليها المانشو طلبا للمعونة .

حكومة تايبنج :

كان هونج قبل استيلائه على نانكنج قد أعلن نفسه إمبراطورا على « تايبنج تين كوا » أو « مملكة السماء ذات السلام الشامل » أما فى نانكنج فقد تولى قواد آخرون الحكومة الفعلية لإمبراطورية تايبنج ، بينما تفرغ هونج للدراسات والكتابة الدينية ، ومع أن الحروب المستمرة حالت دون تطبيق جميع نظرياته تطبيقا عمليا ، فقد كان هدف ثورة تايبنج إنشاء حكومة دينية شبه شيوعية وأغراضها الرئيسية هى :

١ — القضاء على المانشو وإقامة أسرة حاكمة وطنية يرأسها هونج الذى اختاره الله « يَهُوَا » لحكم الصين وبقية العالم .

٢ — تنفيذ مبدأ الإخاء الإنسانى وذلك بإعادة توزيع الثروة وتقسيم الأرض بالتساوى . وقد ظهرت آثار حكومة تايبنج الأولى فى التدريب العسكرى الصارم الذى أخذت به جيوشها حتى أصبحت تفوق كل القوات الصينية المعارضة لها .

ديانة تايبنج :

كانت ديانة تايبنج فى أساسها مسيحية بروتستانتية مختلطة بكثير من الطقوس الدينية : الكنفوشية والبوذية والتاوية ؛ وقام التايبنجيون بنوع من التعميد دون أن يدركوا طبيعة العشاء الربانى ، وأدت بهم معارضتهم العنيفة للصور الدينية إلى تدمير جميع الصور والأوثان حيثما وجدوها ، سواء أكانت فى المعابد البوذية أم فى الكنائس الكاثوليكية . أما الوصايا العشر فكانت تتلى فى مناسبات رسمية منتظمة ، وكانوا يعبدون المسيح باعتباره « الأخ الأكبر السماوى الأعلى للمصلح الدينى هونج هسيوشوان » وكانوا يعتقدون كالمسلمين أن من مات وهو يجاهد فى سبيل العقيدة يدخل الجنة .

فشل المبشرين الأجانب :

لم يكن بين الملايين من ثوار تايبنج من تلقى تعليما مسيحيا حقيقيا غير هونج وآخر . ولهذا كثرت الأخطاء المذهبية ، وهالت المبشرين الأجانب أخطاء هونج ومزاعمه ، حتى عجزوا عن تصحيح الأوضاع الدينية فى تايبنج ، ولم يستطع أحد منهم أن يقوم بمحاولة فعالة لتلقين تعاليم دينية جديدة إلا روبرتس المعلم الأول لهونج فى كانتون ، ومع ذلك فإنه لم يتمكن من الوصول إلى نانكنج إلا بعد أن كانت تعاليم تايبنج قد ثبتت جذورها فباءت جهوده بفشل ذريع .

استمرار النزاع :

على الرغم من انشغال هونج بالمسائل الدينية فقد كانت قوات تايبنج نشيطة قوية ، وقد أفلحت قوات المانشو فى فرض حصار جزئى على نانكنج ، أما فى النواحى الأخرى فقد استطاعت جيوش تايبنج غزو أقاليم هونان وأنهوى وكيانجسى، وتبادلت القوتان الاستيلاء على بعض المدن أكثر من ست مرات فى مدى ثلاث سنوات ، وفى كل مرة كان يصيب هذه المدن الكثير من التدمير ، ولم تلق قوات تايبنج مقاومة جدية إلا من « شجعان هونان » وهم قوة من المتطوعين يقودهم الأديب المتقاعد « تسنج كوو فان » .

ثالوث شنغهاى :

لقد حارب المانشو أيضا قوات غير نظامية لا تمتُّ لحركة تايبنج بصلة ، ووقعت شنغهاى سنة ١٨٥٣ فى أيدى إحدى هذه القوات التى تقودها جمعية سرية تعرف بالثالوث ، وظلت قوات هذا الثالوث قابضة على أزمة الأمور بالقطاع الأجنبى من شنغهاى حتى اضطرت إلى الجلاء عنه تحت ضغط الأجانب .

قوة تايبنج تصل إلى الذروة :

فى يونيو سنة ١٨٥٦ استطاعت قوات تايبنج أن تطرد قوات المانشو من منطقة نانكنج تحت زعامة جديدة قوية ، ولو كانت لدى الثوار زعامة موحدة لاستطاعوا القضاء نهائيا على الإمبراطورية ، ولكن ما ظهر من شقاق بين صفوفهم فى ذلك الوقت أدى إلى ذبح عدد من أقدر القواد ، وكان من الممكن حينذاك أن تنهار قوات الثوار لولا أن جيش المانشو أظهر وحشية ضد الجميع حتى التايبنجيين المشتبه فيهم ، ولم يمنعه من إعادة فتح الأقاليم التى استولى عليها الثوار إلا حرب « أرو Arrow » فقد هيأت هذه الحرب الفرصة أمام حكومة تايبنج لإعادة تنظيم جيوشها ، واسترداد قوتها .

وفى سنة ١٨٦٠ ظهرت فئة جديدة من قواد تايبنج جددت العدوان .

حرب أرو وإعادة النظر فى المعاهدات

استمرار النزاع بين الصينيين والأجانب :

لم يستأصل توقيع معاهدات ١٨٤٢ — ١٨٤٧ المشاكل القائمة بين الصينيين والأجانب ، فقد ساد الصينيين شعور بأن هذه المعاهدات منحت الأجانب من الامتيازات أكثر مما ينبغى ، ولهذا ظلت الصين دائما تراوغ فى تنفيذ الالتزامات التى أوجبتها هذه المعاهدات ، أما الأجانب فقد ألحوا فى طلب مزيد من الامتيازات لعدم اكتفائهم بما نالوه منها .

كانتون مركز الاضطرابات :

كانت كانتون مركزا لكثير من الاحتكاك بسبب عدائها للأجانب ، وكان الحكام الصينيون يغذون هذا الشعور المعادى للأجانب ، ويتخذونه ذريعة لرفض الإذعان لشروط المعاهدة التى تقضى بفتح المدينة للتجارة الخارجية . وأصرّ «ييه Yeh» — وهو الذى يمثل أشد عناصر الموظفين الصينيين صلابة — على مجانبة الاتصال بالدبلوماسيين الأجانب رغم اقتراب العاصفة .

عدوان الغربيين :

أما الغربيون فكثيرا ما أساءوا من جانبهم استعمال الحقوق التى رسمتها لهم المعاهدة أو تجاوزوها ، فتجارة الأفيون التى أغفلتها المعاهدات بلغت كميتها ثلاثة أضعافها فى خمس عشرة سنة ، وكذلك بدأ الأجانب الاتجار المحظور فى العمال الصينيين «السكولى» فى آموى ، ومارست كل الدول المرتبطة بمعاهدات مع الصين حق امتداد قوانينها على رعاياها فى الصين دون مراعاة لأى قيد ، بل إنها جميعا — فيما عدا بريطانيا — رفضت قبول المسئوليات التى تضمنتها هذه الحقوق ، وعمد القراصنة ومهربو الأفيون وتجار السكولى إلى استخدام أعلام أجنبية لحماية عملياتهم غير المشروعة ، كما ازدهر نظام الإتاوات التى تجبى لحراسة القوافل البحرية فى ظل هذه الحماية .

الباعث على النزاع المسلح :

تجمعت المظالم الكثيرة فى كلا الجانبين ، ولم تبق إلا شرارة لإضرام نار لنزاع مسلح جديد . وكان من المستطاع أن يتردد البريطانيون كيلا يقوموا بعمل منفرد ، ولكن الصينيين هيأوا لهم حليفا بإثارة أحقاد فرنسا ، ففى سنة ١٨٥٣ نقض الأب « شابدلين » وهو مبشر كاثوليكى فرنسى شروط المعاهدة بأن افتتح دارا للتبشير فى إقليم كيانجسى ، خارج حدود الميناء التى نصت عليها المعاهدة . وبعد مضى ثلاث سنوات من التبشير السلمى قبض على الأب شابدلين وأتباعه وأعدموا باعتبارهم ثوارا انتهكوا حرمة القانون ،

ولما كان نابليون الثالث يسعى إلى كسب مجد يعزز به تاجه الجديد ، فقد انتهز هذه الفرصة واتفق مع انجلترا على عمل مشترك ضد الصين .

حادث لوركا أرو :

إن الحادث الذى دفع بريطانيا إلى القيام بعمل عسكرى كان نتيجة تقليد يسمح للسفن الصينية بأن تسجل تسجيلا بريطانيا ، إذ كان القرصان وجامعو الإتاوات من حراسة قوافل السفن أكثر ميلا لاحترام العلم الأجنبى ، وتبعا لذلك سعى كثير من أصحاب السفن الصينية للحصول على هذا النوع من الحماية لنشاطهم المشروع وغير المشروع . وفى سنة ١٨٥٦ أمر الحاكم « ييه » بعض الموظفين بتفتيش السفينة « لوركا أرو » التى ترفع العلم البريطانى بحجة أنها تأوى أحد القراصنة ، وكان أن أهين العلم البريطانى وألقى بالبحارة الصينيين فى السجن ، ولما طالبت بريطانيا بإطلاق سراحهم وتقديم اعتذار عما حدث أهمل طلبها .

بدء حرب أرو :

حصلت القوات البحرية البريطانية على موافقة رسمية من لندن باتخاذ إجراءات عسكرية ، فاستولت على الحصون التى تحمى كانتون ، وألقت القنابل على مقر الحاكم «ييه» ومع ذلك لم يقدم لبريطانيا أى اعتذار ، وعندما انسحب البريطانيون بعد أن أحدثوا ثغرة فى سور المدينة ، أرسل الحاكم « ييه » تقريرا إلى بيكين بأن الصينيين أحرزوا نصرا مبينا .

أسر الحاكم « ييه » :

تأخر وصول الإمدادات العسكرية البريطانية بقيادة لورد إلجن Elgin إلى الصين حتى عام ١٨٥٧ بسبب ثورة الجنود الوطنيين فى الهند ، ونتيجة لذلك لم تكن هناك إلا معارك بحرية متفرقة حتى وصل لورد إلجن . وفى يوم عيد الميلاد سنة ١٨٥٧ جددت

المعارك بإلقاء البريطانيين القنابل على كانتون والاستيلاء عليها ، وقبض على « ييه » في أثناء محاولته الهرب ، ومات أسيرا بالهند فى العام التالى .

الاستيلاء على حصون تاكو :

نقل البريطانيون والفرنسيون ميدان القتال بعد ذلك إلى أقرب الموانى لمدينة بيكين ، وقد سقطت حصون تاكو التى كان الصينيون يعتبرونها مراكز دفاعية منيعة تحمى مصب نهر « بى هو » بسهولة أمام المدفعية الغربية ، فبادر الصينيون بطلب الصلح .

معاهدات تينتسين ١٨٥٨ :

وقعت الصين معاهدات جديدة مع الدول الغربية فى تينتسن ، ورغم أن الولايات المتحدة وروسيا لم تشتركا فى المعركة فقد أرسلتا مندوبيهما الدبلوماسيين للاشتراك فى جنى ثمار النصر . وبموجب هذه المعاهدات التى اشتركت فيها جميع الدول طبقا للفقرات التى تنص على حق الدولة الأولى بالرعاية :

١ — اكتسبت الدول الموقعة حق استقبال سفرائها فى بيكين على أساس المساواة الدولية دون أداء مراسم الكاوتاو .

٢ — صرح للأجانب بالاتجار فى عدة موان أخرى حددتها المعاهدات بما فيها من موان عدة بأعالى نهر يانجتسى ، وفى الداخل .

٣ — أعيد الاعتراف بحق امتداد القوانين مع توسيع نطاقه .

٤ — التسامح الدينى مع المسيحيين .

٥ — وضعت شروط محددة لإعادة النظر فى المعاهدة .

٦ — أصبحت تجارة الأفيون مشروعة .

تجدد النزاع :

ما لبث الصينيون أن عادوا يتحللون من تنفيذ التزامات المعاهدة وأخروا التصديق الرسمى عليها من حكومة بيكين ، وهو إجراء لازم لتنفيذ المعاهدات ، وظهرت نياتهم واضحة بعد أن أحكموا تحصين مصب نهر « بى هو » ، فجددت القوات الإنجليزية والفرنسية الهجوم ، وحاولت قواتهم أولا الاتجاه إلى أعالى النهر ، فتصدى لها الصينيون ، وفى العام التالى أرسل الفرنسيون والبريطانيون حملة مشتركة مكونة من عشرين ألف رجل فاستولت على الحصون واتجهت شمالا إلى تينتسن .

سقوط بيكين :

ولما كان لورد إلجن مصمما على إحراز نصر كامل ، فقد أرسل مفاوضين صينيين مرة ثانية إلى الإمبراطور ومعهم إنذار نهائى ، ثم أصدر أوامره إلى قواته بالتحرك نحو بيكين ، فعاد الصينيون إلى فتح باب المفاوضات وكانوا يدبرون حيلة للقبض على « هارى باركس » المبعوث البريطانى . ولكنهم لم يصيبوه بسوء ، بل أذاقوا ثمانية عشر رجلا من أعوانه العذاب حتى الموت ، ورأى البريطانيون والفرنسيون أن يقتصوا من الصينيين بسبب هذه الإهانة ، فدمروا قصر الإمبراطور الصيفى فى بيكين ، فلم يسع هذا الإمبراطور الفاسق إلا الهرب إلى جيهول تاركا أخاه الأكبر كوانج لمواجهة الأجانب .

اتفاقيات بيكين ١٨٦٠ :

تمكن الأمير كوانج بحكمته من عقد سلسلة جديدة من الاتفاقيات مع الأجانب أطلق عليها اسم اتفاقيات بيكين ، وهذه الاتفاقيات :

١ — ضمنت للسفراء الأجانب حق الإقامة فى بيكين .

٢ — ضمت كولون إلى القاعدة البريطانية فى هنج كنج .

٣ — أصبحت تينتسن ميناء مفتوحة كبقية الموانى التى شملتها المعاهدات .

٤ — أقرت شرعية الاتجار فى الـكولى « العمال الصينيين » .

٥ — أعادت إلى الـكاثوليك كل أملاكهم التى صودرت منذ ١٧٢٤

الدبلوماسية الروسية :

بعد أن اقتسمت روسيا المغانم مع بريطانيا وفرنسا عام ١٨٥٨ تظاهرت بصداقة الصين ، وفى الوقت الذى جدد فيه البريطانيون والفرنسيون هجومهم ، كانت روسيا تقدم المشورة إلى الصينيين . ولـكن بعدعقد اتفاقيات بيكين عادت روسيا تطالب بنصيبها من الصين البائسة فأجيبت هذه المطالب . وفى نوفمبر سنة ١٨٦٠ تنازلت الصين لروسيا عن الإقليم الساحلى فى شمال منشوريا ومنحتها امتيازات تجارية واسعة ، وهكذا خاضت بريطانيا وفرنسا الحرب وفازت روسيا بمغانم السلم . .

الفصل الخامس

اضمحلال الصين ١٨٦٠ — ١٨٩٤

بعد الهزائم والمعاهدات الإجبارية المذلة التى أبرمت فى عامى ١٨٥٨ و ١٨٦٠ ضعفت أسرة المانشو وذهبت ريحها ، وفى أثناء السنوات التالية أصيبت البلاد بالثورات الداخلية وأعمال السطو والنهب والفياضانات والأوبئة ، ولكنها كافحت فى الخارج لحفظ مركزها ضد الضغط الأجنبى المتزايد .

التطورات السياسية

انقلاب تزو هسى :

عند وفاة الإمبراطور هسين فنج فى أغسطس سنة ١٨٦١ تولى الملك بعده ابنه من محظيته يهونالا ، وكان عمره خمس سنوات ، وتنفيذا لوصية هسين فنج سلمت مقاليد الإشراف على المُلك إلى ثلاثة أوصياء ، ومنحت يهونالا لقب « تزو هسى » . باعتبارها أرملة الإمبراطور الصغرى ، وقد انضمت هذه المرأة الداهية المحبة للسيطرة عاجلا إلى الأمير كونج شقيق الإمبراطور المتوفى لإضعاف سلطان الأوصياء . ولم ينته عام ١٨٦١ حتى سيطرت على العرش وأمكنها أن تتغلب بسهولة على الوصيين الآخرين وهما تزو آن الأرملة الكبرى للإمبراطور والأمير كونج .

الحكم فى عهد تزو هسى ١٨٦١—١٨٧٣ :

كانت تزو هسى أو « بوذا العجوز » تكره الأجانب وتعارض بعنف كل البدع الغربية ، فازدادت سلطة خصيان القصر الإمبراطورى ودسائسهم ، وأصبح تعيين الموظفين لا يتم إلا بواسطة الرشوة . أما وزارة الخارجية الصينية « تسونجلى يامن »

التى أنشئت تنفيذا لمعاهدات تينتسن ، فقد بقيت الدائرة الحكومية الوحيدة التى تضم الموظفين الأكفاء من أمثال « تسنج كوو فان » و « لى هونج تشانج » و « تشانج تشى تونج » الذين ساهموا فى وضع سياسة الصين الخارجية وفى تشجيع الإصلاح الداخلى .

بلوغ الإمبراطور تونج تشيه سن الرشد ١٨٧٣ — ١٨٧٥ :

بلغ الإمبراطور الشاب سن الرشد رسميا فى سنة ١٨٧٣ ولكنه ظل تحت إشراف والدته « تزوهسى » طوال السنتين التاليتين إلى حين وفاته عام ١٨٧٥ ولم يحدث فى هذه الفترة أى تغيير فى الحكم .

الإمبراطور كوانج هسو ١٨٧٥ — ١٩٠٨ :

لقد توفى الإمبراطور تونج تشيه ولم يترك وارثا فنجحت تزوهسى فى اختيار ابن أخيها لوراثة العرش باسم الإمبراطور كوانج هسو ، وبذلك احتفظت « بوذا العجوز » بسيطرتها على العرش رغم معارضة الأمير كونج وغيره .

ضياع الأقاليم :

فى الفترة الطويلة التى كانت تزوهسى فيها وصية على العرش فقدت الصين الدول الخاضعة لسيادتها مثل بورما والهند الصينية لتنازلها عنهما لبريطانيا وفرنسا ، كما ضعف سلطانها على إقليمى سينكيانج ومنغوليا الخارجية .

فشل الإمبراطور كوانج هسو :

تسلم الإمبراطور كوانج هسو زمام حكم الصين وهى منتقصة الأطراف عام ١٨٨٩ ، فلم يقم بأى تحسين فى نظام حكمها حتى وقعت كارثة الحرب الصينية اليابانية ، فإن الإذلال الذى نتج عن هذه الحرب دفعه إلى التعاون مع الأحرار من رجال البلاط ، فسارعوا إلى محاولة إجراء سلسلة من الإصلاحات الهامة سنة ١٨٩٨ ، ولكنهم إذ فشلوا فى تنفيذ هذه الإصلاحات عادت تزوهسى ومعها الرجعيون إلى السلطة .

النكبات الداخلية

السنوات الأخيرة لثورة تايبنج ١٨٦٠ — ١٨٦٥ :

استلزمت معاهدات تيتسن « ١٨٥٨ — ١٨٦٠ » فتح نهر يانج تسى للتجارة بعد سحق ثورة تايبنج ، فقد كان من صالح الأجانب القضاء على الثورة ، ولذلك بدأت قوات نظامية بريطانية وفرنسية تتعاون مع المانشو على طرد ثوار تايبنج من منطقة الموانى ، كما قدمت الدولتان مساعدات إضافية من المؤن للجيش الصينى .

جيش النصر :

فى سنة ١٨٦٠ قام فردريك وارد الأمريكى بجمع جيش مختلط من أهالى الفلبين والمرتزقة من الغربيين لتعزيز مركز الاستعمار فى الصين ، وأطلق على هذا الجيش « جيش النصر » .

وبعد أن أحرز هذا الجيش عدة انتصارات اندمج فى القوات الإمبراطورية الصينية تحت قيادة كووفان عام ١٨٦٢ ، ولما مات فردريك فى نفس العام تولى القيادة بدله الماجور تشارلس جوردون من رجال الجيش البريطانى .

انتصارات القوات الإمبراطورية :

ظلت هذه القوات المختلطة التى يقودها تسنج كووفان و « لى هنج تشانج » والجنرال « فردريك وارد » ، يساعدها عدة آلاف من رجال الجيش والأسطول والبحارة البريطانيين والفرنسيين ، تدفع ثوار تايبنج إلى الوراء . وفى ديسمبر سنة ١٨٦٣ سقطت سوتشو فى أيدى قوات الحكومة ، كما تم الاستيلاء على هانجشو فى مارس التالى ، وبعد سقوط شانجشو فى مايو سنة ١٨٦٤ سرح « جيش النصر » وترك خوض المعارك النهائية للقوات الصينية النظامية ، فسقطت نانكنج عاصمة الثوار فى يوليو سنة ١٨٦٤ بعد انتحار « هونج هسيو تشوان » إمبراطور تايبنج ، ومع ذلك لم يتم أسر بقية قوات تايبنج قرب آموى إلا فى مايو سنة ١٨٦٥ .

نتائج ثورة تايبنج :

أفنت الثورة نحو عشرين مليونا من الصينيين بطريق مباشر أو غير مباشر ، وخربت تسع مقاطعات ، وأفقرت خزائن أسرة المانشو بسبب النفقات التى تكبدتها فى القضاء على الثورة والخسائر التى تحملتها لعجزها عن جباية الضرائب . ومنذ أعلن زعماء تايبنج اعتناقهم للمسيحية بدأ الموظفون الصينيون يعتبرون هذه الديانة مرضا خبيثاً .

ثورة يونان ١٨٦٠ — ١٨٧٣ :

المعتقد أن مسلمى يونان هم سلالة جيش إسلامى أرسله أحد الخلفاء لمساعدة الصين فى إحدى حروبها فى القرن التاسع ، وقيل إن هذه القوة تمردت واستقرت فى يونان ، ثم أصبحت صينية دما بالتزاوج مع الصينيين ، ولكنها احتفظت بطابعها الحربى الإسلامى . وفى سنة ١٨٦٠ قامت هذه الجماعة بثورة يرجع سببها غالبا إلى نزاع اقتصادى حول الإشراف على موارد يونان المعدنية الهائلة ، ولما حرض الحكام الصينيون المحليون على إحداث مذبحة بين المسلمين انتشرت الثورة على نطاق واسع واستمرت ثلاث عشرة سنة تحت قيادة السلطان سليمان « تو ون هسيو » .

إخماد الثورة :

ساعد الصين على إخماد هذه الثورة جماعة من المسلمين قدموا خدماتهم للمانشو لمحاربة إخوانهم فى الدين ، فقامت القوات المشتركة الإمبراطورية والإسلامية بمحاصرة « تالى فو » عاصمة الثوار سنة ١٨٧٣ واستولت عليها ، ولما تم لهم النصر أعملت القوات الإمبراطورية السيف فى رقاب المسلمين ، وكانت مذبحة بشعة أضافت آلافا أخرى إلى الآلاف التى ذبحت من قبل .

ثورة سينكيانج :

ساهمت ثورة سينكيانج مساهمة فعالة فى إضعاف أسرة تشنج ، وقد بدأت هذه الثورة سنة ١٨٦٦ حين أسس رجال القبائل فى « إيلى Ili » بشمال سينكيانج دولة إسلامية

مستقلة ، وتبعت ذلك ثورة قبائل « دونجارى » فى شرق سينكيانج ، ولم تقتصر هذه القبائل على بسط سلطانها على هذا الإقليم ، بل اكتسحت إقليم كانسو ، وتوغلت فى إقليمى شنسى وهوبيه .

القائد تسو تسونج تانج يخمد الثورة :

على الرغم من أن قوى الصين كانت قد اضمحلت ، فقد استطاع القائد الإمبراطورى القدير تسو تسونج تانج أن يؤلف جيشا صينيا قويا حسن التنظيم ويطرد الثوار خارج حدود الصين الأصلية فى مدى عشر سنوات ، واسترد كل أراضى سينكيانج عدا مقاطعة إيلى التى كانت روسيا ما زالت تحتلها ، ولم تستردها الصين إلا فى سنة ١٨٨١ بعد عقد معاهدة بطرسبورج .

نكبات الطبيعة :

فى عامى ١٨٧٧ و ١٨٧٨ قضى القحط والمجاعة والوباء على نحو عشرة ملايين صينى فى وادى النهر الأصفر ، كما أن الأمطار التى عز سقوطها فى الشمال هطلت بغزارة فى الجنوب فسببت الدمار لعدة مقاطعات ، وفى عام ١٨٨٦ شمل الفيضان المناطق الشمالية ، وحول النهر الأصفر الذى أطلقوا عليه اسم « أحزان الصين » مصبه بعيداً عن شمال إقليم شانتونج بنحو مائة ميل إلى كيانجسو ، وكان من أثر ذلك أن آلافا ممن هربوا من الموت غرقا بسبب الفيضان ماتوا جوعا لتحول مجرى النهر عنهم .

انتشار السلب والنهب :

وقد أرغمت الآلام التى سببتها الثورات والكوارث الطبيعية والمجاعة آلاف الفلاحين والعمال على الانضمام إلى عصابات اللصوص التى تظهر فى مثل هذه الظروف وتعيث فى الأرض فسادا .

نمو الشعور المعادى للمسيحية

نشاط الإرساليات التبشيرية :

اكتسبت المسيحية وضعا قانونيا فى الصين بمقتضى معاهدات تينتسن عام ١٨٨٥ كما أن المعاهدات التى عقدت بين الصين وكل من فرنسا وروسيا أجازت للمبشرين التغلغل فى داخل البلاد ، فقد كانت هناك فقرة فى الاتفاقية الفرنسية الصينية المعقودة سنة ١٨٦٠ تبيح للمبشرين الكاثوليك الفرنسيين حق تعليم المذهب الكاثوليكى والإقامة فى داخلية بلاد الصين ، وكان هناك تنازع على هذه الفقرة ونتيجة لهذا الشرط المتنازع عليه اتخذ الأساقفة والقسس الفرنسيون لأنفسهم مركزا شبه رسمى يسوى بينهم و بين الموظفين المحليين الصينيين ، وطالب البروتستانت بحقوق تبيح لهم بناء الكنائس ومزاولة التعليم الدينى بجميع أنحاء الصين ، بينما أراد المبشرون أن يشمل حق امتداد القوانين جميع المواطنين الصينيين الذين اعتنقوا المسيحية ، بل إن الحكومة الفرنسية بسطت حمايتها الفعلية على الكاثوليك الصينيين ، ولكن هذه الدعاوى ظلت موضع نزاع واعتراض من الموظفين الصينيين الذين استنكروا الافتيات على سلطتهم .

تعاليم تبشيرية مشئومة :

أخذ المبشرون الكاثوليك والبروتستانت يلقنون أتباعهم من معتنقى المسيحية الصينيين أن ديانات الصين التقليدية وثنية آثمة ، وهاجموا عبادة الأسلاف وهى من مقدسات المجتمع الصينى والديانة الصينية ، ومنعوا هؤلاء الأتباع من المحافظة على المعابد والأضرحة القروية والعائلية ، والمساهمة فى نفقات أعياد القرية التى تحمل الطابع الدينى ، فمزقت هذه التعاليم شمل الأسر ، وتدخلت فى شئون حياة أهل القرى وطقوسهم الدينية ، وأضعفت الروابط التى تربطهم بالسلطات الصينية .

الشعور المعادى للمسيحية :

شجع البير وقراطيون ورجال الأدب الشعور المعادى للمسيحية خصوصا بعد أن أظهرت لهم ثورة تايبنج ما فى التعاليم المسيحية من خطر ، ولما كانت تعوزهم القوة الكافية لطرد المبشرين الأجانب فقد عمدوا إلى تحريض الجماهير على الثورة ، وأثارت الإشاعات الكاذبة والمهاترات الأدبية البذيئة الشعب ، كما حرضت على مهاجمة المبشرين فى جميع أنحاء الصين ، فخربت الكنائس وممتلكات الإرساليات التبشيرية وقتل المبشرون ومعتنقو المسيحية من الصينيين . وقد استخدمت فرنسا وبريطانيا سفنهما الحربية مراراً لحماية المبشرين أو لفرض غرامات على من يتصدى لهم ولكن الهجوم على الإرساليات الإنجليزية توقف تقريبا بعد أن أعلن لورد كلارندون عام ١٨٦٩ تخليه عن سياسة التظاهر بالقوة باستخدام السفن الحربية ، ولكن الهجوم على الإرساليات الفرنسية أخذ يزداد .

مذبحة تينتسن ١٨٧٠ :

كان الشعور المعادى للفرنسيين قويا حول تينتسن بسبب مسلكهم أثناء احتلال الحلفاء المدينة سنة ١٨٦٠ — ١٨٦١ وأصبح ملجأ الأيتام الكاثوليكى فى تينتسن مصدر اضطراب دائم ، فقد اتهم الراهبات والقسس بأنهم يمارسون السحر الأسود ، وأثار الموظفون المشاغبون رعاع تينتسن ، فحطموا الكثير من ممتلكات الكنيسة ، وقتلوا القنصل الفرنسى ، كما قتلوا خمسين من الأجانب والمسيحيين الصينيين . واستطاعت حكومة بيكين تسوية المشكلة بإرسال بعثة إلى باريس لتقديم اعتذار عما حدث ، ودفع تعويض عن القتلى وإصلاح ما خرب ، وساعدها على إبرام هذه التسوية قيام الحرب الفرنسية الروسية التى أضعفت مركز فرنسا .

مواصلة الهجوم على المبشرين :

أدت الحرب القائمة بين الصين وفرنسا بسبب « أنام » إلى ازدياد مهاجمة

المسيحيــة والأجانب ، ووقعت اضطرابات خطيرة مضادة للمبشرين فى إقليمى كوانجتونج وسيشـــوان فى عامى ١٨٨٤ و ١٨٨٦ ، وفى وادى اليـــانجتسى عامى ١٨٩٠ و ١٨٩١ .

الأجانب فى خدمة الصين

لقد تجلت لنـا درجة الانحطاط التى وصلت إليها الصين ، وعجز جهازها الحـكومى ، واعتمادها على الأجانب فى الوظائف الحـكومية الهامة العسكرية والمدنية .

إدارة التفتيش على الجمارك :

ونظراً لصعوبة جباية الرسوم الجمركية أثناء ثورة تايبنج ، فقد نظمت إدارة للتفتيش على الجمارك سنة ١٨٥٤ بينها مندوبون فرنسيون وبريطانيون وأمريكيون ، ومهمتها تحصيل الرسوم الجمركية ، ورسوم الميناء ، ومنع التهريب ، وصيانة الموانى ، وقد كانت إدارة الجمارك — وأغلب موظفيها من الأجانب — أقدر فروع الإدارة بحكومة الصين فى عهد سير روبرت هارت الذى شغل وظيفة المفتش العام للجمارك من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٩٠٨ .

العلاقات الدبلوماسية

ظلت الصين آلاف السنين مملـكة مركزية تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع دول تابعة أو دول تدفع لها الجزية . ورغم الهزائم والمعاهدات التى عقدت فى ١٨٤٢ ، و١٨٥٨ ، و١٨٦٠ فقد رفض الموظفون الصينيون الاعتراف بالدول الغربية كَندٍّ لدولة الصين ، وكان الهدف الرئيسى للعصبة المسيطرة على الحـكم فى عهد « تزوهسى » مقاومة أى ضغط يهدف إلى إحداث تغيير ، وتجنب مطالب الغربيين الخاصة بالاعتراف بمبدأ المساواة بينهم وبين الصينيين .

مشكلة الكاوتاو « السجود أمام الإمبراطور » :

كادت مشكلة الكاوتاو تسبب الكثير من القلق للدبلوماسية الغربية منذ أول لقاء بين الشرق والغرب ، فقد أصرت الصين على أن يؤدى الدبلوماسيون الغربيون مراسم الكاوتاو تأكيدا لتفوقها على حكوماتهم ، وتقضى الكاوتاو بالسجود ثلاث مرات أمام الإمبراطور ، والدولة التى يقوم ممثلها الدبلوماسى بأداء مراسم الكاوتاو يعترف لها بمركز الدولة التابعة . ولما كان نظام الحكم فى الغرب تطبيقا للقانون الدولى يعترف بالمساواة بين جميع الدول ، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ، فقد أصبح طبيعيا أن ترفض دول كفرنسا أو بريطانيا السماح بسجود ممثلها الدبلوماسى .

المثول بين يدى الإمبراطور سنة ١٨٧٣ :

تجنب الموظفون الصينيون قبول طلبات المثول بين يدى الإمبراطور التى تقدم بها الممثلون الدبلوماسيون للدول الغربية بحجة أن الإمبراطور تونج شيه لم يبلغ سن الرشد بعد ، فلما بلغ السن نظم المثول بين يديه على أن يشمل الركوع ثلاث مرات بدلا من السجود ، ولكن هذا بدوره لم يحسم المشكلة ، لأن الإمبراطور حاول الإقلال من مركز الممثلين الدبلوماسيين الأجانب بوسائل غير مقبولة .

المثول أمام الامبراطور فى عامى ١٨٩١ و ١٨٩٣ :

لم يصرح للمبعوثين السياسيين الأجانب بالمثول بين يدى الإمبراطور كوانج هسو حتى عام ١٨٩١ لأنه كان ما يزال قاصرا ، ولم يمنح تصريح فعلى بالمثول إلا فى سنة ١٨٩٣ .

الزعامة الدبلوماسية للأمريكيين :

اتخذت الولايات المتحدة لنفسها مركز الزعامة الدبلوماسية للهيئات السياسية الأجنبية فى الصين رغم ما سادها من حروب أهلية ، وسار الدبلوماسيون الأجانب

على سياسة تعاونيــة بإرشاد « آنسون بيرلنجيم Anson Burlingame » مبعوث الولايات المتحدة من ١٨٦١ — ١٨٦٧ وتتلخص هذه السياسة فيما يلي :

١ — اتخاذ إجراء دبلوماسي موحد يلزم الصين بمراعاة نصوص المعاهدة بدقة ، ليمكن تجنب سياسة استخدام السفن الحربية للتظاهر بالقوة .

٢ — الاحتفاظ بالاستقرار الدبلوماسي بدوام الوحدة ، وهذا يقلل احتمال قيام الدول بعمل فردى للاستفادة من ضعف الصين .

الإختصاص القضائى القنصلى :

لقد جعل حق امتداد القوانين للقناصل المتصرفين فى إقامة العدل بين رعايا بلادهم المقيمين بالصين ، فزودت بريطانيا قناصلها بالسجون والشرطة لسرعة إقامة العدل ، ولـكن الولايات المتحدة فشلت فى تعزيز مركز ممثليها الدبلوماسيين فى هذا السبيل ، فذاع عن القضاء الأمريكى فى الصين سوء السمعة طيلة الشطر الأكبر من القرن التاسع عشر .

المحاكم المختلطة :

فى سنة ١٨٦٤ أنشئت محكمة مختلطة بشنغهاى لنظر القضايا التى تشمل أجانب وصينيين ، فـكان يجلس نائب عن الحاكم الصينى مع القاضى الأجنبى فى الأحياء الدولية للمعاونة فى تحرى العدالة بالقضايا التى يكون أحد أطرافها صينى . ونصت اتفاقية شيفو سنة ١٨٧٦ على أن يطبق فى هذه القضايا القانون الذى يمثله القاضى المنوط به إصدار الحـكم فى القضية ، وكانت جنسية المدعى عليه هى التى تحدد القانون المطبق .

المفاوضات بين الصين والدول الغربية ١٨٦٦ — ١٨٧٦

أول بعثة صينية إلى أوربا ١٨٦٦ :

شكلت حكومة الصين لجنة تحقيق عام ١٨٦٦ لتحصل على بعض المعلومات عن الدول الغربية ، ووضعت هذه اللجنة تقريرا عن أوجه الخلاف الجوهرية بين أوربا والصين ، ولكنها أغفلت الخلافات السياسية إلى حد كبير .

بعثة بيرلنجيم ١٨٦٨ :

بعد أن أتم بيرلنجيم خدماته كمبعوث دبلوماسى للولايات المتحدة فى الصين سنة ١٨٦٧ ، عينته وزارة الخارجية الصينية رئيسا للبعثة التى أوفدتها إلى الدول الغربية لتخفيف الضغط الذى كان متوقعا أن تقوم به الدول الغربية لإعادة النظر فى المعاهدة سنة ١٨٦٨ . ولما كان بيرلنجيم شديد التحمس لمهمته فقد أعلن فى سان فرنسسكو ونيويورك بحماقة ، أن الصين فى طريقها لاقتباس المدنية الغربية ، وأنها على استعداد لاعتناق المسيحية .

معاهدة بيرلنجيم ١٨٦٨ :

لقد تجاوز بيرلنجيم حدود سلطته فعقد معاهدة بين الولايات المتحدة والصين فى واشنطن سنة ١٨٦٨ وكان مما رتبته هذه المعاهدة :

١ — تشجيع هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة .
٢ — حرية الالتحاق بالمدارس فى كلا البلدين .
٣ — الحقوق المتبادلة للإقامة والسياحة .
٤ — تحرير الصين من التدخل فى تطورها الداخلى .

وأبدت الصين معارضتها فى هذه الشروط عدا الشرط الأخير ، ولكنها عادت فصدقت على المعاهدة لتثبت ثقتها فى بيرلنجيم .

تصريح كلارندون :

لم يبد من الدول الغربية أى تساهل مع الصين عدا بريطانيا وروسيا ، فقد أعلن لورد كلارندون وزير خارجية بريطانيا أن بلاده منذ ذلك التاريخ :

١ — ستتحفظ فى مطالبتها الصين بامتيازات تجارية جديدة .

٢ — ستعمل على رد مظالم الرعايا البريطانيين فى الصين بواسطة حكومة بيكين فقط .

وقد حمل بسمارك الاتحاد الألمانى الشمالى على قبول المبادئ العامة الواردة فى تصريح كلارندون :

نتائج بعثة بيرلنجيم :

ساعدت بعثة بيرلنجيم على تخفيف حدة الضغط الأجنبى ، فقد أجلت بريطانيا المطالبة بإعادة النظر فى المعاهدة خمس سنوات ، وحذت حذوها فى ذلك الدول الأخرى ، ولكن المعاهدة الصينية الأمريكية سنة « ١٨٦٨ » أثبتت أنها مصدر ارتباك شديد لكلتا الدولتين .

حادث مارجارى Margary :

فى سنة ١٨٧٥ استغل الوزير البريطانى سير فرانسيس ويد مقتل الموظف القنصلى أوجستس مارجارى على أيدى مثيرى الشغب من الصينيين المعادين للأجانب واتخذ منه ذريعة لإرغام الصين على تسوية كل الخلافات القائمة بينها وبين بريطانيا .

اتفاقية شيفو ١٨٧٦ :

لم تقتصر اتفاقية شيفو التى ترتبت على هذا الحادث ووقعها كل من « ويد » و« لى هونج تشانج » فى سبتمبر سنة ١٨٧٦ على تسوية حادثة مارجارى فقط بل إنها أيضا :

١ — ألزمت حكومة الصين بحماية الدبلوماسيين الأجانب فى بلادها .
٢ — سوّت مشاكل الاختصاص القضائى فى المحاكم المختلطة .
٣ — فتحت ثلاثة « ثغور معاهدات » جديدة بما فيها تشونكنج .
٤ — وضعت لوائح جديدة للتجارة والمكوس الداخلية .

وقد تطلب أكثر المواد المكونة منها المعاهدة أن توافق عليها الدول المتعاقدة الأخرى التى أجمعت على معارضتها .

هجرة الصينيين

الاتجار فى العمال الصينيين « السكولى » :

أغفلت القوانين الصينية التى تحرم الهجرة إغفالا يكاد يكون تاما ، وزادت هجرة الصينيين إلى الخارج زيادة كبيرة بعد سنة ١٨٥٠ ، وقد مدّ العمال الصينيون مناجم الذهب فى أستراليا وكاليفورنيا والسكك الحديدية المنشأة فى غرب الولايات المتحدة باليد العاملة الرخيصة ، واستبدلت دول أمريكا اللاتينية العمال الصينيين بالرقيق الأسود بعد إلغاء الرق ، وسادت تجارة « السكولى » الشرور التى لازمت تجارة الرقيق الأسود الإفريقى قبل ذلك .

تنظيم تجارة السكولى :

وافق نائب الإمبراطور فى كانتون رسميا سنة ١٨٩٥ على الاتجار فى السكولى لتنظيم هذه التجارة . وتعاونت الحكومات الأجنبية — عدا البرتغال — مع الموظفين الصينيين فى إقامة براكز للسكولى بكانتون وسواتو . وفى سنة ١٨٧٥ قامت بريطانيا وفرنسا وألمانيا بضغط مشترك على البرتغال لحملها على منع تجارة السكولى فى مكاو .

اتفاقية الهجرة ١٨٦٦ :

عقدت كل من بريطانيا وفرنسا مع الصين اتفاقية خاصة بالهجرة سنة ١٨٦٦ اقتضت ما يلى :

١ — إلغاء تحريم الهجرة .

٢ — الحكم بالإعدام فى جرائم خطف الأشخاص .

٣ — التصريح بالهجرة فقط من الموانى التى يمكن فيها القيام بإشراف مشترك .

وقد وافقت الولايات المتحدة وروسيا و بروسيا بعد ذلك على هذه الاتفاقية .

هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة :

شجعت معاهدة بيرلنجيم هجرة الكولى إلى الولايات المتحدة ، ومع ذلك فإنه بعد « فزع سنة ١٨٧٥ » اشتدت الروح العدائية ضد الصينيين الذين أدى مستوى معيشتهم المنخفض إلى تعريض العمال الأمريكيين على الساحل الغربى للخطر بسبب البطالة ، واشتدت مهاجمة الأمريكيين للصينيين عام ١٨٧٧ .

المعاهدات الصينية الأمريكية ١٨٨٠ :

حرمت معاهدة بيرلنجيم على الولايات المتحدة منع هجرة الصينيين إليها ، ومع ذلك ففى سنة ١٨٨٠ عقدت معاهدتان بين أمريكا والصين بموجبهما :

١ — منحت الولايات المتحدة الحق فى تحديد أو وقف هجرة الصينيين إليها .

٢ — منعت السفن الصينية والمواطنين الأمريكيين من تجارة الأفيون .

٣ — اتسع نطاق المعاملة على أساس مبدأ « الدولة الأولى بالرعاية » .

٤ — وافقت الصين على النظر فى الاقتراحات الخاصة بتوسيع التبادل التجارى .

وقف الهجرة :

وفى سنة ١٨٨٢ وافق الكونجرس الأمريكى على مشروع قانون بوقف هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة عشر سنوات ، وتلت ذلك تعديلات فى عامى ١٨٨٤ ، و ١٨٩٢ عززت استبعاد الصينيين .

وفى سنة ١٨٩٤ عقدت معاهدة جديدة بين أمريكا والصين تحرم هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة عشر سنوات أخرى .

الدبلوماسية الروسية الصينية

روسيا وإقليم إيلى Ili :

فى أثناء ثورة سينكيانج أرسلت روسيا جنودها إلى منطقة إيلى الثائرة لحماية تجارتها الواسعة فى هذا الإقليم ، ومع أن الصينيين كانوا على ثقة من إنهاء الاحتلال الروسى بمجرد إعادة النظام فإن الروس رفضوا الرحيل .

بعثة تشونج — هو :

قام « تشونج هو » مبعوث الصين فى روسيا بالمفاوضة لعقد معاهدة « ليداريا » التى تنص على تنازل الصين عن إقليم إيلى لروسيا ، ومنحها تعويضاً كبيراً وامتيازات تجارية واسعة ، ولكن حكومة بيكين لم يسعها إلا رفض المعاهدة والحكم على « تشونج هو » بالإعدام .

معاهدة بطرسبورج ١٨٨١ :

كانت كل من الدولتين تخشى الحرب ، فعقدتا معاهدة بطرسبورج سنة ١٨٨١ التى ترتب عليها ما يأتى :

١ — إعادة كل إقليم إيلى إلى الصين ، عدا منطقة صغيرة منه .
٢ — تدفع الصين نفقات الاحتلال الروسى للإقليم .
٣ — تمنح روسيا حقوقاً تجارية جديدة وتتخذ الترتيبات اللازمة لإنشاء قنصليات فى منغوليا والتركستان .

الإصلاحات الداخلية

رغم أن حكومة الصين كانت رجعية فقد قامت ببعض الإصلاحات الداخلية فى ميدانى التعليم والصناعة فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر .

النهضة التعليمية :

إن تقدم التعليم فى هذا العهد يرجع إلى حد كبير للنفوذ الأجنبى ، ففى سنة ١٨٦٢ أنشئت مدرسة تون ون كوان ، وهى مدرسة تخرج المترجمين فى مختلف اللغات ، وكان إنشاؤها بتوجيه من سير روبرت هارت المفتش العام للجمارك . وقد ارتفعت هذه المدرسة إلى مستوى الكليات حين ضم إليها قسم العلوم سنة ١٨٦٥ . ومما يستحق الذكر قصة البعثة التعليمية الصينية « ١٨٧١ — ١٨٨٧ » التى كان يشرف عليها يونج وانج من أهالى كانتون ، ومن خريجى كلية « ييل » ، فقد أوفدت البعثة مائة وعشرين فتى صينيا للإقامة مع العائلات الأمريكيـة بولاية انجلترا الجديدة ، وتلقى دراساتهم فى المدراس الأمريكية العامة . وفى سنة ١٨٨١ أعادت حكومة المحافظين الصينية هؤلاء الفتيان إلى بلادهم ، لمغالاتهم فى تقليد الغربيين ، ولازدياد الشعور المعادى للصينيين فى الولايات المتحدة إذ ذاك . ومع أن الصين استقبلت أعضاء هذه البعثة بكثير من الريبة ، فإن عددا كبيرا منهم وصل أخيرا إلى مناصب رفيعة فى الحـكومة الصينية .

السكك الحديدية :

كانت الصين حتى سنة ١٨٦٠ الدولة الوحيدة الـكبرى فى العالم التى لا تعرف السكك الحديدية ، وكان الصينيون لا يزالون يعتمدون فى مواصلاتهم على وسائل غير كافية من الطرق المـائية والزراعية .

خط شنغهاى — ووسونج ١٨٧٦ :

فى سنة ١٨٧٦ نجحت شركة أمريكية بريطانية — برغم معارضة الصين — فى إنشاء خط حديدى من شنغهاى إلى ووسونج ، ولـكن مقتل أحد الصينيين قضاء وقدرا أدى إلى تمزيق هذا الخط ونقل معداته بالسفن إلى فرموزا .

سكة حديد كايبنج ومناجم الفحم :

استخدم لى هونج تشانج نفوذه فى إنشاء أول شركة تجارية للملاحة فى الصين سنة ١٨٧٣ . وفتحت مناجم الفحم فى كايبنج التى تقع على بعد ثمانية أميال شمال شرق تينتسن لتزود الشركة بما يلزمها من الفحم .

ولم يحل عام ١٨٨٢ حتى كانت القاطرات البخارية النظامية قد حلت محل البغال فى جر عربات الفحم من المناجم إلى أقرب قناة . ولما شبت الحرب بين الصين واليابان كان لى هونج تشانج قد أكمل مد سكة حديد كايبنج شرقا إلى تينتسن ، وشمالا بغرب مسافة تبلغ أربعين ميلا فيما يلى شان — هاى — كوان رغم اعتراض الروس الذين كانت لهم مطامع فى منشوريا :

أول خط تلغرافى ١٨٨١ :

فى سنة ١٨٧١ أنشىء أول خط تلغرافى بحرى عبر المحيط ، يربط الصين بلندن عن طريق أمريكا . وفى أثناء مفاوضات بطرسبورج أدرك الصينيون أهمية الاتصال السريع بوزرائهم فى الخارج فأكملوا الخط التلغرافى الذى يربط شنغهاى بتينتسن عام ١٨٨١ ثم مد بسرعة إلى بيكين .

مصانع الحديد فى هانجيانج ١٨٩٠ :

كان تشانج شيه تونج زعيما لحركة اقتباس المدنية الغربية فى وادى نهر يانجتسى ، كما كان لى هونج تشانج زعيما لهذه الحركة فى الشمال ، وفى سنة ١٨٩٠ افتتح تشانج أول مصانع هامة للحديد فى الصين فى هانجيانج قرب هانكاو .

الفصل السادس

تحضر اليابان

اضمحلال التوكوجاوا

تقلص سلطة التوكوجاوا :

نعمت اليابان بالسلام مائتى عام بعد تطبيق سياسة العزلة ، وفقد الشواجنة وأتباعهم من رجال البلاط فى « يدو » اهتمامهم بفنون الحرب ، أما حكام الأقاليم « الدايميو » فقد بدأوا يزدادون قوة ، ورغم عناية « الساموراى » الشديدة بالأمور الأدبية ، فقد احتفظوا بنشاط كبير فى مهنتهم الحربية .

ظهور الطبقة الوسطى :

كان ظهور طبقة التجار — كما سبق بيانه فى الفصل الثانى — إحدى نتائج سياسة العزلة وعصر السلام الطويل . وقد اقترن منع تموين البلاد بالبضائع المستوردة بعد السلام الطويل الذى هيأ الفرصة لنهضة ثقافية عامة ، وزيادة فى الثروة ، وهذه بدورها زادت الرغبة فى وسائل الترف ، ولما كان من غير المستطاع استيراد مواد الترف ، فقد انتعشت الصناعة والتجارة الداخلية إلى حد جعل طبقة التجار تستطيع استغلال الطبقات الأخرى من الزراع والساموراى والنبلاء على السواء بفضل ما لديها من ثروة . وانحصر دخل النبلاء والساموراى فى منتجات الأرض التى أمكن انتزاعها من أيدى طبقة الزراع ، فلم يهيئ هذا إلا جانبا يسيرا من الدخل لشراء مواد الترف ، فغرقت الطبقات العليا فى الديون التى استدانتها من طبقة التجار ، وكان المنقذ الوحيد من هذه الديون غالبا هو تبنى ابن الممول أو تبنى الممول نفسه . وبهذه الوسيلة استطاع

كثير من أسر التجار الأغنياء الارتباط بالطبقة الأرستوقراطية ، وتناقصت أهمية الفروق الطبقية القديمة ، وأصبح للتجار من الثراء والنفوذ ما لعظماء الدايميو .

سخط طبقة الزراع :

ازداد مركز الزراع تدهورا لوقوعهم فريسة للدايميو أو الساموراى الجشعين ، ولسماسرة الأرز الذين لايقلون جشعا عن سابقيهم ، فغرقوا فى الديون بلا أمل فى السداد حتى باعوا بناتهم أو ارتكبوا جريمة قتل أطفالهم ، وثاروا أحيانا فى هياج أعمى عندما أشرفوا على الموت جوعا بعد أن خاب محصولهم ، أو انتزع أسيادهم أو دائنوهم كل ما غلته أرضهم ولم يتركوا لهم من الأرز ما يقتاتون به .

اليابان تفتح أبوابها للأجانب

الضغط على الباب المغلق :

فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر أصبح من الصعوبة بمكان احتفاظ اليابان بسياسة العزلة بسبب التوسع الغربى المستمر ، فصيادو الحوت وأصحاب السفن من الأمريكيين والروس كانوا فى حاجة إلى الموانى اليابانية للحصول على التموين ولعمل الإصلاحات اللازمة للسفن ، غير أن اليابانيين رفضوا بعناد دخول أى سفن أجنبية فى موانيهم ، وعمدوا إلى قتل البحارة الذين نجوا من السفن الغارقة فى المياه اليابانية أو أساءوا معاملتهم .

المحاولات الأولى لفتح أبواب اليابان :

حاول التجار الأمريكيون ابتداء من عام ١٧٩١ إنشاء علاقات تجارية مع اليابان ، ولكنهم لم ينجحوا فى محاولتهم ، وفى السنوات التالية اتخذ الروس إعادة البحارة اليابانيين الناجين من السفن الغارقة ذريعة للدخول فى علاقات دبلوماسية مع اليابان ، ولكن هذه الخطة وما تبعها من خطط مماثلة قام بها البريطانيون والروس

باءت بالفشل . وفى سنة ١٨٣٧ تقدم التجار الأمريكيون مرة أخرى ولكن نيران المدفعية اليابانية ردتهم على أعقابهم . وقد سبب فشل أول بعثة دبلوماسية أمريكية تحت رياسة القبطان بيدل سنة ١٨٤٦ زيادة الضغط فى الولايات المتحدة لإرسال وفد أقوى إلى اليابان ، ولما امتدت إساءة اليابانيين للأمريكان الناجين من السفن الغارقة وافقت الحكومة الأمريكية أخيرا على إرسال بعثة جديدة .

بعثة برى Perry :

عهد إلى القبطان برى سنة ١٨٥١ برياسة بعثة جديدة إلى اليابان ، وبعد أن قام بدراسة مستفيضة لكل موضوع خاص باليابان وشعبها صمم على إرغام اليابان على احترامه فاتخذ لنفسه مظاهر العزة والأبهة التى تليق بأساقفة العصور الوسطى ، وخصص أسطول قوى لمرافقته بناء على إلحاحه ، ثم أصدر أوامره إلى مرءوسيه مؤكدا أن بعثته ذات أغراض سلمية ، ولكنه أباح استخدام القوة عند الاقتضاء .

أول زيارة إلى يدو Yedo :

وصل برى إلى خليج يدو فى يوليو سنة ١٨٥٣ ومعه أربع سفن فقط من بينها سفن بخارية لم تسبق لليابانيين رؤيتها من قبل ، وقد رفض بإصرار مقابلة الموظفين اليابانيين ، اللهم إلا أرفعهم مقاما ، كما رفض أن يرحل إلى ناجازاكى كما طلب إليه ، وهذا اضطر الشوجن إلى إرسال مندوب عنه لتسلم أوراق الاعتماد التى بعث بها الرئيس فيلمور ، وبعد إتمام مراسم تقديم أوراق الاعتماد أعلن برى عن أن نيته العودة فى العام التالى للمفاوضة فى عقد معاهدة .

معاهدة كاناجاوا :

عجل برى بالعودة إلى اليابان فى فبراير سنة ١٨٥٤ بعد أن أشيع أن أسطولا روسيا كان يقوم بمناورات قرب اليابان ، فعقد معاهدة كاناجاوا مع اليابان فى ٣١ مارس سنة ١٨٥٤ بعد أن قضى أسابيع يفاوض بأناة وحذر ، وقد نصت المعاهدة على ما يلى :

١ — فتح موانى شيمودا وهاكوداتى لإصلاح وتموين السفن الأمريكية .

٢ — معاملة البحارة الأمريكيين الناجين من السفن الغارقة معاملة لائقة وإعادتهم إلى وطنهم .

٣ — الموافقة على تعيين ممثلين قنصليين ، إذا رأت أى من الدولتين ذلك ضروريا .

٤ — تعد اليابان بمنح الولايات المتحدة حق الدولة الأولى بالرعاية . ولم تثر المعاهدة وقت التصديق عليها اهتماماً كبيرا فى الولايات المتحدة أو فى أوربا ، ولكنها اعتبرت حدثا هاما فى اليابان لأنها أنهت سياسة العزلة التى كانت رائد اليابانيين طوال قرنين ، وقد تبعت المعاهدة الأمريكية سلسلة من المعاهدات التى منحت اليابان بموجبها نفس الامتيازات للبريطانيين سنة ١٨٥٤ ، وللروس سنة ١٨٥٥ ، وللهولنديين سنة ١٨٥٦ .

موافقة الإمبرطور :

ليس أدل على ضعف الشوجنة المتزايد من أن الشوجن عرض هذه المعاهدات على الإمبراطور للموافقة عليها ، ولم يحصل على هذه الموافقة إلا بعد جهد ، بل إن رجال البلاط الإمبراطورى الذين وافقوا على التصديق أظهروا رغبتهم فى إبقاء التجارة فى أضيق الحدود .

تاونسند هارس Townsend Harris :

طبقا لنصوص معاهدة كاناجاوا أرسل تاونسند هارس — وهو رجل ذو قدرة خارقة — إلى اليابان باعتباره أول قنصل أمريكى لدى حكومتها . وعند وصوله إلى شيمودا فى أغسطس سنة ١٨٥٨ وجد أن بقاءه فى اليابان غير مرغوب فيه ، إذ لم تكن لدى اليابانيين رغبة فى التجارة الأجنبية ولا فى القناصل الأجانب . ورغم هذا الاستقبال العدائى استطاع تاونسند بالتدريج أن يفوز بثقة اليابانيين وصداقتهم بما اتصف به من اللباقة الفائقة والصبر والدهاء والأمانة . ورغم ما شعر به من عزلة وما ظهر من أن

دولته قد أغفلت شأنه ، إذ بقى ثمانية عشر شهرا فى اليابان دون أن يتسلم أية رسالة من وزارة الخارجية الأمريكية ، فقد حظى بالمثول بين يدى الشوجن ، وهى ميزة لم يسبقه إليها أحد ، ولم تمنح لأجنبى منذ سنة ١٦١٣ . ولما اكتسب ثقة الشوجن بدأ يلقنه بأناة مبادئ العلاقات الدولية كما يفهمها الغربيون ، ورفض تاونسند دائما أن يستغل اتصاله باليابانيين ، فنال مكانة سامية فى تاريخ اليابان لم يحظ بها من الأجانب إلا القليل .

المعاهدة التجارية سنة ١٨٥٨ :

كان خير ما حققه تاونسند هو المعاهدة التجارية سنة ١٨٥٨ التى حققت ما يلى :

١ — فتحت أربع موان جديدة للتجارة وهى : كاناجاوا ، وناجازاكى ، ونييجاتا ، وكوبى .

٢ — أعدت العدة لتبادل التمثيل الدبلوماسى .

٣ — منحت الأمريكيين المقيمين باليابان حق امتداد القوانين سواء فى القضايا المدنية أو الجنائية .

٤ — حرمت تجارة الأفيون .

٥ — منحت الأجانب حرية التدين .

٦ — أعدت العدة لوضع اتفاقية للتعريفة الجمركية ، ولكنها أعطت حق الأفضلية للمنتجات الأمريكية .

٧ — الاستمرار فى منح أمريكا حق الدولة الأولى بالرعاية .

وقد عقدت على وجه عاجل معاهدات مماثلة مع الهولنديين والروس والبريطانيين والفرنسيين بعد المعاهدة الأمريكية اليابانية .

رد الفعل الداخلى :

خالجت نفس الشوجن شكوك كثيرة حول استطاعته تنفيذ معاهدة تاونسند ،

ولم يدفعه إلى التعجيل بالموافقة عليها دون استشارة الإمبراطور إلا ما ورد من أخبار هزيمة الصين وتوقيعها معاهدات تينتسن .

ولما رفض الإمبراطور بعد ذلك التصديق على المعاهدة انتهز أعداء توكوجاوا الفرصة فأيدوا الميكادو ضد الشوجن المغتصب لسلطته ، وهكذا بدأ توازن القوى يتحول بوضوح نحو البلاط الإمبراطورى . وقد أمر الإمبراطور بطرد الأجانب واستئناف سياسة العزلة ، ولكن الشوجن أغفل تنفيذ أوامره تحت تأثير الضغط الأجنبى .

الإمبراطور يسترد سلطته

بينما كان حكم أسرة توكوجاوا يزداد ضعفا فى القرن التاسع عشر أحدث الضغط الغربى الأزمة التى سببت سقوطها .

التردد فى يدو :

لو أن الشوجن أعلن فى جرأة سياسة فتح اليابان لمخالطة الأجانب سنة ١٨٥٣ لاستطاع إنقاذ مركزه ، ولكنه بدلا من ذلك طلب موافقة الإمبراطور على المعاهدات بحجة أنه يجب تجنب النزاع حتى تستطيع اليابان طرد المعتدى بالقوة ، وبذلك أصبح الشوجن معرضا للاتهام بالخداع والعصيان المباشر لأوامر الإمبراطور .

مهاجمة الأجانب :

اتبع أعداء شوجنة توكوجاوا سياسة معادية للأجانب فى السنوات التى تلت توقيع المعاهدات التجارية مباشرة . ويرجع ذلك إلى حد ما إلى اعتقادهم بأن هذا هو الطريق السليم ، ولكنه يرجع إلى حد بعيد لرغبة المعارضين فى إشاعة الارتباك فى هذه الدكتاتورية العسكرية . وكان زعماء القوات المعارضة هم عشائر : ساتسوما ، تشوشو ، هيزن ، توسا ، ويشار إليهم غالباً بأنهم مجموعة ساتشو هيتو .

وقد بدأ الوطنيون الموالون للإمبراطور فى مهاجمة الأوربيين والموظفين التابعين لهم

بين عامى ١٨٥٨ و ١٨٦٥ ، و بلغ هذا الهجوم الدرجة القصوى سنة ١٨٦٢ فقتل ريتشاردسن الإنجليزى على أيدى ساموراى عشيرة ساتسوما ، وطالب البريطانيون الشوجن والدايميو من عشيرة ساتسوما ، بدفع تعويض ومحاكمة القتلة و إعدامهم .

أعمال الأجانب العدوانية :

سببت حادثة ريتشاردسن ارتباكا جديدا للشوجن ، فقد رفض تنفيذ مرسوم إمبراطورى صدر لطرد الأجانب ، ولكنه من جهة أخرى رفض العروض المقدمة لمساعدتهم ، ووافقت حكومة الشوجن على دفع التعويض ولكنها اعترفت بعجزها عن معاقبة الجناة ، وعلى ذلك اتخذ البريطانيون موقفا عدوانيا فضربوا ميناء كاجوشيما التابع لعشيرة ساتسوما بالقنابل سنة ١٨٦٣ ، ودمروا جانبا كبيرا من المدينة ، وترتب على هذا الإجراء العنيف قيام ساتسوما بدفع الغرامة المطلوبة للبريطانيين ، بل التمست منهم مساعدتها فى شراء سفينة حربية أوربية تضاف لأسطول ساتسوما .

ضرب شيمونوسيكى بالقنابل :

كان لا بد من مظاهرة عسكرية مماثلة لإقناع عشيرة تشوشو بعقم سياستها المعادية للأجانب ، ولكن بالرغم من أن الأمريكيين والفرنسيين قد اقتصوا من هذه العشيرة بطريقة مماثلة لمهاجمتها سفنهم ، فقد واصلت القيام بأعمالها الحربية . وفى أغسطس سنة ١٨٦٤ دمر أسطول مشترك من الفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والأمريكيين وسائل الدفاع الساحلية التى أقامتها عشيرة تشوشو تدميرا تاما .

ومنذ ذلك الحين تخلت العشيرة عن موقفها المعادى للأجانب ، كما فعلت ساتسوما من قبل ، ولم تقتصر على قبول شروط الصلح التى فرضها الحلفاء ، بل طلبت إليهم المساعدة فى الحصول على أسلحة أجنبية .

انتهاء المعارضة الإمبراطورية للأجانب :

ظهر أثر الدروس التي تعلمتها اليابان من شيمونوسيكي وكاجوشيما عاجلا في البلاط الإمبراطوري ، فعندما هددت الدول الأجنبية بالقيام بمظاهرة مماثلة لإثبات قوتها البحرية ضد أوزاكا القريبة من البلاط الإمبراطوري في كيوتو كي ترغم الإمبراطور على قبول المعاهدات التجارية ، تم التصديق على هذه المعاهدات سلميا في نوفمبر سنة ١٨٦٥ . ومما سهل تغيير السياسة موت الإمبراطور والشوجن في العام التالي ، وكان الشوجن الجديد هو كييكي الذي ساهم منذ سنة ١٨٦٢ في توجيه شئون الحكومة ، أما الإمبراطور الجديد فهو ميتسوهيتو الذي تولى الملك باسم ميبيجي .

سقوط الشوجنة « الدكتاتورية العسكرية » :

في أكتوبر سنة ١٨٦٧ أوضحت عشائر ساتشوهيتو Satcho Hito للشوجن كييكي الأخطار التي تتعرض لها اليابان من استمرار الحكومة الثنائية ، وفي الشهر التالي استقال كييكي من منصب الشوجن رسميا ، ومع ذلك ظل من أقوى كبار الإقطاعيين في اليابان . وكان كييكي يتوقع تماما أن يحظى بمنصب سام في الحكومة الإمبراطورية الجديدة ، ولكن خاب ظنه عندما قام حزب ساتشوهيتو بطرد الحرس التوكوجاوي من بلاط الإمبراطور في كيوتو والاستيلاء على إقطاعه بأمر من الإمبراطور . وبعد حرب أهلية قصيرة الأجل هزمت عشيرة توكوجاوا وتركت زمام الحكم بأجمعه في أيدي عشائر ساتشوهيتو .

تنظيم الحكومة الجديدة

في سنة ١٨٦٨ أصدر الإمبراطور عهدا إمبراطوريا « الميثاق التعهدي » لكي يهدئ شعور القلق الذي ساد البلاد ، ويعلن أهداف الحكومة الجديدة ، والتزم في ميثاقه بما يأتي :

١ — المناقشة العلنية والمساجلة في المشاكل القومية .

٢ — تطبيق المبادئ السياسية والاجتماعية الحديثة لصالح الجميع .

٣ — إلغاء النظم والقيود الإقطاعية .

٤ — استخدام أكفأ الرجال وأحسن الآراء فى العالم لتساعد فى تجديد اليابان .

نقل العاصمة :

كان نقل العاصمة من كيوتو إلى يدو « التى سميت طوكيو » تأكيدا لنبذ الماضى ، وترتب على هذا النقل أن أصبحت البيروقراطية التى كانت مركزة فى يدو من قبل تحت سلطة الإمبراطور التامة ، كما أصبح البلاط الإمبراطورى فى بيئة تنبض بالحياة بأكبر مركز تجارى فى اليابان .

إعادة تنظيم الحكومة :

أعيد تنظيم الحكومة مبدئيا سنة ١٨٦٧ فوزعت المناصب الرئيسية فى الدولة على أمراء البيت الإمبراطورى ونبلاء البلاط « كوچى » والدايميو والساموراى على حسب منزلة كل طبقة ، وأنشئت جمعية تشريعية ولكن السلطة الفعلية بقيت فى أيدى حزب ساتشوهيتو الذى ضم سايجو وكيدو وإيتاجاكى وأوكوما الذين يمثلون أقوى العشائر ، وعندما شكلت أول وزارة سنة ١٨٧١ أصبح هؤلاء الرجال هم والأمير إيواكورا « من نبلاء القصر » أعضاء فى هذه الوزارة تحت رياسة سايجو .

إلغاء النظام الإقطاعى :

فى سنة ١٨٦٩ خطت حركة الإصلاح خطوة حاسمة نحو إلغاء النظام الإقطاعى ، فقام الدايميو «حكام الإقطاع» من عشائرساتشوهيتو بإعادة إقطاعاتهم إلى الإمبراطور ، وتبعتهم فى ذلك العشائر الصغرى . وفى العام التالى ألغى الإمبراطور البلاط القديم والألقاب الإقطاعية . وأخيرا فى عام ١٨٧١ صدر مرسوم إمبراطورى بإلغاء النظام الإقطاعى وحل العشائر ، وحولت الأراضى التى شملها المرسوم إلى ممتلكات إمبراطورية .

تخصيص معاشات للطبقات الإقطاعية :

ولما كانت طبقتا الدايميو والساموراى تعتمدان فى معيشتهما على الإقطاعات وأملاك العشيرة ، فقد تعهدت الحكومة الإمبراطورية بمنح أفرادهما معاشات تعويضا لهم عما فقدوه . وقد بلغت هذه المعاشات سنة ١٨٧٣ ثلث إيرادات ضريبة الأراضى ، ولذلك عجلت الحكومة بتخفيف عبء هذه المعاشات بالاختيار أولا وبالإجبار ثانيا ؛ فأبدلت بهذه المعاشات مبالغ ثابتة تدفع نقدا أو صكوكا على الدولة ، وقد استفاد الدايميو من هذا التعديل إذ تخلصوا به من إعالة أتباعهم من الساموراى .

سخط الساموراى « رجال الحرب » :

وقع كثير من الساموراى فريسة للفاقة بعد إلغاء النظام الإقطاعى ، ومع أن النظام الجديد سمح لهم بممارسة الأعمال التجارية فقد أعوزتهم الدربة اللازمة لمثل هذه الأعمال ، كما أعوزهم رأس المال . أما الجيش الجديد فقد أنشىء من مجندى الزراع ولم يعد به مجال لطبقة الساموراى المتعجرفة ، وهكذا أصبحت هذه الطبقة الكبيرة من المحاربين العاطلين مثار مشاكل اقتصادية واجتماعية عدة .

ثورة ساتسوما « ١٨٧٧ » :

فى سنة ١٨٧٦ حرمت الحكومة أفراد الساموراى من شعار طبقتهم ، بمنعهم من حمل السيف ، وقد استفز هذا العمل الحكومى مضافا إلى أعمال أخرى جماعة من ساتسوما المتبرمين ، فنظموا جيشا ثوريا كبيرا من الساموراى الساخطين وبدأت معارك دموية أبلت فيها قوات الحكومة من مجندى الزراع بلاء حسنا ، فسحقوا قوة الساموراى بعد أن كبدوهم خسائر فادحة فى الأرواح . وقد قضى هذا النصر على سمعة المحاربين القدماء وأوهن العزائم فى القيام بثورات جديدة .

الحكومة النيابية :

أثبتت الجمعية التشريعية التى أنشئت سنة ١٨٦٨ أنها غير وافية بالغرض ، وتبعا لذلك أصدر الإمبراطور أمره سنة ١٨٧٥ بانتخاب هيئات محلية تدريبا للشعب على الأساليب البرلمانية . وفى سنة ١٨٨١ وعد الإمبراطور بدعوة مجلس نيابى قومى للاجتماع سنة ١٨٩٠ وأرسل الكونت إيتو لدراسة النظم الحكومية الغربية لتحديد أنسب النظم لاحتياجات اليابان . وبعد أن زار إيتو أمريكا وفرنسا وانجلترا وألمانيا وجد أن خير النظم لليابان هو دستور الإمبراطورية الألمانية الناشئة ، واستعدادا لتطبيق هذا الدستور اتخذت اليابان نظاما وزاريا مشابها للنظام الوزارى البروسى الذى يجعل من الإمبراطور حاكما مطلقا يعمل بمشورة أعضاء وزارته ، كما أنشىء المجلس المخصوص الذى يعالج المسائل الخاصة بالأسرة الإمبراطورية والتغيرات الدستورية .

الدستور :

ينص الدستور اليابانى الذى صدر فى ١١ فبراير سنة ١٨٨٩ على أن يظل الإمبراطور مصدر السلطة العليا فى اليابان دينيا ومدنيا وعسكريا ، وتعهد الإمبراطور بتحرير المواطنين من القبض التعسفى ، وحماية حقوق الملكية وحرية العقيدة والكلام والاجتماع ، على أنه جعل من حق الحكومة أن تحد من هذه الحقوق فى كل حالة من الحالات ، ووضع نظام قضائى وطنى لإجراء المحاكمات العلنية ، ولا يتم تعديل الدستور إلا بموافقة الإمبراطور الذى يعمل طبقا لمشورة المجلس المخصوص .

الدايت اليابانى « البرلمان » :

نص الدستور على إنشاء دايت diet مكون من مجلسين : مجلس الأعيان ، ويتكون من الأشراف والمعينين من قبل الإمبراطور . ومجلس النواب ، ويتكون من أعضاء منتخبين ، وأعطى الإمبراطور حق الاعتراض « فيتو » وحق اقتراح القوانين ، وإذا رفض الدايت اعتماد الميزانية التى تقدمها الحكومة فإن ميزانية العام السابق تطبق تلقائيا .

ظهور الأحزاب السياسية :

بدأت الأحزاب السياسية فى اليابان سنة ١٨٨١ حيث كون إيتاجاكى حزب الأحرار « جيوتو » لتشجيع الحكومات الدستورية والنيابية ، وفى سنة ١٨٨٢ كون الكونت أوكوما الحزب التقدمى « كايشنتو » للغرض السابق ذاته . ورغم أن حزب الأحرار كان يستند إلى تأييد المناطق الريفية ، والحزب التقدمى يستند إلى تأييد الطبقة البورجوازية فإن تكوين حزبين لهدف واحد يفسر لنا أن اليابانيين كانوا يتجهون إلى اتباع الزعماء لا المبادئ . ولم تحل سنة ١٨٨٣ حتى اتهمت الحكومة هذه الأحزاب بإثارة الفوضى ، وأمرت بحلها . وقد أدى ضعف الأحزاب السياسية إلى أن أصبح الدايت فى ظل الدستور الجديد أداة لتعطيل الأعمال بدلا من أن يكون هيئة إنشائية .

الإصلاحات القضائية :

كانت لدى الدول الأجنبية مبررات قوية حين طالبت بامتداد قوانينها على رعاياها فى اليابان ، فقد كان النظام القضائى فى اليابان مشوشا ، وحقوق الأفراد مهملة ، والبوليس متعسفا يتمتع بسلطات واسعة ، والقوانين جائرة ، والحالة داخل السجون مثيرة ، وكانت أول خطوة نحو الإصلاح إنشاء إدارة للقانون الجنائى سنة ١٨٦٨ ، و بعد ذلك بثلاثة أعوام نظمت الإدارة القضائية ، وفى سنة ١٨٨٢ وضع قانون جنائى جديد ، كما وضع قانون آخر للإجراءات الجنائية . وعمل النظام الجديد على فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، ووضع على رأس السلطة القضائية محامين مدربين ، وقد تمت هذه الإصلاحات سنة ١٨٨٩ بعد أن أضيف إليها قانون الإجراءات المدنية « المرافعات » .

انتهاء العمل بنظام امتداد القوانين :

كان الباعث الأكبر لليابان على الإصلاح القضائى هو رغبتها فى التخلص من نظام امتداد القوانين ، ففى سنة ١٨٨٧ تنازلت المكسيك عن قضائها القنصلى ،

كما عقدت معاهدة بين اليابان وأمريكا جعلت لليابان الحق فى الاستقلال بوضع تعريفتها الجمركية ، وعقدت بعد ذلك معاهدة تسليم المجرمين ، ومع كل ذلك لم تعقد بريطانيا والولايات المتحدة مع اليابان معاهدات تنص على إلغاء حق الأجانب فى امتداد قوانين بلادهم ، وإلغاء القضاء القنصلى إلا فى سنة ١٨٤٤ ، وتبعتهما فى ذلك الدول الأخرى ، وفى سنة ١٨٩٩ عندما أصبحت المعاهدة نافذة صار من حق اليابان تطبيق نظامها القضائى على كل الأجانب المقيمين على أرض .

التغيرات الاقتصادية والثقافية

كان تحول اليابان من دولة منعزلة عن العالم إلى دولة عظمى ظاهرة لها مغزى أبعد بكثير من مجرد التغيير السياسى ، كما أنه كان أيضا ثورة اقتصادية وثقافية .

التغيرات الاقتصادية :

فضلا عن أن إلغاء النظام الإقطاعى قد أنهى الإقطاعات وممتلكات الدايميو والساموراى فإنه فتح باب العمل على مصراعيه لجميع الرجال على السواء ، أما الدايميو فقد اتجهوا إلى الاندماج فى الدوائر المالية الكبرى بما لديهم من رأس مال ضخم من معاشاتهم المستبدلة . وأما الساموراى فقد انضموا إلى جميع مراتب الطبقة المتوسطة وطبقة الزراع تبعا لما يمتازون به من قدرات وما لديهم من رأس مال ، وأصبح للرجل العادى ولأفراد الطبقة المتوسطة مطلق الحرية فى اختيار كثير من المهن التى كانت أبوابها مقفلة فى وجوههم من قبل ، وهذه الطاقة المنطلقة حديثا أمكنها بتوجيه الحكومة أن تجعل من اليابان دولة صناعية عظمى فى بضع عشرات من السنين .

مشاكل ملكية الأراضى :

فى سنة ١٨٧٢ أصبح الزراع أصحاب حق فى ملكية الأراضى التى فى حوزتهم ، ولكنهم سرعان ما وجدوا أن هذه الملكية عبء صعب الاحتمال ، فإن الحكومة نظراً لحاجتها إلى المال اللازم للتصنيع فرضت على الأراضى الزراعية ضرائب بلغ من

فداحتها أن كثيرا من الملاك انحدروا إلى مرتبة المستأجرين ، وفضلا عن ذلك فإن زيادة السكان زيادة كبيرة فى العقود التى تلت الانقلاب زادت الضغط على الأراضى الممكن الانتفاع بها فتدفقت الأيدى العاملة الرخيصة على المدن لسد حاجة الصناعة الناشئة .

دور الحكومة فى الصناعة :

شجعت الحكومة الإمبراطورية على نمو الصناعات اللازمة ، بتقديم الإعانات المالية ، وشراء الأسهم والسندات وتكوين الشركات الحكومية ، كما ركزت جهودها أولا فى إنشاء مؤسسات مالية وبورصة للبضائع . Commodity exchange وشركات ملاحية وسكك حديدية وخطوط برق ، لتسهيل التطور الصناعى . وبعد أن نمت الصناعات الثقيلة الأساسية كالتعدين والصلب وبناء السفن لسد الحاجات العسكرية ، أقيمت الصناعات الخفيفة كصناعة المنسوجات بقصد إنتاج سلع للتصدير ، واقتحمت الحكومة ميدان الأعمال التجارية بطريقة مباشرة فى مبدأ الأمر عندما ثبت لديها أن رأس المال الفردى جبان ، ولكنها بعد سنة ١٨٨٠ استبدلت بهذه السياسة الحماية غير المباشرة للصناعات ، ووضعت الشركات الحكومية تدريجيا تحت إشراف كبار الماليين . وقد تحقق تصنيع اليابان إلى حد كبير دون الحاجة إلى قروض أجنبية حتى انتصرت فى حربها مع الصين .

زايباتسو Zaibatsu :

كان يقود حركة التصنيع فى اليابان عدد قليل من الأسر ذات الثراء عرفت فى مجموعها باسم زايباتسو ، وقد استطاعت بقدرتها على إدارة الأعمال والتنظيم أن تشرف على الجزء الأكبر من ثروة البلاد ، فأسرة ميتسووى Mitsui أعضاؤها هم أصحاب المصارف الذين ساهموا فى تمويل الانقلاب ، وقد أجزلت الحكومة لهم المكافأة بتقديم عقود واحتكارات حكومية درت عليهم الربح الوفير ، وأشرفوا فى النهاية على صناعة المنسوجات الناشئة ، وحصلت أسرة ميتسو بيشى على امتيازات واسعة لبناء السفن بما أظهرته من دهاء فى المناورة أثناء حادثة فرموزا « ١٨٧٤ — ١٨٧٥ » واستمرت

فى القيام بشئون الملاحة وصناعة السفن ، وأسرة سوميتومو بدأت تجرب حظها فى استخراج النحاس لحساب التجارة الهولندية فى ديشيا ، ولكنها تحولت بعد الانقلاب إلى الصناعات الثقيلة كصناعة المهمات الحربية والأسلحة .

النهضة التعليمية :

كان من نتائج الميثاق التعهدى الذى أصدره الإمبراطور سنة ١٨٦٨ أن أعيد النظر فى نظم التعليم اليابانية بحيث تترسم خطى أحسن النظم التعليمية الأجنبية ، فاستدعت الحكومة الإمبراطورية عددا كبيرا من رجال العلم الأجانب للمساهمة فى إنشاء المدارس والجامعات الجديدة ، وعاد كذلك إلى اليابان آلاف من أبنائها الذين أرسلوا إلى الخارج لدراسة التاريخ والعلوم ونظم الإدارة الحكومية والفنون كى يقوموا بالتدريس فى المدارس الجديدة ، ووضعت النظم التعليمية بإشراف الحكومة لتحقق التناسق الفكرى والإدارى ، وبعد سنة ١٨٨٦ أصبح التعليم الابتدائى أربع سنوات بمصروفات مخفضة وفى متناول الجميع .

التطورات الدينية :

احتضن التوكوجاوا البوذية ، بينما أباحت الشنتو الثورة على الشواجنة .

وفى سنة ١٨٦٨ أبطل الاعتراف بالبوذية كدين رسمى للدولة ، وحلت محلها الشنتو ، وقد كانت هناك بعض حالات اضطهاد للبوذية فى السنوات الأولى من الانقلاب ، ولكنها ما لبثت أن استعادت وضعها القانونى الكامل بعد سنة ١٨٧٢ ، وأصبح اليابانيون بعد ذلك يتدينون بمزيج من الديانتين ؛ فمراسم الشنتو تستخدم عادة فى الزواج ، أما الكهنة البوذيون فيقومون بالخدمة الدينية فى حالات الوفاة . ومع أن الأوامر كانت تصدر بنفى المواطنين الذين اعتنقوا المسيحية حتى سنة ١٨٦٩ فإن اضطهادهم قل تدريجيا . وفى سنة ١٨٧٣ أصبح للمسيحية وضع قانونى فى اليابان وكفل دستور سنة ١٨٨٩ حرية العقيدة للجميع ما دام الدين لا يعرض السلام أو النظام أو واجبات الأفراد للخطر .

المراجــــع

Brinkley, F. R.	(١٩١٥)	تاريخ الشعب اليابانى حتى آخر عصر مييجى
Dennett, T.	(١٩٢٢)	الأمريكيون فى شرق آسيا
Fostev, L. W.	(١٩٠٣)	الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق
Griffis, W. E,	(١٨٨٥)	تاونسند هارس
Gubbins, I. H.	(١٩٢٢)	نشأة اليابان الحديثة
Harris, .	(١٩٣٠)	القصة الكاملة لتاونسند هارس
Latourette, K. S.	(١٩٤٧)	تاريخ اليابان
So. So.	(١٩١٨)	تطور اليابان
Mc Govern, W, M.	(١٩٢٠)	اليـــابان الحديثة — تنظيمها السياسى والعســكرى والصناعى
Mc Laven, W. W.	(١٩١٦)	تاريخ اليابان السياسى أثناء عصر مييجى
Morris, T.	(١٩٠٦)	منشئو اليابان
Murdoch, I.	(١٩٢٦)	تاريخ اليابان « المجلد الثالث »
Norman, E. H.	(١٩٤٠)	ظهور اليابان كدولة حديثة
Okuma, Count S.	(١٩٠٩)	خمسون عاما من تاريخ اليابان الحديثة
Reischauer, E. O.	(١٩٤٦)	اليابان : ماضيها ، وحاضرها
Reischauer, R. K.	(١٩٣٩)	اليابان : حكومتها وسياستها
Sansom, G. B.	(١٩٥٠)	العالم الغربى واليابان
Takekoshi, V.	(١٩٣٠)	النواحى الاقتصادية فى تاريخ المدنية اليابانية العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة
Treat, P. J.	(١٩٣٢)	واليابان من ١٨٥٣ إلى ١٨٩٥
Walworth, A.	(١٩٤٦)	السفن السوداء على بعد من اليابان

الفصل السابع

الصراع على الأقاليم الصغرى

بورما

لم يستطع حكام بورما تكوين مملكة قوية إلا فى القرن الحادى عشر، مع أنهم بدأوا بإرسال سفرائهم إلى الصين منذ سنة ٨٠٢ م . وهذه المملكة كان مركزها باجان، وقد تم تدميرها على أيدى حكام الصين المغول فى القرن الثالث عشر، وظلت بعد ذلك بقرون مقسمة إلى أقاليم يُحارب بعضها بعضا .

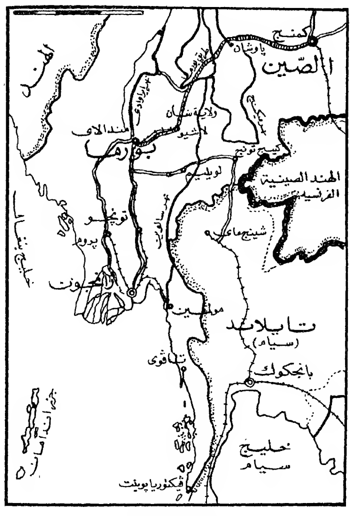
رواد بورما الأوائل من الأوربيين :

كان يقوم بالتجارة فى بورما منذ القدم أهل الملايو أو الهنود ، وذلك لعدم اهتمام أهاليها بالأعمال التجارية . ثم بدأ الأوربيون يتجرون مع بورما فى القرن السادس عشر، عندما قام دالبوكيرك بإجراء مفاوضات لعقد معاهدة بين بورما والبرتغال بعد الاستيلاء على ملقا مباشرة سنة ١٥١١ م . وفى أوائل القرن السادس عشر وسعت حكومة تونجو فى بورما أملاكها ، فبسطت سيادتها على الجزء الأكبر من بورما ، وعلى سيام . واستخدم الطرفان المتحاربان الجنود البرتغالية المرتزقة فى حروب الفتح .

التدخل الفرنسى البريطانى :

بعدسقوط حكومة تونجو فى القرن السابع عشرتمكنت آفا Ava، الدولة المدينة فى وسط بورما من بسط سلطانها على معظم البلاد حتى قامت مدينة بيجو ، وهى إحدى المدن الجنوبية بثورة وأسست مملكة منفصلة . وفى الفترة التالية التى امتازت بالحروب المحلية انضمت فرنسا إلى بيجو ، كما انضمت انجلترا إلى ألاونجبايا أحد الحكام الشماليين الذى استطاع أخيرا أن يبسط سلطانه على كل بورما تقريبا .

واستمر خلفاء ألاونجبايا يشنون حروب التوسع إلى أن هزموا السياميين سنة ١٧٦٥ وقضوا على جيش صينى قوامه خمسون ألفا أرسلته حكومة المانشو لقتالهم ، ومع أن سيام استردت استقلالها سنة ١٧٧١ فإن الحرب استمرت حتى سنة ١٧٩٣ .



بورما وسيام وطريق بورما

ضم بورما ١٨٢٤ — ١٨٨٥ :

زادت الانتصارات العسكرية التى أحرزها ملوك بورما من اعتدادهم بأنفسهم ، فدخلوا فى معارك مع الهند البريطانية سنة ١٨٢٤ وهم واثقون من قوتهم ، وكان من نتيجة إشعال أول حرب بين بورما و بريطانيا أن ضمت أراكان وتناسريم إلى الهند البريطانية ، ثم عادت بورما تعامل البريطانيين بغطرسة وكبرياء ، حتى اندلعت بينهما نار حرب طاحنة فى سنة ١٨٥٢ وأخرى فى سنة ١٨٨٥ عزل بعدهما ملك بورما عن عرشه ، وضم الباقى من مملكته إلى الهند البريطانية . ومن المرجح أن السبب الرئيسى لهذا الضم كان خوف بريطانيا من تحالف بورما مع دول أوربية أخرى .

السيادة الصينية :

لقد طالما ادعت الصين أن بورما دولة تابعة ، ولم يصد تقدم الصين نحو بورما بعد ضمها إلى الهند البريطانية سنة ١٨٨٥ إلا الاحتلال البريطانى العاجل لمناطق الحدود . وفى سنة ١٨٨٦ وافقت الصين على فتح بريطانيا لبورما طبقا لاتفاقية اعترفت فيها بريطانيا بأن بورما دولة تابعة للصين ، كما وافقت بريطانيا على أن تقوم السلطة العليا فى بورما بإرسال بعثة تحمل الجزية المعتادة إلى بيكين .

الحكم البريطانى :

كان الحكم البريطانى فى بورما على وجه عام أقل تعسفا من حكم ملوكها ، وكانت بورما قبله خاضعة لحاكم الهند العام الذى ينيب عنه فى حكمها أحد قواده ، يعاونه مجلس تشريعى يتألف من تسعة أعضاء . وقد احترم البريطانيون فى حكمهم تقاليد بورما بالمدن والقرى ، واحتفظوا بالزعماء الوطنيين المحليين الذين كان من عملهم إقامة العدل وجمع الضرائب فى مناطقهم ، وأدى السلام الطويل الأجل والضرائب الخفيفة التى فرضها البريطانيون فى بورما إلى ارتفاع كبير فى مستوى المعيشة ، وهذا بدوره أدى إلى زيادة كبيرة فى السكان .

الهند الصينية الفرنسية

أقسام الهند الصينية :

تتكون الهند الصينية الفرنسية من خمسة أقسام هى : لاوس ، وتنكين ، وأنام ، وكمبوديا ، وكوشين صين . وتسود كمبوديا وكوشين‌صين الثقافة الهندية ، بينما الأقسام الأخرى متأثرة بالثقافة الصينية .

أنام القديمة :

منذ القرن الثالث قبل الميلاد غزا الصينيون بلاد « تاى » ، وظلت منذ ذلك الحين على درجات تتفاوت فى التبعية ، وفى القرن العاشر الميلادى انتهزت إحدى الأسرات الحاكمة الوطنية فى أنام فرصة وقوع فتنة داخلية فى الصين وحصلت على استقلال البلاد ، ولكنها استمرت فى إرسال الجزية إلى البلاط الصينى بطريقة غير منتظمة . وقد استطاع الأناميون التوسع فى الجنوب على حساب كوشين صين ، فأدمجوا فى ملكهم جزءا من مملكة « شام » التى تفصل أنام عن كمبوديا ، و بسطوا سلطانهم فى الشمال على تونكين . .

كمبوديا :

المرجح أن إمبراطورية كمبوديا وصلت إلى ذورة مجدها فى القرن الثالث عشر ، ولكنها تفككت بعد ذلك حتى أن مدينة أنكورتان فى الداخل أهملت وعفى عليها النسيان. وكثيرا ما كافح الكمبوديون أنام وسيام للاحتفاظ باستقلالهم، ولما وفد الأوربيين على آسيا تلقت كمبوديا مساعدات إسبانية وفرنسية على التوالى .

التوغل الفرنسى :

لما طرد الفرنسيون من الهند سعوا إلى تعويض ما فقدوه بالهند الصينية ، وكان اليسوعيون الفرنسيون قد ارتادوا الإقليم وأرسلوا توصياتهم لحث الحكومة الفرنسية

على التوغل فى هذا الاتجاه . ورغم أن فرنسا بذلت مجهودات جبارة لتثبيت أقدامها بكمبوديا فى القرن الثامن عشر ، فقد تمتع الإقليم بسلام نسبى بعيدا عن الغزاة الأوربيين حتى منتصف القرن التاسع عشر . وفى هذه الفترة ازدادت عداوة الحكام الوطنيين للمسيحية . وبسبب اضطهادهم للمبشرين الكاثوليك هجوم أسطول فرنسى إسبانى على بلادهم سنة ١٨٥٨ لم يلبث أن استولى فى أوائل العام التالى على سايجون ، وفى سنة ١٨٦٣ تمت هزيمة الأناميين وتنازلهم لفرنسا عن جزء من كوشين صين ، و بعد ذلك بخمس سنوات ضم الفرنسيون بقية كوشين صين و بسطوا حمايتهم على كمبوديا .

حروب تونكين :

فى المدة من ١٧٧١ إلى ١٨٧٤ دفع التجار الفرنسيون حكومة بلادهم إلى صراع طويل مع تونكين . ولما كانت الحرب الفرنسية البروسية قد أوهنت قوى فرنسا وصارت لا تحتمل مواصلة النزاع الجديد فقد بدأت تفاوض أنام ، وعقدت معها سنة ١٨٧٤ معاهدة اعترفت فيها أنام بحكم فرنسا لكوشين صين ، و بحقها فى الإشراف على سياسة أنام الخارجية وبالرغم من أن أنام كانت لا تزال دولة تابعة للصين ، فإن النفرة ظلت بينهما فى تونكين بسبب مذابح المسيحيين ، و إصرار البلاد على رفض التجار الفرنسيين .

التدخل الصينى :

فى سنة ١٨٨٤ أرسل جول فرى Jules Ferry رئيس وزراء فرنسا الجديد قوات إلى الشرق الأقصى للقضاء على النزاع ، فلجأت أنام إلى الصين لمساعدتها ، فقامت فرنسا بمحاربة الصين دون إعلان الحرب ، بعد أن انتزعت من أنام معاهدة اعترفت فيها بالحماية الفرنسية عليها . وفى سنة ١٨٨٥ وضعت هذه الحرب أوزارها ، وأبرمت بين فرنسا والصين معاهدة اعترفت فيها الصين بالحماية الفرنسية على جميع أراضى الهند الصينية ، كما فازت فرنسا بامتيازات قيمة فى إقليم يونان .

استمرار المقاومة فى تونكين :

لم تضع هذه المعاهدة حدا لمتاعب الفرنسيين ، فقد أخطأوا فى ادعائهم أنهم قاموا لتحرير شعب تونكين من غزاته الأناميين ، ونسوا أن أنام وتونكين بينهما عرى لا تنفصم . فلما عرف الفرنسيون ما بين الشعبين من روابط أنهوا القتال بعد أن حصلوا من إمبراطور أنام على مرسوم ينص على وجوب إطاعة أهالى تونكين للحاكم العام الفرنسى . ولم تحل سنة ١٨٩٣ حتى كانت الحالة فى تونكين هادئة ، ولكن منطقة لاوس الجبلية لم يشملها الهدوء إلا فى سنة ١٩٠٧ .

الحكم الفرنسى :

كان أول حاكم فرنسى فى كوشين صين برتبة أميرال ، ولكن بعد الاستيلاء على كمبوديا وتونكين اختير الحكام الوطنيون من بين قواد الجيش لإدارة شئون البلاد . وفى سنة ١٨٩٤ سلمت إدارة المستعمرات إلى وزارة جديدة سميت وزارة المستعمرات . وابتداء من سنة ١٨٨٠ أرسلت كوشين صين نائبا عنها فى البرلمان الفرنسى ، وشكل لها مجلس استعمارى خاص . وفى سنة ١٨٨٧ عينت فرنسا حاكما عاما على جميع الأقاليم ، ولكنها أيضا منحت الموظفين الوطنيين سلطات محلية واسعة ، ثم أصدرت عدة لوائح لإقرار الوحدة السياسية والمالية ، وجعلت الحاكم العام ممثلا لها .

وكان الحاكم العام — يعاونه المجلس الاستعمارى — يقوم بالإشراف على الجيش والبحرية وإدارة الأقاليم التى تحت السيادة الفرنسية ، كما كانت الحكومة الوطنية تقوم بأعبائها بجانب هيئة الموظفين الفرنسيين . وظلت أنام إمبراطورية شكلا تحت حكم إمبراطور أنام الذى يعين حكام الأقاليم ويصدر إليهم الأوامر ، وكانت طبقة الموظفين الوطنيين تمثل صورة هزيلة للبيروقراطية الصينية ، وتولى الوظائف يتم بعقد المسابقات ، أما القرى فكانت تتمتع بحكم ذاتى محلى تتولاه أقلية من الوطنيين .

سيام

تاريخها القديم :

إنها تشبه كمبوديا فى كونها ربيبة الثقافة الهندية . وقد أنشأ شعب مون كمر Mon - Khmer أول ولاية فى سيام ، وبرغم أن التاى Thais بدأوا الهجرة من الصين إلى سيام منذ ألفى عام مضت فإن ولايات « كمر » ظلت قائمة حتى دفع التوسع المغولى أفواجا من التاى نحو الجنوب فأسسوا إمارات جديدة .

وفى القرن الرابع عشر اتحدت الولايات الجنوبية وكونت مملكة سيام . وتقدمت سيام تدريجيا فى شبه جزيرة الملايو جنوبا ، وفى كمبوديا شرقا ، ولكنها اضطرت أثناء القرن الخامس عشر والسادس عشر والثامن عشر إلى خوض الحرب للمحافظة على استقلالها ضد غزاة بيجو وبورما ، وصدت آخر غزو لبورما سنة ١٧٥٧ على يد قائد سيامى كان عميد أسرة شاكرى Chakkri التى ظلت تحكم سيام حتى القرن العشرين .

الاتصالات الأولى بالغرب :

بدأ البرتغاليون ينشئون علاقات مع سيام بعد استيلائهم على ملقا سنة ١٥١١ ، وفى القرن السابع عشر حل محلهم الهولنديون ، وتبادل جيمس الأول ملك انجلترا الرسائل مع حاكم سيام ، وتمتعت انجلترا بالعلاقات التجارية معها ، ولكن السياسة الحمقاء التى اتبعتها شركة الهند الشرقية البريطانية هى التى سببت مذبحة الإنجليز سنة ١٨٦٧ . ومر قرن دون أن يستطيعوا تجديد علاقاتهم التجارية مع سيام . ولما تولى لويس الرابع عشر ملك فرنسا أرسل سفيرا إلى سيام ، بيد أن المبشرين الذين رافقوا السفير أثاروا مذبحة ثانية بحماقتهم فى محاولة فرض السيادة الفرنسية على البلاد .

استقلال سيام :

إن استطاعة سيام وحدها من بين دول شرق آسيا الاحتفاظ باستقلالها فى أواخر القرن التاسع عشر ، عصر اختطاف المستعمرات، يعتبر ظاهرة تاريخية تصور إلى حد كبير مقدرة ملوك سيام على الإيقاع بين الفرنسيين والإنجليز ، وهناك سبب آخر ، هو عد إنتاجها المواد التى من أجلها تخوض الدول الأوربية غمار الحروب للحصول عليها . وأول تهديد خطير وجه إلى هذه البلاد هو احتلال بريطانيا لساحل تناسيريم التابع لبورما سنة ١٨٢٦ ، كذلك كان بسط بريطانيا حمايتها على الملايو عظيم الأهمية . فقد كان سلاطين الملايو مازالوا يدينون بالولاء لسيام . وفى سنة ١٨٢٦ عقدت بريطانيا معاهدة تجارية مع سيام ، وحذت حذوها الولايات المتحدة سنة ١٨٣٣ . وفى سنة ١٨٥٥ عقدت بين بريطانيا وسيام معاهدة ضمنت للبريطانيين حق امتداد قوانين بلادهم فى سيام ، كما منحت بريطانيا حق الدولة الأولى بالرعاية ، هذا إلى منحها امتيازات تجارية هامة . وبعد قليل منحت هذه الامتيازات لفرنسا والولايات المتحدة بمعاهدات أبرمت بينها وبين سيام ، ولكن اتضح لهذه الدول أن هذه المعاهدات لم تكسب بلادهم أى ربح .

الإصلاح فى سيام :

فى أواخر القرن التاسع عشر ظهر فى سيام ملكان قديران قادا البلاد فى سبيل التقدم والرقى نصف قرن ، فاقتبست كثيرا من النظم الأوربية ، وقوانين التعليم ، والنظم القضائية ، فقامت هذه الإصلاحات حائلا إلى حد كبير دون عدوان الدول الأوربية على هذه البلاد .

المنافسة بين فرنسا وبريطانيا :

أرادت كل من فرنسا وبريطانيا أن تحتفظ بسيام كدولة حاجزة برغم أنهما كانتا ترغبان فى الاستيلاء على بعض أراضيها ، وظل النزاع على الحدود التى لم تكن واضحة

بينهما قائماً إلى أن وفقت بريطانيا وسيام لتسوية مشاكل الحدود بينهما سلمياً . أما فرنسا فقد أثبتت أن لديها نيات عدوانية ، فأضافت لوانج برابانج إلى الهند الصينية بعد هجمات متوالية ، فانفصلت بذلك سيام عن الصين ، ولا مست الأملاك الفرنسية أرض بورما . وفى سنة ١٨٩٦ عقد الفرنسيون والبريطانيون اتفاقية لم تقتصر على تسوية مشكلة الحدود بين بورما والهند الصينية ، بل قسمت سيام إلى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية ومحايدة ، ولكن هذا التقسيم لم يضعف مركز سيام السياسى ، فقد ضمنت كل من انجلترا وفرنسا استقلالها ، بيد أن فرنسا قامت فى عامى ١٩٠٤ ، ١٩٠٧ بالاستيلاء على أراض جديدة ، وفى سنة ١٩٠٩ حصلت بريطانيا على اعتراف كامل باستيلائها على الملايو ، ففقدت سيام بهذا الاعتراف ثلث أراضيها ولم يبق لها سوى كتلة متماسكة من السكان أغلبهم من السياميين . ولما خف جشع أوربا للاستعمار استطاعت المملكة الصغيرة « سيام » أن ترقى شئونها الداخلية بكامل حريتها .

الهند الشرقية الهولندية

تاريخها القديم :

ترتبط جزر الهند الشرقية بالحضارة الهندية ، فقد أنشأت الهند منذ القرن الأول قبل الميلاد مستعمرات تجارية فى جاوه وسومطره . وكانت هذه المستعمرات هى النواة الأولى للممالك القادمة. وأنشأت دولة سرى ڤيشايا Sri Vishaya بسومطره ، فقوى سلطانها فى القرن السابع حتى صارت أول إمبراطورية هامة فى هذا الإقليم ، وبلغت سرى ڤيشايا ذروة مجدها فى القرن الحادى عشر ، فبسطت سلطانها على سومطره وجزء من جاوه وشبه جزيرة الملايو ، وامتدت الحكومات الخاضعة لسلطانها حتى سيلان وجنوب الهند .

أما بقية جاوه فقد ظلت مستقلة استقلالا جزئيا يحكمها عدة ملوك قليلو الأهمية . وفى القرن الثالث عشر ظهرت مملكة مركزية جاوية فى سنجوسارى وحّدت جاوه وكونت لها إمبراطورية على حساب سرى فيشايا .

إمبراطورية مادجاپاهيت :

فى أواخر القرن الثالث عشر استولت دولة « مادجاباهيت » على إمبراطورية « سنجوسارى » وقد أخذ حكام الإمبراطورية الجديدة يستثمرون البلاد، فقاموا بجمع الجزية من الحاصلات المحلية والاتجار فى هذه الحاصلات مع الهند والهند الصينية والصين بأرباح باهظة ، واتبع هذه الطريقة بعدهم البرتغاليون والهولنديون ، وبدأ اضمحلال إمبراطورية « مادجاباهيت » منذ سنة ١٣٨٩ وانتهى تاريخها فى القرن السادس عشر ، ويرجع ذلك إلى حد ما للحملات البحرية التى وجهتها الصين إليها . وبسقوط هذه الإمبراطورية انتهت السيطرة الهندوسية على الجزر ، تلك السيطرة التى دامت ألف عام . وإنما قضى الصينيون عاجلا على إمبراطورية « مادجاباهيت » ليتخلصوا من احتكارها للتجارة ، ولهذا اكتفوا بالمطالبة بإطلاق حرية التجارة ودفع الجزية بدلا من الحكم المباشر .

حكم العرب :

فى القرن الخامس عشر بدأ العرب يرسلون رسلهم إلى جزر الهند الشرقية للدعوة للدين الإسلامى ، ولم يحل عام ١٥٠٠ حتى قامت فى هذه الجزر عشرون حكومة إسلامية ، وأصبح الإسلام هو الدين السائد فى البلاد ، غير أن جمهرة الشعب ظلت تحتفظ بكثير من العقائد والطقوس الهندوسية مع اعتناقها الإسلام .

توغل البرتغاليين :

بعد أن استولى دالبوكيرك على ملقا بدأ البرتغاليون يجددون عهد إمبراطورية « مادجاباهيت » فأنشئت القواعد الحصينة فى الجزر ، وأقيمت الحراسة البحرية لمنع السفن الأجنبية من الوصول إليها ، وتركزت كل التجارة فى ملقا ، وعادت هذه التجارة بأرباح وفيرة ، ولكن البرتغال كانت تعوزها اليد العاملة للمحافظة عليها ،

و بعد أن تم توحيد البرتغال وإسبانيا تحت حكم فيليب الثانى سنة ١٥٨٠ تورطت البرتغال فى الحرب مع إسبانيا ضد الهولنديين والبريطانيين فاستطاعت سفن هاتين الدولتين أن تحطم احتكار البرتغاليين للتجارة .

كفاح الهولنديين من أجل السيطرة :

فى سنة١٦٠٥ استولت شركة الهند الشرقية الهولندية على سيلان ، وفى سنة١٦١٩ ضمت إليها غرب جاوه ، ولما تم لها الاستيلاء على ملقا سنة ١٦٤١ أصبحت كل جزر الهند الشرقية تقريبا تحت سيطرتها . و بعد غزو فرنسا للأراضى المنخفضة سنة ١٧٩١ وضعت الجزر تحت إشراف « مجلس الممتلكات الأسيوية » الذى كان يقوم بالإصلاح الإدارى فى الإمبراطورية . وقد أدى احتلال نابليون لهولندة إلى احتلال بريطانيا لجزر الهند الشرقية سنة١٨١١ ، ومع ذلك فإن معاهدة فينا قضت برد الجزر لهولندة ، وتسليم سيلان لبريطانيا ، وسوى النزاع بين بريطانيا وهولندة بسبب هذا الرد بمعاهدة سنة ١٨٢٤ التى نزلت بريطانيا بموجبها عن مطالبها فى سومطرة مقابل استيلائها على ملقا .

الحكم الهولندى :

شبت ثورة وطنية حامية استمرت من سنة ١٨٢٥ إلى سنة ١٨٣٠ وقتل بسببها خمسة عشر ألف جندى هولندى ، واشتدت المطالبة بالإصلاحات الإدارية . وحوالى سنة ١٨٣٠ أدخل الحاكم العام الهولندى فان دربوش « النظام الحضارى » الذى قضى بإعفاء الأهالى من الضرائب المتأخرة ، على أن يخصصوا خمس أراضيهم للزراعة ، وكان عليهم أن يزرعوا فى هذا الخمس ما ترى الحكومة زراعته ، وهى التى تتسلم المحصول . وقد أدى هذا النظام إلى استغلال الأهالى استغلالا سيئا دفعهم فى كثير من الحالات إلى إهمال زراعتهم الخاصة .

الإصلاحات :

جلبت الثورات الأوربية التى وقعت سنة ١٨٤٨ قوانين جديدة لجزر الهند الشرقية اعترف فيها « بالمسئولية الاستعمارية » فانتهى الحكم العسكرى ، وأصبح الحاكم العام مسئولا أمام وزير المستعمرات ، وفى نفس الوقت أصلح النظام القضائى ، وألغى الرق ، وأنشئت مدارس أولية لتعليم أبناء الأهالى . وانحسر «النظام الحضارى» تدريجيا حتى ألغيت السخرة نهائيا ، وفى أثناء هذه الفترة عزز الهولنديون سيطرتهم السياسية على الحكومات الوطنية فى سومطرة ، وسليبيز ، و بورنيو ، وجزر ملوكاس ، وغينيا الجديدة .

الملايو

العدوان الأوربى :

كان البرتغاليون أول من وصل إلى الملايو من الأوربيين ، فاستولوا على ملقا سنة ١٥١١ وظلت بعد ذلك المركز الرئيسى لتجارة البرتغال حتى استولى عليها الهولنديون سنة ١٦٤١ .

وفى سنة ١٧٨٦ تسلم البريطانيون أول قاعدة لهم فى الملايو بجزيرة بينانج ، وبعد ذلك بأربعة عشر عاما أضافوا إليها شقة من الأراضى المجاورة عرفت باسم « بورت ولسلى Port wellesley » وفى أثناء حروب نابليون ١٨١١ — ١٨١٦ استولى البريطانيون على جزر الهند الشرقية لحمايتها من الوقوع فى أيدى الفرنسيين ، ولما فشل سير ستامفورد رافلز Stamford Raffles الحاكم الإنجليزى للهند الشرقية الهولندية فى إقناع حكومة بريطانيا بالاحتفاظ بهذه الجزر أسس قاعدة بريطانية فى سنغافوره سنة ١٨١٩ ، وفى سنة ١٨٢٤ تنازل سلطان جوهور لبريطانيا نهائيا عن سنغافوره فى حين استرد الهولنديون ملقا .

نظام الحكم البريطانى للإقليم :

فى سنة ١٨٢٦ خضعت مستعمرات البوغاز ، وهى سنغافوره ، وملقا ، و بينانج لحكومة واحدة تشرف عليها الإدارة البريطانية فى الهند ، غير أنها فى سنة ١٨٦٧ انفصلت عن الهند وأصبحت من مستعمرات التاج البريطانى بعد أن ضمت إليها بورت ولسلى ولبوان ، وعيّن لها حاكم ومجلس تشريعى .

الاتحاد الفيدرالى لحكومات الملايو :

كانت شبة جزيرة الملايو التى لا تزيد مساحتها عن فلوريدا مقسمة إلى عدة سلطنات صغيرة تعترف عادة بسيادة سيام عليها ، واحتفظ سلاطين الملايو باستقلالهم ضد البرتغاليين ، والهولنديين ، ولكنهم بعد سنة ١٨٧٤ بدأوا يسلمون بحماية بريطانيا و بمشورتها . وفى سنة ١٨٩٦ أقنعت بريطانيا بيراك وسيلانجور و باهنج ونجرى سمبلان بتكوين اتحاد فدرالى مع احتفاظ كل حكومة بسلطانها يعاونه مجلس وطنى ومقيم بريطانى .

الأقاليم التى لم تنضم للاتحاد :

ظلت سلطنة جوهور فى الجنوب خارجة عن نطاق الاتحاد ، ولكنها فى سنة ١٩١٤ ، صارت محمية بريطانية . وفى الشمال ظلت أقاليم كيده و بيرلس وترنجانو وكيلانتان خاضعة لسيادة سيام حتى تنازلت عنها لبريطانيا سنة ١٩٠٩ . وكان الموظفون البريطانيون المقيمون بهذه البلاد التى لم تنضم للاتحاد يشرفون على إدارتها إشرافا دقيقا .

الحكم البريطانى :

عمل البريطانيون على الإقلال من مساوئ الحكم فى الملايو دون أن يحاولوا تغيير نظام هذا الحكم بأكمله ، فقد ظل السلاطين والارستوقراطية المحلية يحكمان البلاد بإشراف بريطانى دقيق . وشجع البريطانيون الأعمال العامة تشجيعا تاما ،

وبذلوا الجهود لرفع مستوى شعب الملايو ، وجلبوا عددا كبيرا من الهنود الصينيين للعمل فى المناجم والمستعمرات الزراعية لرغبة أهالى الملايو عن القيام بهذه الأعمال ، ونتج عن ذلك أن كثرت العناصر الأجنبية فى الملايو حتى صار الوطنيون لا يزيدون إذ ذاك على ٤١ ٪ من سكان الملايو ، بينما نسبة الصينيين ٤٥ ٪ من تعداد هؤلاء السكان ، وفى مثل هذه الظروف بات قيام حكم نيابى صحيح فى الملايو من الصعوبة بمكان .

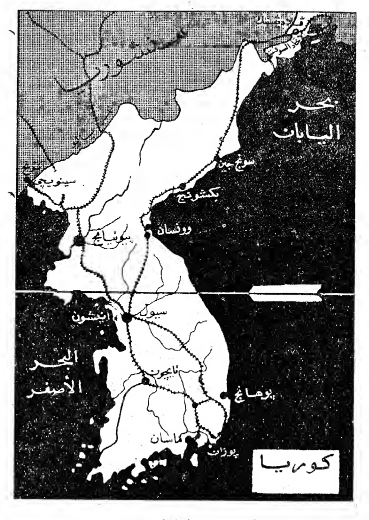
كوريا والحرب الصينية اليابانية

تاريخ كوريا القديم :

ينطق التاريخان : الصينى والكورى بأن حكيما صينيا اسمه « كى تسى » أدخل النظم السياسية والاجتماعية فى كوريا حوالى سنة ١١٢٢ ق . م ، وأن هذا الحكيم أسس أسرة حاكمة ظلت تحكم كوريا حتى القرن الرابع قبل الميلاد ، ثم سقطت فى أثناء الاضطرابات التى قضت على أسرة « تشن » فى بلاد الصين ، وظلت كوريا عدة قرون مقسمة إلى حكومات متنازعة حتى ظهرت فيها الممالك الثلاث : كوكولى ، وپايكشيه ، وسيلا .

الفتوح اليابانية والصينية :

استولى المحاربون القساة من اليابانيين فى فترات تخللت القرنين الرابع والسادس الميلادى على بعض أجزاء شبه جزيرة كوريا ، وحاولت الصين بين وقت وآخر أن تغزو كوريا حتى تولت أسرة تانج الملك فى النهاية . وفى أثناء تبعية كوريا لحكومة تانج هاجر كثير من الصينيين إليها ، بينما تلقى كثير من الكوريين دراستهم فى الصين . وفى القرن العاشر تزعمت أسرة « وانج » الوطنية الكورية حركة ثورية وحدت كوريا ، وقضت إلى حد كبير على نفوذ الصين فى البلاد ، ولكن أسرة تانج الصينية ظلت تحكم كوريا أربعة قرون ونصف .


بحر
اليابان
سونغ جين
بكشونج
وونسان
سينويجو
بيونيانج
سيول
اينشون
البحر
الأصفر
تايجون
بوهانج
ماسان
بوزان
كوريا

كوريا

أسرة « يى » :

أصبحت كوريا جزءا من إمبراطورية المغول الشاسعة، ومع ذلك ظلت أسرة وانج تحكم البلاد تحت سيادة الصين . وعندما سقطت أسرة يووان المغولية فى الصين سقطت معها أسرة وانج فى كوريا ، وخلفتها أسرة « يى » سنة ١٣٩٢ . وظلت سيادة الصين على كوريا فى أثناء حكم أسرة « يى » ولكنها احتفظت بروابط وثيقة بينها و بين اليابان ، ولم يمنع هذا الكوريين من محاربة القراصنة اليابانيين الشرسين . حتى لقد صدوا مرة فى القرن السادس عشر غزوا يابانيا فى عهد الشوجن هايديوشى ، وفى القرون التالية أخذت الأسرة تضمحل اضمحلالا مطردا ، ولم يبدأ القرن التاسع عشر حتى تدهورت ولم يبق أمل فى نهوضها . وفى هذه الفترة أصبحت كوريا تسمى « المملكة المنعزلة » فقد رفضت كل اتصال بالخارج عدا بعض اتصالات محدودة جدا مع اليابان والصين .

ظهور المسيحية فى كوريا :

فى أثناء فترة عزلة كوريا شقت المسيحية طريقها إلى « المملكة المنعزلة » ويرجع ذلك إلى جهود اليسوعيين فى البلاط الإمبراطورى الصينى ، إذ قام هولاء اليسوعيون بتنصير كثير من الطلبة الكوريين ، كما يرجع إلى نشاط المبشرين الأوربيين الذين دخلوا كوريا سرا عن طريق الصين . وقد أدى النشاط القومى الذى قام به المسيحيون الوطنيون فى مناهضة الكنفوشية إلى اضطهادهم بطريقة رسمية سنة ١٨٣٩ . ولما كان المبشرون الفرنسيون من بين من أعدموا فقد احتجت فرنسا ، ولكن الكوريين أحالوها على البلاط الصينى صاحب السيادة عليهم .

العلاقات الخارجية :

بعد أن فتحت معاهدات تينتسن سنة ١٨٥٨ شمال الصين للتجارة حاولت الدول الغربية بإلحاح أن تخرج كوريا من عزلتها ، ولكن محاولات البريطانيين والفرنسيين

والروس فى هذا السبيل فشلت نهائيا سنة ١٨٦٦ . وعندما تظاهر الروس بالقوة بقصد إرهاب الكوريين لم يسع كوريا إلا أن تحيلهم على حكومة بيكين صاحبة السيادة عليهم . وفى أواخر ذلك العام حدثت مذبحة أخرى أشد خطرا كان من بين ضحاياها قسس فرنسيون . ولما رفض الصينيون أن يتحملوا المسئولية تصرف القائد الفرنسى المحلى بحماقة ، فأرسل حملة صغيرة إلى كوريا اضطرت للتراجع وبقى حكام كوريا أشد غطرسة مما كانوا .

فشل الأمريكيين فى كوريا :

بعد مذبحة المسيحيين الكبرى سنة ١٨٦٦ بقليل ، شقت السفينة التجارية الأمريكية «جنرال شيرمان» طريقها إلى أحد أنهار كوريا فحطمها الكوريون وفشلت حملتان بحريتان أمريكيتان سنة ١٨٦٧ فى معرفة مصير السفينة « جنرال شيرمان » ولما أرسلت أمريكا حملة أكبر سنة ١٨٦٧ لبدء علاقات دبلوماسية مع كوريا عطلت المفاوضات بالنزاع المسلح وانسحب الأمريكيون بعد أن دمروا مدفعية كوريا الساحلية ، وقد كان هذا فى نظر حكام كوريا دليلا على تفوقهم .

نجاح اليابان فى كوريا :

استنكر حكام كوريا فتح اليابان أبوابها للغربيين ورفضوا استقبال مبعوثى الإمبراطور ميجى الذى تولى حكم اليابان حديثا . ولما أطلق الكوريون النيران على سفينة حربية يابانية أنزل اليابانيون حملة تأديبية فى كوريا سنة ١٨٧٦ وانتزعوا منها معاهدة صداقة وتجارة ، وتلا هذا عقد معاهدة بين الولايات المتحدة وكوريا بمساعدة الصين ، وفى هذه المعاهدة الأمريكية وما تلاها من معاهدات مع الدول الأوربية الكبرى فيما بين ١٨٨٢ ، ١٨٨٦ عوملت كوريا على أنها دولة مستقلة فعلا .

العلاقات بين كوريا والصين :

مع أن حكام الصين من المانشو قد فشلوا فى فتح كوريا فى القرن السابع عشر فقد ظلت كوريا تعترف بسيادة الصين عليها ، وكان ملوكها يقلدون مناصبهم على أيدى أباطرة الصين، و يرسلون بعثات بانتظام إلى بيكين لدفع الجزية ، ومع ذلك فقد ضعف نفوذ الصين فى كوريا باضمحلال المانشو ، وازداد هذا النفوذ ضعفا على ضعف بفشل الصين فى رعاية شئون كوريا الخارجية عندما تدخل الأجانب فى هذه الشئون .

الشئون الداخلية :

تعقدت السياسة الداخلية فى كوريا بسبب مشاكلها الخارجية ، ففى سنة ١٨٦٣ تولى الملك فى البلاد غلام فى الثانية عشرة تحت وصاية والده تايونكن ، وتزوج الملك الحدث الضعيف بفتاة من أسرة « مِنْ » القوية ، ولكنه ظل تحت سيطرة والده . وأخيرا تمكنت الملكة القوية الإرادة من بسط نفوذها عليه سنة ١٨٧٣ ، وأدى هذا العمل إلى التعجيل بقيام صراع حزبى طويل ترتب عليه إضعاف البلاد ، فإن حزب « يى » الذى يقوده تايونكن كان ميالا إلى الصينيين ، ومعارضا للآراء الغربية ، بينما كان حزب « مِنْ » الذى تتزعمه الملكة يحبذ استعمال الأساليب الغربية ومصادقة اليابان .

الاضطراب السياسى :

فى سنة ١٨٨٢ قام حزب يى يؤيده المشاغبون بمهاجمة الملكة والمفوضية اليابانية ، ولكنه ارتد فاشلا ، فأرسلت الصين واليابان قوات إلى كوريا لفض النزاع ، واستطاعت اليابان أن تنتزع من الكوريين اتفاقية حصلت بها على امتيازات تجارية جديدة يضاف إليها فرض غرامة على كوريا و إرغامها على معاقبة المذنبين . كما عمدت الصين إلى الزج بتايونكن زعيم حزب « يى » فى السجن ، تأكيدا لسيادتها ، وهكذا زاد ارتباط الشئون الداخلية لكوريا بالمنافسة بين الصين واليابان على هذه البلاد .

العدوان الصيني :

زاد اهتمام الصين بكوريا بعد حوادث الشغب سنة ١٨٨٢ فأرسلت يوان شيه كاىْ إلى سيول كوزير مقيم ، وبذلك أكدت مركزها الممتاز ، وتمسكنت من الإشراف القوى على تجارة كوريا وجماركها ومواصلاتها ، و بدأ حزب « مِنْ » يخشى اليابانيين ، فولى وجهه شطر الصين طالبا تأييدها له ، وكانت نتيجة ذلك أن العناصر التقدمية من الحزب قبضت على الملك سنة ١٨٨٤ بمساعدة اليابانيين ، فهاجمت قوات يوان شيه كاى اليابانيين والمتآمرين الكوريين وطردتهم ، وقضت المعاهدات التى تلت بأن تتحمل كوريا المسئولية الكاملة عن هذا الحادث وتدفع تعويضا . وقد وافقت كل من اليابان والصين فى معاهدة تينتسن سنة ١٨٨٥ على سحب قواتهما من كوريا ، على ألا يكون لأى من الدولتين الحق فى إرسال جنود إليها مرة ثانية إذا حدثت بها اضطرابات إلا بعد موافقة الأخرى . و برغم أن معاهدة تينتسن فى جوهرها اعترفت بالمساواة بين الصين واليابان فقد ظل الإشراف على كوريا من حق الصين . وفى سنة ١٨٨٦ هدد لى هونج شانج بخلع ملك كوريا عندما طلب إلى روسيا مساعدته ضد الصين . وقامت بريطانيا باحتلال « بورت هاملتن Port Hamilton » فى جنوب كوريا مدة عامين كى تسد الطريق فى وجه العدوان الروسى .

بدء الحرب الصينية اليابانية :

هيأ الكوريون السبب المباشر للحرب ، فقد قامت هيئة معادية للأجانب تعرف باسم « تونجهاك» بفتنة لم تستطع الحكومة الكورية القضاء عليها ، فأرسل لى هونج شانج قوات صينية إلى كوريا بناء على طلب حاكمها ثم أخطر اليابان بعد ذلك ، وانتقمت اليابان لنفسها بإرسال قوات كبيرة أيضا . وبعد القضاء على الثورة رفضت الصين سحب قواتها حتى يتم انسحاب اليابانيين ، ولما فشلت المفاوضات بدأت اليابان المعركة دون إنذار فهاجمت إحدى سفن نقل الجنود الصينية فى ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٤

وبعد ذلك بيومين أعلنت كوريا الحرب على الصين بعد أن وقعت تحت سيطرة اليابانيين ، ولـكن اليابان لم تعلن الحرب رسميا إلا فى ٦ أغسطس .

سير الحرب :

قد لا يكون من الصواب أن نقرر قيام الصين بحرب ضد اليابان ، إذ لم يشترك فى عمليات القتال إلا جانب صغير من قوات الجيش والأسطول الصينى الممكن استخدامها فى المعركة ، وخير ما توصف به هذه الحرب أنها معركة بين لى هونج شانج نائب الإمبراطور الصينى فى تشيلى وبين القوات اليابانية ، بل إن قوات « لى » نفسها أوهنها الفساد المنتشر بين الصينيين ، بينما كانت لليابانيين قوة عسكرية صغيرة حسنة التدريب والإعداد تحظى بتأييد قوى تام من حكومة اليابان لمهمتها الحربية . وكانت نتيجة ذلك أن هزم الصينيون فى كل نزال تقريبا ، ولم يبدأ شهر نوفمبر حتى كانوا قد طردوا من كوريا وفقدوا أسطولهم الشمالى الرئيسى . وفى فبراير ومارس هاجمت القوات اليابانية البرية والبحرية بلاد الصين الأصلية عند « واى هاى واى » فى إقليم شانتونج ، كما غزت منشوريا وفرموزا قبل أن يصل لى هونج شانج إلى اليابان للمباحثة فى شروط الصلح .

معاهدة شيمو نوسيكى ١٨ أبريل سنة ١٨٩٥ :

قضت معاهدة شيمو نوسيكى التى أنهت الحرب الصينية اليابانية بتنازل الصين عن فرموزا وجزر بسكادور وشبه جزيرة لياوتونج وفتح موان إضافية جديدة لليابان ودفع غرامة كبيرة . وقبل أن تتبادل الحـكومتان التصديق على المعاهدة تدخلت روسيا وفرنسا وألمانيا لإقناع اليابان بإعادة لياوتونج للصين فى مقابل دفع غرامة إضافية . وقد ضاقت اليابان بهذا التدخل ، ولـكنها لم تشأ أن تتحدى مثل هذه الدول الثلاث الـكبرى ، وتبين لها بعد نجاحها فى حربها مع الصين من أجل السيطرة على كوريا أن لها فى روسيا منافسا قويا لا بد من منازلته فى القارة .

الفلبـــين
والحرب الإسبانية الأمريكية

الحضارة السابقة للاحتلال الإسبانى :

كان الشعب الذى يقطن أرخبيل الفلبين على جانب لا بأس به من الحضارة قبل الاحتلال الإسبانى ، فقد وفدت البوذية والهندوسية على الجزر فى تاريخ مجهول ، ولـكن أمر هاتين الديانتين أهمل قبل قدوم الإسبانيين ، وأصبح السكان عبادا لمظاهر الطبيعة عدا القليل من المسلمين . ودلت تقارير الرواد الأوائل لهذه البلاد على أن نسبة عالية من الأهالى كانت تقرأ وتـكتب بلهجاتها الخاصة . وعرف الفلبينيون منذ وقت مبكر كيف يغطون سفوح المرتفعات بما يسمى « زراعة المصاطب » كما أنشأوا نظما شاملة للرى ، ولـكن لم تقم بالبلاد مملـكة قوية بسبب تشتت السكان وتعدد اللغات .

الفتح الإسبانى :

بيّنا فى الفصل الثالث أن الإسبانيين استولوا على ميناء مانيلا سنة ١٥٧١ وأصبحت هذه الميناء عاصمة ومركزا تجاريا رئيسيا لإمبراطورية إسبانيا فى الشرق ، ولم يبدأ عام ١٥٧٦ حتى كان الإسبانيون قد أتموا فتح الفلبين وإن كان المورو والمسلمون من سكان الجزر الجنوبية والقبائل الجبلية العديدة رفضوا الخضوع للحكم الإسبانى . وقد ظل الإسبانيون فى صراع مع المورو فى فترات متقطعة من عهد حكمهم الطويل للفلبين .

التنافس الأوربى :

لم يَقِ الفتح الإسبانى البلاد من الأخطار الخارجية ، فقد أوشك البرتغاليون أن يستولوا على مانيلا سنة ١٥٧٤ ، وهدد المغامرون الصينيون الحـكم الإسبانى للجزر

فى مناسبتين ، كما هددها الشوجن اليابانى بالغزو سنة ١٥٩٠ . وفيما بين عامى ١٦٠٠ ، ١٦٤٦ أزعج الهولنديون الإسبان فى الفلبين فقاموا فعلا بالاستيلاء على بعض القواعد فى الجزر ، وفى أثناء حرب السنين السبع فى أوربا استولى البريطانيون على مانيلا ، ولـكنهم أعادوها لإسبانيا بعد انتهاء الحرب .

الحكم الإسبانى فى الفلبين :

كان نظام الحكومة والوضع الاجتماعى فى الفلبين تحت حكم إسبانيا أشد إغراقا فى النظام الإقطاعى منه فى إسبانيا نفسها ، فـكان الحاكم العام رئيس الهيئة التنفيذية ورئيس المحكمة العليا «Audiencia» ، ولم يكن هناك ما يحد من سلطته غير نوع من الفحص الرسمى لأعماله فى نهاية ولايته لمنصبه ، وهذا ما أطلق عليه اسم «Residencia» وكان على رأس كل مقاطعة القاضى الأكبر «Alcade majore» الذى كان حاكما إداريا وقاضيا ، وكانت المقاطعات مقسمة إلى مدن أو قرى «Pueblos» لـكل منها رئيس وطنى منتخب . ولسوء الحظ كانت المناصب الرئيسية تباع وتشترى ، بينما كانت مرتبات الوظائف الصغرى من الضآلة بحيث ظلت هذه الوظائف شاغرة فى أغلب الأحيان . وكان الحكام الحقيقيون للبلاد هم الرهبان الإسبانيون ، ويرجع ذلك إلى قلة الموظفين الإسبانيين وهبوط مستواهم .

تعسف الرهبان الإسبانيين :

أحرز الرهبان الإسبانيون من النجاح فى فتح الفلبين ما جعل سكان هذه البلاد ينفردون بين المجتمعات الأسيوية الـكبرى باعتناق المسيحية ، وما وافى عام ١٦٠٠ حتى كان لمدينة مانيلا رئيس أساقفة يرأس أكثر من أربعمائة من القسس الوطنيين . وقد ساهم الرهبان الإسبانيون إلى حد ما فى تقدم الفلبين الاقتصادى ، وكانت قبضتهم قوية على المتنصرين من أهل البلاد . وتحدى الرهبان قوانين الـكنيسة ، فاحتكروا الـكوْرات « الأبروشيات » لأنفسهم رغم وجود عدد كبير من القسس الوطنيين ،

كما رفضوا قبول أحد من رجال الدين الوطنيين بين صفوفهم ، وكان فى حوزة الرهبان أحسن الأراضى الزراعية التى أجروها إلى نحو ستين ألفا من الوطنيين بشروط لا تفضل كثيرا نظام رقيق الأرض .

حركات الإصلاح :

أدى فتح قناة السويس وإنشاء خطوط الملاحة للسفن التجارية إلى زيادة القيمة الاقتصادية لجزر الفلبين وجعلها على مقربة من طرق التجارة الرئيسية . وقد أثارت الآراء الجديدة التى وفدت على الجزر حركة قوية للقضاء على سلطة الرهبان الاقتصادية والسياسية . ومع ذلك ففى سنة ١٨٧٢ أتاحت ثورة فى كافيتى الفرصة لهؤلاء الرهبان فقضوا على المصلحين الوطنيين ، كما أعدموا عددا من رجال الدين الوطنيين الذين قادوا حركة الإصلاح ، وصدر تصريح بأن القسس الوطنيين من أهل الفلبين ليس من اختصاصهم القيام بمراسم السر المقدس .

جوزيه ريزال :

أكثرت العائلات الثرية فى الفلبين من إرسال أبنائها إلى أوربا للحصول على تعليم أرقى ، وقد برز من بين هؤلاء الطلبة جوزيه ريزال الذى واصل دراسته فى إسبانيا وألمانيا بعد أن تخرج من جامعة مانيلا . وقد اشتهر ريزال كوطنى ومصلح ، كما اشتهر بتنظيم جماعة الإصلاح وتأليف الكتب الشعبية التى تعرض فيها لنقد مساوئ الحكم الإسبانى ، وأدى هذا النشاط إلى نفيه أولا ثم إعدامه فى النهاية . وبعد موت ريزال حل محل حركته الإصلاحية جماعة كاتيبومان ذات التنظيم العسكرى ، وهى جماعة ثورية تحت زعامة أندريه بونيفاسيو .

الثـــــورة :

فى عام ١٨٦٩ تزعمت جماعة كاتيبومان حركة عصيان استمرت عدة أشهر تحت قيادة إميليو أجينالدو ، وذلك بعد أن تسبب الرهبان الإسبان فى نفى مئات من

الوطنيين . ولما تبين لإيميليو أن نجاح الثورة لا يزال بعيد التحقيق قبل العفو من الحكومة الإسبانية سنة ١٨٩٧ على أن يرحل إلى هنج كنج ، وظل فى منفاه حتى نشبت الحرب الإسبانية الأمريكية .

الحرب الإسبانية الأميريكية :

قبل نشوب الحرب بين الولايات المتحدة و إسبانيا أرسل تيودور روزفلت وكيل وزارة البحرية الأمريكية ذو النزعة العدوانية ، چورج ديوى القائد البحرى ذا العقلية الاستعمارية ليرأس الأسطول الأمريكى فى بحار آسيا ، وكان على ديوى أن يعد أسطول الولايات المتحدة للاستفادة من أية فرصة سانحة . وفى أول مايو سنة ١٨٩٨ بعد بدء الحرب أبحر ديوى بقواته الصغيرة إلى خليج مانيلا فدمر الأسطول الإسبانى غير المستعد ، متجاهلا ما فى طريقه من ألغام وعوائق . ولما كانت تعوزه القوات اللازمة للنزول برا واحتلال مانيلا فقد اكتفى باحتلال كافيتى وانتظر وصول الإمدادات . ولما سمع بماضى أجينالدو فى الكفاح ضد الإسبانيين زود ثوار الفلبين بالأسلحة الإسبانية التى استولى عليها ، ولكن أجينالدو أعلن نفسه رئيسا لحكومة فلبينية مستقلة تقدمت إلى الدول الأجنبية طالبة الاعتراف بها ، ولما وصلت الإمدادات الأمريكية قبل استيلاء أجينالدو على مانيلا اضطرت المدينة إلى التسليم للأمريكيين بعد توقيع بروتوكول الصلح فى واشنطون .

الولايات المتحدة تحصل على الفلبين :

كان فتح الفلبين مصدر حيرة للولايات المتحدة ، وأصبح من المشكوك فيه احتفاظها بهذه الجزر ، ولكن عدة عوامل ساعدت على ضم الفلبين للولايات المتحدة ، وهذه العوامل هى :

١ — امتلاك الولايات المتحدة لبعض أراضى الصين ، وهذا ما جعل من الضرورى حصولها على قواعد فى الشرق الأقصى كبقية الدول الأخرى .

٢ — احتمال استيلاء ألمانيا على الجزر إذا لم تقم الولايات المتحدة بهذا العمل ، يضاف إلى ذلك أن بريطانيا وفرنسا واليابان كانت تفضل أمريكا على ألمانيا .

٣ — الاتجاهات الاستعمارية الجديدة فى الولايات المتحدة التى عززتها انتصارات أمريكا فى الحرب .

٤ — قيام أهالى الفلبين بالعصيان فى وجه الحكم الأمريكى مما حدا ببعض رجال الكونجرس الأمريكى إلى تحبيذ ضم الجزر لإنقاذ سمعة أمريكا . وفى معاهدة باريس دفعت الولايات المتحدة لإسبانيا عشرين مليون دولار للإصلاحات الدائمة والمبانى الحكومية وغيرها من المنشآت التى أقامتها إسبانيا فى الجزر .

وكانت نهاية محزنة تلك التى أدت بإسبانيا إلى قبول عشرين مليونا من الدورلات ثمنا لبلاد ظلت تحت الحكم الأسبانى نحو ثلاثمائة عام .

الحكم الأمريكى فى الفلبين :

بعد سقوط مانيلا أقيمت فى الفلبين حكومة عسكرية أمريكية تحت رياسة آرثر ماك آرثر « والد الجنرال ماك آرثر المعروف فى الحرب العالمية الثانية » . وقد أرسل الرئيس الأمريكى ماك كينلى Mac Kinley لجنة تحقيق إلى الجزر حتى قبل أن تنتهى مقاومة الفلبين ، تلك المقاومة التى ظلت قوة أمريكية مشغولة بإخمادها أكثر من عامين . ووضعت هذه اللجنة التى كان يرأسها القاضى وليم ه . تافت تقريرا بأن جزر الفلبين لم تهيأ بعد للاستقلال ، وأوصت بإقامة نوع من الحكم الإقليمى .

أرسل تافت بعد ذلك على رأس لجنة دائمة إلى الفلبين سنة ١٩٠٠ ، وقد حولت هذه اللجنة حكومة البلاد من عسكرية إلى مدنية يرأسها تافت نفسه ، ويساعده مجلس مشترك من أهالى الفلبين الأمريكان ، ورغم أن هذه الحكومة لم تعط أى وعد بمنح البلاد استقلالها فإنها منحت أهل الفلبين جميع ما تضمنه إعلان حقوق الإنسان ما عدا حق المحاكمة طبقا لنظام المحلفين وحق حمل السلاح ، وسمح لأهالى

الفلبين بالاشتراك فى الحكومة بقدر ما تسمح به خبرتهم وتعليمهم ، وفى سنة ١٩٠٧ أجرى انتخاب أول جمعية وطنية فى الفلبين .

دليل التقدم :

ظل تافت يشرف على شئون الفلبين من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩١٣ باعتباره حاكمها المدنى أولا ، ثم باعتباره وزيرا للحربية الأمريكية ، فرئيسا لجمهورية الولايات المتحدة . وقد حقق للفلبين أثناء هذه الفترة تقدما ماديا وثقافيا يستحقان التقدير ، فاشتريت أملاك الرهبان من الكنيسة ، و بيعت للأهالى ، ووضعت قوانين جديدة ، وازدهرت الصناعة والتجارة ، وارتفع مستوى المعيشة ، وانخفضت نسبة الوفيات بين السكان من ١٧½ إلى ١٨½ فى الألف ، وتقدم التعليم بعد أن أصبحت الإنجليزية هى اللغة الأساسية للتعليم فى الفلبين .

الفصل الثامن

الصين فى طريقها إلى الثورة ١٨٩٤ – ١٩١٤

نتائج الحرب الصينية اليابانية

أثر هذه الحرب على الصين :

كانت هزيمة الصين على أيدى اليابانيين ضئيلة الأثر على الشعب الصينى بوجه عام ، لأن الحرب حصرت فى دائرة محدودة ، كما نظر الصينيون إليها على أنها معركة بين اليابانيين المتوحشين و بين حكام المانشو الأجانب ، أما الطبقة المثقفة التى تكون البيروقراطية الصينية فاعتبرت الهزيمة إنذارا مذلا ، وشعر كثير من الموظفين الصينيين التقدميين بأن اللامركزية الحكومية التى منعت جيش الصين وأسطولها من الاشتراك فى المعركة يجب أن يوضع لها حد . أما فى بيكين فقد زادت الحرب حكومة المانشو ضعفا وفسادا ، وانحط نظام الخدمة المدنية لأن الحكومة عملت على زيادة الدخل ببيع المناصب علنا .

الإصلاح :

كان من نتيجة الهزيمة أن طرد لى هوانج شانج ، وأصبح يوان شيه كاى رئيسا لمجلس حرب جديد أنشىء لإعادة تنظيم جيش الصين وأسطولها ، وصدرت مجموعة من القوانين تقضى بإنشاء مصانع وطرق مواصلات على النظام الغربى برءوس أموال صينية ، ولسوء الحظ كان يعوز موظفى الأقاليم الذين وكل إليهم تنفيذ هذه الإصلاحات رأس المال والمهارة ، فاعتمدوا اعتمادا قويا على العون الأجنبى .

رد الفعل الأجنبي :

بددت الهزيمة ما بقى لدى الأجانب من احترام لقوة الصين العسكرية ، وبدأوا ينظرون إليها كثمرة حان قطافها ، والمشكلة الرئيسية هى طريقة توزيع هذه الثمرة .

طرق تدخل الأجانب :

عززت الدول الاستعمارية مصالحها فى الصين بعدة طرق تشمل ما يأتى :

١ — تقديم القروض إلى الصين ، وكان ذلك يتم غالبا باستخدام الضغط وبشروط تعطى الدائنين الحق فى الإشراف على بعض نواحى الاقتصاد الصينى .

٢ — امتيازات اقتصادية قاصرة على الاستعماريين كامتياز إنشاء السكك الحديدية والتعدين ، وغالبا ما تضمّن منح هذه الامتيازات حق حفظ النظام الذى يحد من السيطرة العسكرية الكاملة لحكومة الصين .

٣ — مناطق المصالح التى اكتسبها الأجانب بما منحته لهم الصين من الأفضلية الاقتصادية أوالاحتكارات التى تشمل مساحات واسعة ، وهذه المناطق وإن لم تتضمن أى تغيير فى السلطة السياسية فإنها كانت خطوات نحو الحماية .

٤ — اتفاقات عدم نقل الملكية التى بمقتضاها تتعهد الصين لدولة ما بأنها لن تحوّل أو تنقل السيادة على الإقليم موضوع الاتفاق إلى أى دولة أجنبية أخرى .

٥ — الأراضى المؤجرة ، وذلك بأن تؤجر أجزاء من أرض الصين إلى دولة أجنبية لإنشاء قواعد بحرية أو لأغراض مشابهة .

القروض الأجنبية :

أجبر « أصدقاء » الصين ، وهم الفرنسيون والألمان والروسيون حكومة اليابان على رد « لياو تونج » إلى الصين بعد الحرب الصينية اليابانية ، ولما عجزت الصين عن دفع الغرامة الحربية الثقيلة لليابان قدمت لها روسيا قرضا فألحت فرنسا فى أن تساهم

فى تقديم هذا القرض ، ونتيجة لذلك أعد قرض فرنسى روسى قدره أربعمائة مليون فرنك فى يوليو سنة ١٨٩٥ ، كما حصل اتحاد مصرفى مكون من أصحاب رءوس الأموال الإنجليز والألمان على امتياز تقديم قرضين للصين فى مارس سنة ١٨٩٦ ومارس سنة ١٨٩٨ .

الاتفاقات الروسية الصينية سنة ١٨٩٦ :

استغلت روسيا الثقة التى وضعتها فيها الصين « بسبب موقفها من اليابان وإجبارها على التنازل عن لياو تونج » استغلالا كاملا ، فى سنة ١٨٩٥ أنشىء مصرف روسى صينى برءوس أموال فرنسية وإدارة روسية ، وكان هـذا المصرف ذا حق رسمى فى جباية الضرائب وسك النقود وإدارة السكك الحديدية . وبمناسبة تتويج قيصر روسيا فى يونيو سنة ١٨٩٦ عقد لى هونج شانج معاهدة « لى — لوبا نوف » مع روسيا على أن تـكون نافذة المفعول مدى خمسة عشر عاما ، وأن تشمل ما يأتى :

١ — تحالفا عسكريا بين روسيا والصين ضد اليابان .

٢ — مدّ سكة حديد سيبريا عبر منشوريا إلى فلاديفوستك ، على أن توضع تحت إشراف المصرف الروسى الصينى .

٣ — امتيازات تجارية وصناعية وتعدينية واسعة فى داخل طريق المرور الممنوح للسكة الحديدية وعلى مقربة منه .

٤ — أن تـكون السكة الحديدية مؤسسة روسية صينية خالصة تصبح تلقائيا ملـكا للصين بعد ثمانين سنة وتستطيع الصين شراءها بعد ست وثلاثين سنة .

٥ — منحت روسيا حقوقا تستطيع بموجبها استخدام بعض الموانى الصينية فى حالة الحرب .

الألمان يستأجرون كياو تشاو :

تدخلت ألمـانيا لمساعدة الصين سنة ١٨٩٥ إذ كانت لديها مشروعات تود تنفيذها فى أراضى الصين ، فاتخذت قتل اثنين من اليسوعيين الألمان فى شانتونج

سنة ١٨٩٧ ذريعة لبدء العمل . و بعد أن صدرت إنذارات نهائية إلى الصين وأنزلت قواتها على أراضيها حصلت فى ٦ مارس سنة ١٨٩٨ على ما يأتى :

١ — استئجار ميناء تسنج تاو والأراضى المحيطة بخليج كياو تشاو كقاعدة بحرية .

٢ — ترك منطقة محايدة امتدادها خمسون كيلو مترا خلف المنطقة المؤجرة على أن تكون تحت إشراف ألمانى .

٣ — حصول ألمانيا على امتيازات التعدين و إنشاء السكك الحديدية فى إقليم شانتونج .

٤ — اعتبار إقليم شانتوج منطقة مصالح ألمانية .

روسيا تستأجر بورت آرثر :

كانت روسيا فى أشد الحاجة لميناء ذات مياه دفيئة لإمبراطوريتها الشمالية الشاسعة إذ لم تكن فلاديفستك تخلو من تجمد المياه طوال أيام السنة . ولما اعترض الأسطولان الإنجليزى واليابانى طريقها فى الحصول على ميناء كورى، حصلت فى مارس سنة ١٨٩٨ على عقد استئجار جنوب شبه جزيرة لياو تونج لمدة خمس وعشرين سنة ، وشمل هذا العقد بورت آرثر ودالنى « دايرين » يضاف إلى ذلك أن روسيا حصلت على ربط سكة حديد سيبريا بالمنطقة المستأجرة .

فرنسا وكوانج شو :

أما فرنسا فقد حصلت على سلسلة من الاتفاقات امتدت حتى أبريل سنة ١٨٩٨ مكافأة لها على مساعدتها للصين وشملت هذه الاتفاقات ما يأتى :

١ — امتيازات واسعة للتعدين و إنشاء السكك الحديدية فى إقليمى كوانجسى و يونان .

٢ — تشمل منطقة المصالح واتفاقات عدم نقل الملكية ، هايدان والمقاطعات الصينية الواقعة على حدود الهند الصينية الفرنسية .

٣ — عقد استئجار كوانجشو مدة تسع وتسعين سنة لاستخدامها كقاعدة بحرية.

٤ — موافقة الصين على استخدام مستشارين فرنسيين فى إدارة البريد الصينية المقترحة .

٥ — تعديل الحدود بين الصين وتونكين لصالح فرنسا .

بريطانيا و « واى هاى واى » :

لم تكن بريطانيا راغبة فى المزيد بعد أن أصبحت قاعدة هنج كنج تحمى تجارتها الواسعة ، ولكن لما بدأت الدول الأخرى تحصل على امتيازات رأت بريطانيا صونا لكرامتها أن تأخذ نصيبها من هذه الصفقات . لذلك لم يأت يوليو سنة ١٨٩٨ حتى انتزع الدبلوماسيون البريطانيون من الصين الاتفاقات التى نصت على ما يأتى :

١ — توسيع المنطقة المؤجرة لبريطانيا فى شبه جزيرة كولون المجاورة لجزيرة هنج كنج .

٢ — حصولها على اتفاقات عدم نقل الملكية ومنطقة المصالح فى وادى نهر اليانجتسى .

٣ — استئجار واى هاى واى لجعلها قاعدة بحرية ما دامت روسيا محتفظة بميناء بورت آرثر .

٤ — الحصول على تأكيدات من الصين بتعيين أحد الرعايا البريطانيين فى وظيفة المفتش العام للجمارك الصينية ما دامت التجارة البريطانية هى الأكثر انتشارا فى الصين .

٥ — تعديل الحدود بين الصين وبورما لصالح بريطانيا .

نهاية إحراز الأجانب للأراضى الصينية :

اقتفت اليابان أثر الدول الأوربية فى المطالبة باتفاقات عدم نقل الملكية التى شملت إقليم فوكين الواقع على الساحل الصينى المواجه لفرموزا ، ولم تستجمع الصين شجاعتها وترفض تسابق الدول لاختطاف أراضيها إلا حين طالبت إيطاليا بأرض صينية جديدة .

وقد تشابكت مصالح الدول فى بعض المناطق ، ولـكن سرعان ما سويت المشاكل بالطرق الدبلوماسية . أما اتفاق سيام سنة ١٨٩٩ الذى قضى مقدما بإقتسام بريطانيا وفرنسا لأى امتيازات تحصلان عليها فى إقليمى يونان وسشوان ، فقد عدل باتفاق إضافى سنة ١٨٩٨ . وعقد اتفاق بين فرنسا وألمـانيا سنة ١٨٩٨ حدد مناطق مصالح كل منهما . وفى العام التالى جعلت بريطانيا وروسيا سور الصين العظيم خط تقسيم بين مناطق نفوذهما .

مصالح الولايات المتحدة :

تجنبت الولايات المتحدة فى علاقاتها مع الصين الحصول على امتيازات خاصة بها ، ولـكنها أصرت فى المعاهدات على الظفر بحق الدولة الأولى بالرعاية . وباستيلائها على الفلبين سنة ١٨٩٨ أصبحت تشعر بأنها فى غير حاجة إلى التسابق للحصول على أراض فى الصين ، ومع ذلك فقد ظلت متمسكة بسياسة « الدولة الأولى بالرعاية » خشية أن تستبعد من ميدان التجارة فى الصين .

سياسة الباب المفتوح ١٨٩٩ :

فى الفترة الدقيقة التى شعرت فيها بريطانيا بضعف مركزها فى الصين بسبب حرب البوير اقترحت على الولايات المتحدة أن تتزعم حركة إقناع الدول الـكبرى باتباع سياسة الباب المفتوح فى تجارتها مع الصين . وقد عبرت الولايات المتحدة عن هذه السـياسة فى سلسلة من الاقتراحات أصدرها جون هى John Hay وزير خارجيتها إلى الدول مطالبا بما يأتى :

١ — ألا تحاول الدول أى تدخل يمس المعاهدات المتعلقة بالثغور أو بالمصالح الأجنبية الموجودة فعلا داخل حدود مناطق المصالح أو الأراضى الصينية المؤجرة .

٢ — أن تجبى الرسوم الجمركية الصينية التى قررتها المعاهدات على بضائع جميع الدول بالتساوى دون اعتبار لمناطق المصالح أو الأراضى المؤجرة .

٣ — ألا يكون هناك أى تمييز سواء أكان فى مناطق المصالح أم فى الأراضى المؤجرة فيما يتعلق برسوم الميناء وفئات أجور شحن البضائع .

وقد قبلت الدول الأجنبية اقتراحات وزير الخارجية الأمريكية بتحفظات هامة ، ورغم ذلك قبل جون هي هـذه التحفظات وأعلن موافقة الدول على سياسة الباب المفتوح .

فترة إصلاح مدتها مائة يوم ثم رد فعل

المصلحون الصينيون :

أضيفت خسائر الصين فى أراضيها عامى ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ إلى الدروس التى تعلمتها من هزائمها العسكرية والأدبية فى عامى ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ومع ذلك ظل زعماؤها فى شقاق . ففى بيكين استمرت الإمبراطورة الوالدة تزوهسى التى سيطرت على سياسة الصين منذ سنة ١٨٦٠ فى اتباع مشورة المحافظين من أمثال جونج لو، ويوان شيه كاى الذى نادى بالمحافظة على الحالة الراهنة مع طلب العون الروسى . أما فى الجنوب فقد اتجه جماعة من الزعماء نحو الثورة أو الإصلاح ، فقاد الدكتور صن يات سن Sun yat - Sen ثورة قصيرة الأجل فى كانون عام ١٨٩٥، ثم قام بعد ذلك بتنظيم جماعات ثورية بين الصينيين الذين يقيمون فيما وراء البحار ، واتبع مصلحون آخرون أساليب أكثر مسالمة ، فإن « ونج تونج هو » مؤدب الإمبراطور الغلام « كوانج هسو » وتلميذه « كانج يو واى » حبذا صداقة اليابان والقيام بإصلاحات سياسية واجتماعية عاجلة لتطبيق نظام الملكية الدستورية بالتدريج ، ومن بين زعماء الإصلاح الآخرين « شانج شيه تونج » و « ليانج شيه شاو » و « ليو كون يى » .

الإصلاح بإصدار مراسيم :

طردت الإمبراطورة الوالدة « تزوهسى » ونج من منصبه ، كمؤدب للإمبراطور بسبب نجاحه فى تلقيح عقل الإمبراطور الصغير بالآراء التقدمية ، ولـكن ذلك جاء

بعد أن صمم الإمبراطور على القيام بالإصلاح . وفيما بين ١١ يونيو و ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ كان كانج يو واى مستشارا للإمبراطور ، فاستطاع استصدار مراسيم بمجموعة الإصلاحات الشاملة التى سميت فى مجموعها إصلاح « المائة يوم » وقد قصد بهذه الإصلاحات إعادة تنظيم الحكومة والتعليم فى الصين تنظيما تاما ، وهذا اقتضى إلغاء كثير من الوظائف الزائدة عن الحاجة ، وجعل الحكومات الإقليمية أكثر مركزية تحت إشراف بيكين ، وفتح مدارس جديدة لنشر التعليم على النظام الأوربى ، وتشجيع استخدام الأساليب الغربية فى الإنتاج ، وتكوين جيش وطنى يتبع النظم الغربية على قاعدة التجنيد الإجبارى .

رد الفعل :

من سوء الحظ أن المصلحين كانت تنقصهم الخبرة ، كما أن الذين قاموا بتنفيذ اقتراحاتهم كانوا من الموظفين المحافظين الذين لا يعطفون على حركة الإصلاح ، وفضلا عن ذلك فإن الدول الأجنبية ظلت ترهق حكومة الإصلاح وتطالب بامتيازات جديدة .

ولما اقتنع المصلحون بأن حركتهم ستفشل إن لم يبعدوا المعارضين عن مراكز الزعامة تآمروا على الإمبراطورة الوالدة وجونج لو وعملوا على إقصائهم ، ولكن المؤامرة انكشف أمرها قبل الأوان . وفى انقلاب ٢١ سبتمبر عادت الإمبراطورة الوالدة تزوهسى إلى السلطة ووضع الإمبراطور فى سجن محكم بقية حياته ، وفر كانج يو واى وليانج شيه شاو ، وأعدم عدد كبير من القائمين بحركة الإصلاح .

حركة الملاكمين « البوكسرز »

تجدد مقاومة العدوان الأجنبى :

اشتدت الإمبراطورة فى معارضة طلبات الأجانب ، وهذا هو الوقت الذى رفضت فيه مطالب إيطاليا ، ولما كانت كثرة إلحاح الأجانب فى مطالبهم قد أثارت فزع حكومة الصين ، فقد اتخذت هذه الحكومة إجراءات لزيادة الجيش ، ولكن

فى الوقت الذى كان هدف المصلحين فيه هو زيادة قوة الصين العسكرية بتركيز الإشراف على القوات المسلحة فى بيكين، كانت الإمبراطورة تزوهسى تسعى إلى نفس الغرض عن طريق اللامركزية .

حركة الملاكمين الرجعية :

أصبح الرجعيون أصحاب السلطة التامة بعد انهيار إصلاح المائة يوم . ومما زاد حماستهم ظهور حركة معادية للأجانب مركزها شمال الصين ، فقد قام كثير من الموظفين بتهيئة الجو لإثارة السخط السياسى والاجتماعى والاقتصادى ضد الأجانب ، وتكونت جمعيات سرية مناهضة للأجانب يؤيدها رجعيو البلاط الإمبراطورى وحكام الأقاليم ، وانخرط أعضاؤها فى سلك منظمات محلية شبه عسكرية « ميليشيا » لمكافحة العدوان الأجنبى ، وكان فى مقدمة هذه الجمعيات السرية « أى هو توم » التى عرفت بين الشعب باسم حركة الملاكمين « البوكسرز » ، وقد تغاضت الحكومة عن أعمال الملاكمين فبدأوا يهاجمون الأجانب. ولم يحل عام ١٩٠٠ حتى كان قد قتل فى شمال الصين عدد كبير من المسيحيين الصينيين ومن الأجانب . وفى أول يونيو أضيف أربعمائة وخمسون بحارا إلى الوحدات التى تحرس المفوضيات الأجنبية فى بيكين ، فاعتبر الملاكمون هذا العمل مقدمة لغزو أجنبى جديد . وبعد ثلاثة أيام من وصول هذه القوات الأجنبية الإضافية دمر الملاكمون المواصلات الحديدية التى تربط بيكين بتينتسن . ولما بدأت القوات البحرية الأجنبية يوم ١١ يونيو ترسل إمداداتها العسكرية إلى بيكين يقودها الأميرال سيمور البريطانى أعلن البلاط الإمبراطورى وجماعة الملاكمين الحرب على جميع الأجانب .

ثورة الملاكمين :

لما ردت حملة سيمور البحرية على أعقابها إلى تينتسن قامت حملة بحرية أقوى منها بنسف حصون تاكو ، فانتقم الصينيون لأنفسهم بمهاجمة المفوضيات الأجنبية

فى بيكين ، وأصدرت الإمبراطورة أوامرها فى ٢٤ يونيو بإبادة جميع الأجانب فى الصين . ومن حسن حظ الصين أن كثيرا من موظفى الأقاليم الذين كانوا يعارضون حركة الملاكمين أهملوا تنفيذ هذا الأمر الإمبراطورى الأحمق ، وأرادت الدول الأجنبية أن تجعل هذا النزاع محليا فأعلنت أنها تحارب الملاكمين فقط ، وأنها تساعد الصين فى القضاء على هذه الثورة الداخلية .

وساطة الولايات المتحدة :

خشيت الولايات المتحدة أن يكون عمل الدول الأجنبية مقدمة لمطالب إقليمية جديدة من الصين ، فأرسلت إلى هذه الدول مذكرات مماثلة بينت فيها أن سياستها تتلخص فيما يلى :

١ — المحافظة على سلامة أراضى الصين وحكومتها .

٢ — استمرار العمل بسياسة الباب المفتوح فى الصين .

وقد أيد هذا التعهد الأمريكى كل من بريطانيا العظمى وألمانيا .

اتفاقية الملاكمين سنة ١٩٠١ :

فى ١٤ أغسطس رفعت القوات الأجنبية الحصار عن المفوضيات فى بيكين ، وهرب البلاط الإمبراطورى إلى إقليم شنسى ، وحصلت الصين على السلام بشروط مذلة ، وكان من بين ما طلب إلى حكومة المانشو ما يأتى :

١ — تقديم اعتذارا لليابان وألمانيا بسبب قتل ممثليها الدبلوماسيين .

٢ — إنزال العقاب بالموظفين الصينيين المسئولين عن الحادث .

٣ — وقف اختبارات الخدمة المدنية للصينيين فى المدن التى هوجم فيها الأجانب .

٤ — دفع غرامة قدرها ٣٣٣ مليون دولار .

٥ — هدم حصون تاكو ووقف استيراد الأسلحة مدة عامين .

٦ — إنشاء وزارة خارجية .

٧ — إعادة النظر فى المعاهدات التجارية ، ورفع الرسوم الجمركية إلى ٥ ٪

البرنامج الإصلاحي لحكومة المانشو

١٩٠٢ — ١٩١١

الإمبراطورة تتحول إلى جانب الإصلاح :

قبل ظهور حركة الملاكين أحبطت الإمبراطورة كل سعى للإصلاح ، ومع ذلك فإنها بعد اضطرارها للهرب من بيكين مرة أخرى خوفا من الأجانب بدأت تعترف بضرورة تغيير الحال ، وظلت حتى وفاتها سنة ١٩٠٨ متبنية نواحى الإصلاح التى سبق أن عارضتها ، وبرغم ذلك ظلت متمسكة بأسس نزعتها المحافظة ، وظهر أثر هذا التمسك فى المرسوم الذى أصدرته سنة ١٩٠١ حيث ذكرت فيه أن هذه الإصلاحات الحكومية لها سوابق فى تعاليم كنفوشيوس .

برنامج الإصلاح :

من بين الإصلاحات الأولى التى نفذتها الإمبراطورة تزوهسى إقامة مساواة اجتماعية بين المانشو والصينيين بإباحة التزاوج بين العنصرين ، وكانت الإصلاحات الأخرى تهدف إلى رفع مستوى التعليم والجيش والبحرية والنظام القضائى والجهاز الإدارى .

التعليم :

كان برنامج إصلاح التعليم الذى طبق سنة ١٩٠١ ذا أهمية جوهرية ، فأرسل فتيان المانشو إلى الخارج ليتشربوا علوم الغرب ، وأنشئت وزارة للمعارف ، وصدر برنامج تعليمى شامل سنة ١٩٠٤ قضى بإنشاء نظام تعليمى فى جميع المقاطعات على النمط الأوربى من رياض الأطفال حتى الكليات ، وكذلك إنشاء جامعة إمبراطورية فى بيكين . وفى سنة ١٩٠٥ ألغيت اختبارات الخدمة المدنية وزاد تشجيع البعثات إلى الخارج .

وقد ضاعفت الولايات المتحدة تشجيعها لهذا البرنامج، بأن ردت جانبا من الغرامة التى دفعتها الصين بعد حرب الملاكين على أن يخصص المبلغ المردود لتشجيع دراسة الصينيين فى الخارج . وكان البرنامج التعليمى إذ ذاك يهدف إلى رفع نسبة المتعلمين إلى خمسة فى المائة فى سنة ١٩١٧ ، ولكن للأسف كانت النتائج التى أمكن الوصول إليها بتنفيذ البرامج التعليمية الجديدة غير متعادلة بل ضئيلة جدا ، وذلك لأن موظفى الأقاليم القائمين بتنفيذها كانوا يجهلون علوم الغرب ونظم التعليم .

الجيش والأسطول :

قبل سنة ١٩٠٥ كانت القوات العسكرية الصينية تتكون من الجيوش التى تحمل علم المانشو فى المدن الرئيسية ، وقوات العلم الأخضر المستقلة التى يشرف عليها حكام الأقاليم . وقد أضعف الفساد وسوء القيادة والأسلحة العتيقة هذين النوعين من الجيوش . وفى أثناء حكم يوان شيه كاى وضع مشروع لإنشاء جيش وطنى حديث مكون من ٣٦ فرقة على أساس التجنيد الإجبارى ، ولكن طرد يوان سنة ١٩٠٨ أدى فعلا إلى وقف البرنامج بعد أن أنشئت ست فرق فقط وجهزت بمعدات الحرب وتم تدريبها .

أما الأسطول الصينى فقد دمرته فرنسا فى حرب تونكين ، ومع أن الأسطول الصينى الحديث الذى أنشىء سنة ١٨٩٤ كان متفوقا على الأسطول اليابانى فإن حاجته إلى سلطة مركزية تشرف عليه أدت إلى تدمير أساطيل الصين الشمالية فى الحرب الصينية اليابانية ، وفى سنة ١٩٠٧ أنشئت وزارة للبحرية لتحقيق الإشراف المركزى ، ولكن المعارضة الإقليمية أحبطت كل مسعى للإصلاح .

الإصلاحات السياسية :

تعهدت حكومة الصين فى مرسوم الإصلاح الذى أصدرته سنة ١٩٠١ بأن تتخذ أحسن نظم الحكم وأساليبه المتبعة فى البلاد الأجنبية .

وقد لاحظ الصينيون أن كل الدول الحديثة الكبرى عدا روسيا تتبع نظما دستورية ، وأن روسيا هزمت بين ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ على أيدى اليابانيين الذين اتخذوا لهم نظاما دستوريا . وفى عامى ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ أرسلت بعثة صينية إلى الخارج لدراسة نظام الحكومات النيابية فوقع اختيارها على الدستور اليابانى الذى هو صورة معدلة من الدستور الألمانى كى يطابق الأوضاع الشرقية .

ومما حدا بالصين إلى اتخاذ هذا الدستور أن مظهره النيابى لا يفقد الإمبراطور شيئا من سلطته . وقد اتبعت الإمبراطورة تزو هسى سياسة التدرج البطىء فاقتضى ذلك أولا — تطبيق مبدأ الملكية الدستورية مع إعادة النظر فى تقسيم الدوائر الحكومية طبقا لهذا المبدأ . وفى سنة ١٩٠٧ صدر مرسوم بإنشاء مجالس تشريعية إقليمية تكون كمعاهد سياسية يتدرب فيها النواب استعدادا لدخول الجمعية الوطنية المقترحة مستقبلا ، كما تكون أداة للتعبير عن الرأى العام الصينى . وكان المفروض أن كل هذه الإصلاحات تعتبر منحة من العرش الذى يظل صاحب السلطة المطلقة .

مشروع السنوات التسع :

فى سنة ١٩٠٧ صدر الدستور المؤقت ومعه برنامج شامل لإصلاح الجهاز الحكومى فى تسع سنوات ، ففى أثناء العامين الأولين تنظم المجالس التشريعية الإقليمية وتعقد أولى اجتماعاتها ، وفى سنة ١٩١٠ تعقد الجمعية الوطنية فى بيكين ، وبعد أن يتسع نطاق الإصلاحات تدريجيا حتى تشمل الصين كلها يصدر الدستور الدائم سنة ١٩١٧ ويجتمع البرلمان الوطنى .

وفاة الإمبراطورة تزو هسى :

بعد ثلاثة أشهر من صدور مشروع السنوات التسع الإصلاحى مات الإمبراطور كوانج هسو والإمبراطورة الوالدة تزو هسى وتركا العرش لطفل صغير عمره عامان ونصف ، وهو « بو — يى » الذى وضع تحت وصاية والده الأمير تشون الذى كان

حسن الطوية ولـكنه ضعيف ، وأول عمل قام به هذا الوصى هو طرد يوان شيه كاى ففقد بطرده أكبر رجال الحكومة كفاية .

عقد المجالس التشريعية :

تسبب تغيير الزعماء فى تأجيل عقد المجالس الإقليمية فترة قصيرة سنة ١٩٠٩ ، ومع أن تشكيل هذه الهيئات كان يتم بانتخاب نصف الأعضاء وتعيين النصف الآخر فقد أثبتت أنها قادرة على توجيه النقد للحكومة ، كما طالبت بتعجيل الإصلاح .

وفى العام التالى أثبتت الجمعية الوطنية التى انتخبت المجالس الإقليمية نصف أعضائها وعين الإمبراطور النصف الآخر ، أنها لا تقل عنادا عن سابقتها ، وكثرت طلبات التعجيل بإصدار الدستور وإنشاء وزارة مسئولة وعقد البرلمان سنة ١٩١٣ .

ولم يمنع الجمعية الوطنية من الوقوف فى وجه مجلس الدولة الذى أقامته حكومة المانشو ومناقشته الحساب إلا إذعانه لها فى بعض المناسبات . وفى هذا الوقت هبت الثورة الجمهورية فأخمدت المشروعات الإمبراطورية .

صن يات سن والحركة الجمهورية

فشل إصلاحات المانشو :

كان من المستطاع أن يسير برنامج السنوات التسع بالصين فى طريق التجديد ، ولـكن بعد وفاة الإمبراطورة الوالدة تزو هسى ، بقيت أكثر قوانين الإصلاح حبرا على ورق ، وعلى أى حال لم تكن هذه الإصلاحات لتشفى غلة جماعة الثوريين الذين ازداد عددهم يوما بعد يوم .

صن يات سن :

كان قائد جماعة الثوريين وزعيمهم المذهبى هو الدكتور صن يات سن . وقد ولد صن قرب كانتون وتعلم فى إحدى مدارس الإرساليات فى هوايى ،

ثم التحق بمدرسة الطب فى هنج كنج . وقد أضاف إلى هذا البرنامج التعليمى الرسمى دراسات واسعة فى العلوم الاجتماعية والسياسية والعسكرية عن طريق المكتبات العامة فى جميع أنحاء العالم . ولما أدت مجهوداته الثورية الأولى سنة ١٨٩٥ إلى فراره ونفيه أسس عدة جمعيات ثورية كرست حياتها للإصلاح . وقد بدأ صن أولا بحركة وطنية معارضة للمانشو ، ثم اتجه فى تفكيره السياسى اتجاها يساريا وأصبح جمهوريا ذا ميول اشتراكية .

تونج منج هوى :

فى سنة ١٩٠٥ أسس صن « تونج منج هوى » ، أى « هيئة التحالف المشترك » التى قدر لها أن تتزعم ثورة سنة ١٩١١ ؛ وكانت أهداف هذه الهيئة إنشاء جمهورية صينية ، وإعادة توزيع الأراضى . . وقد أدرك صن أن القيام بتغيير كلى عاجل ليس ممكنا من الناحية العملية فأعمل فكره فى إنشاء الصين الجديدة على ثلاثة أطوار :

١ — الطور الأول : فترة الحكم العسكرى أثناء تقدم الغزو العسكرى الموجه ضد حكومة المانشو .

٢ — الطور الثانى : فترة الوصاية السياسية ، وفى أثناء هذا الطور يلقن الشعب الآراء الديمقراطية ونظم الحكم .

٣ — الطور الثالث : الحكومة الدستورية .

ولم يكن قد تشبع بمبادئ صن عند بدء الثورة إلا القليل من الصينيين المثقفين ، أما جمهرة الشعب الصينى فقد كانوا أميين لا يفقهون معنى للانقلاب .

السبب المباشر للثورة :

من بين برامج الإصلاح التى وضعها المانشو إنشاء السكك الحديدية على نطاق واسع برءوس أموال صينية وبتوجيه إقليمى ، ولكن الفساد وسوء الإدارة فى الأقاليم اضطر الحكومة المركزية فى النهاية إلى تأميم السكك الحديدية . وهنا أثارت الهيئات

الإقليمية الإضراب والشغب ضد المانشو زاعمة أن التأميم سيضع السكك الحديدية تحت سيطرة الأجانب . وقد استغل الثوريون هذا السخط ، فقاموا ببث مبادئ الثورة بين جماعات الجند وطلبة المدارس ، وبدأت حركة جمهورية على نطاق ضيق فى كانتون فأخمدت .

وفى ١٠ أكتوبر سنة ١٩١١ حدث انفجار طارئ فى أحد مصانع القنابل التابعة للثوريين فى هانكاو أدى إلى تمرد جنود الإمبراطورة فى المنطقة المجاورة ، وسرعان ما سيطر الجنود على ووشانج وهانكاو بقيادة الكولونيل لى يوان هونج .

انتشار الثورة :

انتشرت الثورة بسرعة فى جميع أنحاء الصين رغم حاجتها إلى خطط عامة للتنسيق . وكانت أول حكومة ثورية شكلت هى « حكومة الإصلاح » التى أسسها لى يوان هونج وووشانج ، وبعد ذلك أنشأ الثوريون فى كانتون حكومة عسكرية فى شنغهاى تحت زعامة ووتنج فانج وطلبوا تأييد الأجانب ، فأرغمت حكومة المانشو فى بيكين التى تفتقر إلى زعيم — على استدعاء يوان شيه كاى لقيادة القوات الإمبراطورية بشروط جعلته فعلا دكتاتورا عسكريا .

حكومة نانكنج :

كان صن يات‌سن فى الولايات المتحدة عندما اندلع لهيب الثورة ، فأجل عودته حتى يتمكن من اكتساب عطف أوربا على قضية الجمهورية ، وبعد عودته إلى الصين اعترف بأنه الرجل الوحيد الذى يستطيع توحيد الأحزاب الجمهورية ، واختير رئيسا لحكومة مؤقتة فى نانكنج تضم الأحزاب الجمهورية المتحدة فى شنغهاى وهانكاو ، وأصبح لى يوان هونج القائد العام لجيوش الثورة نائبا للرئيس .

يوان شيه كاى :

واجهت كل من حكومتى المانشو والجمهوريين أزمة مالية خطيرة ، فقد أحجمت الحكومات الأجنبية عن تقديم القروض ، وامتنع الشعب عن دفع الضرائب ، وكان الرجل الذى يقبض على ميزان القوى هو يوان شيه كاى ، وهو رجل صينى لا مصلحة له فى المحافظة على عرش المانشو ، مع أنه نشأ فى خبرته وتعليمه على الأسس الإمبراطورية ، ولديه أحسن جيوش الصين ، كما أنه يتمتع بسلطات دكتاتورية . ولم يكن من ناحية أخرى فى مركز يسمح له بأن يتطلع إلى عرش الإمبراطورية ، ولهذا تقدم صن فبدد الركود المحيط بالموقف ، وعرض رياسة الجمهورية على يوان ، وبعد سلسلة من المفاوضات وضعت شروط تقتضى بأن يتنازل إمبراطور المانشو عن العرش فى مقابل هبة مالية سخية ، ويستقيل صن من رياسة الجمهورية على أن يتولاها يوان . وهكذا أصبح يوان شيه كاى الذى كان يسيطر على خيرة الجيوش الصينية رئيسا للجمهورية ، وظل لى يوان هونج الذى يقود ثانى جيوش الصين أهمية نائبا للرئيس .

بدء عهد الجمهورية فى الصين

دستور سنة ١٩١٢ :

فى مارس سنة ١٩١٢ صدر دستور مؤقت ، وأنشئ مجلس وطنى مؤقت يمثل الأقاليم ويشترك فى السلطة العليا مع رئيس الجمهورية والوزارة والهيئة القضائية ، وبعد عشرة أشهر حلت محل المجلس الوطنى جمعية وطنية مكونة من مجلسين .

مشاكل الحكومة الجديدة :

كانت فرص النجاح ضئيلة أمام الجمهورية الناشئة ، فالرئيس ونائبه من القواد العسكريين وخبرتهم السياسية من النوع العملى ، ودرايتهم بالحكم الدستورى قليلة إن لم تكن معدومة ، أما كبار زعماء الجمهوريين فقد تلقوا تعليما غربيا وكان لديهم



أقاليم الصين الأصلية

كثير من الآراء السياسية النظرية ، ولـكن خبرتهم العملية قليلة . وظل حكام الأقاليم بجميع أرجاء الصين يحتفظون بسيطرتهم على الجيوش المحلية ، ولم يستطع الرئيس أن يهزم هذه الجيوش أو يسرحها ، بل أرغم على الاعتراف رسميا بوجودها بصفتها ضمن جيوش الإمبراطورية ، وكان الخطر الداهم على الجمهورية هو النفور المطرد الزيادة بين الرئيس والجمعية الوطنية .

الصراع الحزبى :

فى سنة ١٩١٢ أنشأ صن يات سن حزبا سياسيا هو حزب الـكومنتانج أو « حزب الشعب القومى » وأراد يوان أن ينظم أتباعه فأسس الشنپوتانج أو « الحزب التقدمى » وكانت لحزب الـكومنتانج أغلبية ضئيلة فى الجمعية الوطنية . وقد ظل معقل حزب الـكومنتانج فى الجنوب حيث كان اعتراض الجمهوريين قويا على ازدياد سلطة رئيس الجمهورية يوما بعد يوم ، ومع ذلك فقد كانت لدى رئيس الجمهورية قوة عسكرية متفوقة ، كما كان يحظى بتأييد البيروقراطيين من أتباع المدرسة القديمة ، وكذلك كانت غالبية الشعب الصينى تعتبره الخليفة الشرعى للمانشو . ولما استطاع يوان الحصول على قرض من الاتحاد الخماسى « الذى يشمل اليابان و بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا » قام الجمهوريين الجنوبيون بثورة فى وادى نهر يانجتسى فى صيف سنة ١٩١٣ ولـكن الثورة أخمدت وفر صن يات سن إلى اليابان . ورغم قيام هذه الثورة فإن الجانب التنفيذى من الدستور الجديد قد أكمل .

وفى أكتوبر سنة ١٩١٣ تولى يوان منصب رياسة الجمهورية كما أصبح « لى » نائبا للرئيس ، واتفق على أن تـكون ولايتهما رسمية وأن تستمر عشر سنوات ، وفى أقل من شهر بعد هذا التاريخ حل يوان حزب الـكومنتانج باعتباره حزبا مثيرا للفتن وطهر البرلمان من أعضائه ، وفى يناير أجل يوان ما بقى من دورة البرلمان بعد حركة التطهير إلى أجل غير مسمى .

الدكتاتورية الرياسية :

أراد يوان أن يعزز مركزه فأصدر « عهدا دستوريا » بدلا من الدستور الجمهورى الجديد وأصبح بمقتضى هذا العهد الدستورى دكتاتورا فعليا ، فالمجلس التشريعى المنتخب له سلطة استشارية ، ومن حق الرئيس أن يعين أعضاء « مجلس الدولة » أو هيئة الوزارة التى تعتبر مسئولة أمامه ، واستخدم وسائل الإرهاب والقسوة فى القضاء على معارضيه وإيجاد وحدة فى البلاد ، وقيد حرية الصحافة والكلام والاجتماع ، ولكنه من جهة أخرى أرضى أغلب الصينيين بإعادة تطبيق أساليب كنفوشيوس فى الحكم وألغيت المجالس الإقليمية ، وأصبحت الحكومات الإقليمية خاضعة للسلطة المركزية ، وعين يوان حكاما عسكريين للأقاليم لحفظ النظام واستتباب الأمن ، وفى أواخر سنة ١٩١٤ بلغت الصين من الاتحاد والاستقرار ما لم تبلغه فى أى وقت منذ ١٠ أكتوبر سنة ١٩١١ .

الفصل التاسع

الحرب الروسية اليابانية وعواقبها

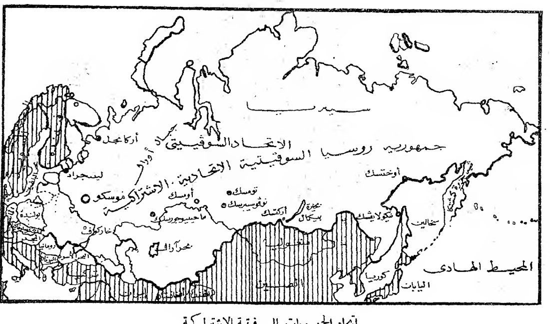
اليابان وروسيا ١٨٩٥ — ١٩٠٤

المصالح الروسية فى منشوريا وكوريا :

بعد أن قضت اليابان بالقوة على النفوذ الصينى فى كوريا سنة ١٨٩٥ واجهت خصما أشد خطرا وهو روسيا ، فقد تبين لروسيا أن سيطرتها على كوريا ومنشوريا ضرورية لكى تستثمر إمبراطوريتها فى آسيا استثمارا ناجحا ، إذ لم يكن لديها ميناء ذو مياه دفيئة ، كما أن إكمال سكة حديد سيبيريا فى أراض روسية سيكلفها كثيرا من المشقة والنفقات ، وفى نفس الوقت كانت منشوريا قليلة السكان غنية بمواردها ، أما كوريا فكانت وفيرة السكان ولكن حكومتها بلغت من الفساد حدا لا يرجى معه شفاء . وهكذا كان البلدان صيدا طيبا للروس .

تدخل الروس فى منشوريا :

رأينا مما سبق أن روسيا جرّت الصين إلى حلف عسكرى وحصلت على حق مرور سكة حديد سيبيريا عبر منشوريا بموجب « اتفاق لى هونج شانج — لو بانوف » سنة ١٨٩٦ . وقد دعم الروس هذا الامتياز ووسعوا مداه باستئجار بورت آرثر والحصول على امتيازات إضافية خاصة بالسكك الحديدية سنة ١٨٩٨ ، واتخذوا من حركة « الملاكمين » ذريعة لاحتلال منشوريا بقواتها العسكرية ، ولم تظهر بعد ذلك ما يدل على أن فى نيتها سحب هذه القوات . وترتب على تنقل القوات الروسية من مكان إلى آخر فى منشوريا عقد اتفاق مع الصين سنة ١٩٠٢ . وفى أبريل سنة١٩٠٣



اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية

تقدمت روسيا إلى حكومة بيكين باقتراحات لو قبلتها الصين لأصبحت منشوريا ومنغوليا تحت حماية روسيا .

تدخل اليابانيين فى كوريا :

أثناء الحرب الصينية اليابانية و بعدها مباشرة ، صارت لليابان السيادة على كوريا ، إذ وافقت كوريا على قبول التوجيه اليابانى ورءوس الأموال اليابانية ، كما أعيد النظر فى أوضاع حكومة كوريا ونظامها القضائى بتوجيه الوزير اليابانى « إينو يى » وعين الموظفون اليابانيون فى المراكز الهامة بكوريا . ولما اعترضت ملكة كوريا على هذه الإصلاحات وتزعمت المحافظين الكوريين ضد اليابان ، دبر الوزير اليابانى بمعاونة الوصى على عرش كوريا « التايونكن » مؤامرة ترتب عليها اغتيال الملكة والقبض على الملك ، غير أن الملك فر بعد قليل « فبراير سنة ١٨٩٦ » ولجأ إلى المفوضية الروسية .

تدخل الروس فى كوريا :

اتجه ملك كوريا إلى حُماته الروس طالبا إليهم الإرشاد ، فبدأ يحل الموظفين والمستشارين الروس محل اليابانيين ، ومنحت روسيا امتيازا لقطع الأخشاب فى المناطق المجاورة لنهر يالو ، ولما قضى على النفوذ اليابانى غادر الملك المفوضية الروسية واتخذ لنفسه لقب إمبراطور ليؤكد استقلاله ومساواته بجميع جيرانه من الحكام .

بروتوكول ياماجاتا — لوبانوف ١٨٩٦ :

فى الوقت الذى عقد فيه لى هونج شانج اتفاقا مع روسيا سنة ١٨٩٦ أرسلت اليابان مبعوثها ياماجاتا للوصول إلى تفاهم مع روسيا . ولما كانت الصين قد عقدت تحالفا عسكريا مع روسيا لم يبق أمام ياماجاتا إلا توقيع بروتوكول تعترف فيه اليابان لروسيا بالشركة المتساوية بينهما فى كوريا .

بروتوكول نيشي — روزن ١٨٩٨ :

بادرت روسيا بإغفال بروتوكول ياماجاتا — لوبانوف نصا وروحا ، فحصلت على امتيازات جديدة لقطع الأخشاب والتعـدين ، وبدأ استخدام الخبراء الروس لتدريب الجيش الـكورى وتسريح القوات العسكرية التى دربها اليابانيون ، وزاد إشراف روسيا على مالية كوريا ، وفوق ذلك كله حصلت على قاعدة بحرية فى بورت آرثر ، سبق أن رفض طلب اليابان الحصول عليها سنة ١٨٩٥ ، وترتب على العداوة بين اليابان وكوريا أن وقعت روسيا واليابان بروتوكول نيشى — روزن ، وبموجب هذا البروتوكول :

١ — اعترفت الدولتان باستقلال كوريا .

٢ — اتفقت الدولتان على الامتناع عن مساعدة الجيش الـكورى أو إعادة تنظيم مالية كوريا .

٣ — اعترفت روسيا بمصالح اليابان التجارية والصناعية فى كوريا .

التحالف الإنجليزى اليابانى سنة ١٩٠٢ :

لم يقتصر عدوان روسيا على منشوريا على إثارة فزع اليابان ، بل إنه أفزع بريطانيا التى طالما عملت على إبقاء الدب الروسى حبيسا فى قفص من الثلج ، ولـكن ظهر أن هذا الدب يوشك أن يمزق الصين ، وكانت لبريطانيا مصالح واسعة فى وادى نهر يانجتسى ، ولـكنها لم تشأ أن تحكم الإقليم بطريقة مباشرة كما فعلت فى الهند ، أما الولايات المتحدة فقد عارضت الأحلاف العسكرية مع أنها تعاونت فى تطبيق المذكرات المتبادلة بشأن سياسة الباب المفتوح . ولما ظهر أن مصالح اليابان لا تتعارض مع مصالح بريطانيا فقد أصبحت كل من الدولتين حليفا طبيعيا للأخرى ضد روسيا .

بدأت ألمـانيا باقتراح تحالف ثلاثى يضم بريطانيا واليابان وألمانيا ضد روسيا ، ولـكنها عجزت عن إنجازه ، وكانت النتيجة عقد تحالف بين بريطانيا واليابان

سنة ١٩٠٢ هدفه الاحتفاظ بالحالة الراهنة فى شرق آسيا وسلامة الصين والاعتراف باستقلال كوريا ، وكذلك الاعتراف أيضا بمصالح اليابان الخاصة فى كوريا ومصالح بريطانيا الخاصة فى وسط الصين ، واتفقت الدولتان على أن تتعاونا إذا حدثت اضطرابات ، وأنه إذا اشتبكت إحداهما فى حرب مع دولة ثالثة كان على الأخرى أن تبقى على الحياد إلا إذا تدخلت دولة ثالثة .

رد الفعل الفرنسى الروسى :

لما كانت فرنسا وروسيا حليفتان منذ سنة ١٨٩٤ فقد اتضح أن التحالف البريطانى اليابانى يهدف إلى منع فرنسا عن مساعدة روسيا إذا نشبت الحرب . ولما كانت فرنسا وروسيا ترغبان فى مناهضة التحالف الجديد فقد أكدت تضامنهما فأعلنتا توسيع دائرة تحالفهما الأوربى ليشمل مصالحهما فى آسيا ، وأعادت المذكرة الفرنسية الروسية تأكيد تمسك الدولتين بسياسة الباب المفتوح والحالة الراهنة فى شرق آسيا وسلامة الصين وكوريا .

مقدمة الحرب :

لم تظهر روسيا حسن نيتها فى المحافظة على بروتوكول نيشى — روزن ، فقامت بمحاولات لاستئجار ميناء فى جنوب كوريا ، وبدأت المفاوضات لتقديم قروض لكوريا فى مقابل الحصول على امتيازات ، ولكن اليابان أحبطت مسعاها ، وفى نفس الوقت كللت بالنجاح جهود اليابان فى السيطرة على تجارة كوريا وسككها الحديدية والحصول على تسهيلات فى الموانى .

فشل المفاوضات :

فى منتصف سنة ١٩٠٣ عرضت اليابان على روسيا أن تعترف بمنطقة النفوذ الروسى فى منشوريا إذا قبلت روسيا أن تعترف بمركز اليابان الممتاز فى كوريا ، ووردت

روسيا بأنها توافق فقط على الاعتراف لليابان بمركزها التجارى والصناعى الممتاز فى جنوب كوريا على أن يبقى شمال كوريا منطقة محايدة .

ورغم أن اليابان رفضت هذا الرد فإن الاستعدادات الحربية التى قام بها الأميرال ألكسييف نائب القيصر فى الشرق الأقصى حملتها على تقديم اقتراحات جديدة تنص على ما يأتى :

١ — حرية الملاحة فى بوغاز كوريا .

٢ — إنشاء منطقة حياد على طول الحدود بين كوريا ومنشوريا .

٣ — ربط سكك حديد كوريا ومنشوريا بعضهما ببعض .

٤ — الاعتراف بمركز روسيا الممتاز فى منشوريا ومركز اليابان الممتاز فى كوريا .

وقد رفضت روسيا هذا الاقتراح وما تلاه من اقتراحات ، ومدت أجل المفاوضات حتى نفد صبر اليابان . وفى ٦ فبراير سنة ١٩٠٤ غادر الوزير المفوض اليابانى موسكو مهددا بأن بلاده ستلجأ إلى استخدام القوة ، وبعد ذلك بيومين هاجمت الأساطيل اليابانية الوحدات البحرية الروسية فى شيملبو وبورت آرثر .

الحرب الروسية اليابانية

القوة العسكرية فى كل من روسيا واليابان :

عكفت اليابان على مضاعفة قوتها العسكرية منذ سنة ١٨٩٥ واتخذت الحرب الصينية اليابانية وغرامات حرب الملاكين وسيلة لإنشاء الصناعات الحربية والتسلح ، ولم يحل عام ١٩٠٤ إلا وقد استعدت للحرب بأسطول حديث وجيش كبير كامل التدريب والمعدات الحربية . وكانت لدى اليابان ميزة هى أنها تحارب قريبا من سواحلها ، أما قدرة روسيا العسكرية فقد كانت أعظم من الناحية النظرية ، ولكن لم يكن من المستطاع استخدامها بسرعة فى المعركة ، فشرق سيبريا ومنشوريا لا يربطهما

بروسيا إلا خط حديدى يمتد مسافة أربعة آلاف ميل ، وهو الذى ينقل المؤن والذخائر والجنود ، وكانت عملية النقل من البطء بحيث لم تستطع روسيا أن تجهز قوات كافية قادرة على تحقيق تفوق محلى إلا فى نهاية الحرب ، وكان الأسطول الروسى ضخما ، ولكنه عتيق مشتت أضعفه الفساد ، وأما السفن اليابانية ومقدرتها على إصابة الأهداف ومهارة اليابانيين فى استخدام قواتهم العسكرية فقد كانت فائقة .

الحملة العسكرية :

لقد وقعت أغلب المعارك على أرض الصين ، ولكن الصين عجزت عن اتخاذ أى إجراء سوى اعترافها بأن منشوريا منطقة قتال . وقد بادرت اليابان بالسيطرة على منشوريا بعد أن هزمت القوات الروسية فى معركة دموية قصيرة على نهر يالو ، وسقطت بورت آرثر فى أيدى اليابانيين يوم ٢ يناير سنة ١٩٠٥ بعد ثمانية أشهر من القتال العنيف . وتصدى اليابانيون للروس بعد ذلك فى مكدن حيث وقعت أكبر معركة منفردة فى الفترة من ٢٣ فبراير إلى ١٠ مارس سنة ١٩٠٥ ، وانتصر اليابانيون فى هذه المعركة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة . أفزعت ثورة ديسمبر فى روسيا القيصر فطلب الصلح ، ولولا ذلك لتغير مجرى الحرب لصالح روسيا ، فإنه عندما بدأت تعبىء قواها الكاملة للمعركة كانت القوات اليابانية تبتعد عن ديارها وقد تسرب إليها الوهن .

الحرب البحرية :

من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى انتصار اليابان تفوق قوتها البحرية ، فلم تحاول روسيا فى أثناء الموقعة أن تجمع شتات قواتها البحرية الموزعة بين بحر البلطيق وبورت آرثر وشيملبو وفلاديفستك .

وقد بدأت اليابان المعركة بهجوم مفاجىء على بورت آرثر ، ولكن هذا لم يضعف روسيا إلى حد الخطر ، وقد حقق التفوق فى تحرك القوات المحاربة ما لم يحققه عنصر

المفاجأة ، وبذلك أمكن تدمير أسطول بورت آرثر تدميرا يكاد يكون تاما فى سلسلة من المعارك ، وتبع ذلك عاجلا عدد من الهجمات الناجحة على الوحدات البحرية فى ڤلاديڤستك . وفى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ أبحر أسطول بحر البلطيق حول العالم ليصل إلى ميدان القتال ، ولكنه هزم لوقوع أخطاء فى التحركات الفنية عوقت المقدرة على إصابة الأهداف .

صلح بورتسموث سنة ١٩٠٥ :

كان هدف الاستراتيجية الحربية اليابانية الفوز بنصر عاجل ، وعقد صلح سريع قبل أن تعبئ روسيا قواتها العسكرية الكاملة ، وكانت انتصاراتها الأولى عظيمة ولكنها غير حاسمة ، وساءت حالتها المالية ، ولم تشأ الدول الغربية حتى ولا حليفتها بريطانيا أن تقدم لها قرضا خشية إذلال روسيا إلى حد خطر . وكانت الولايات المتحدة تأمل انتصار اليابان ، فلما أدرك الرئيس تيودور روزفلت أن إطالة مدى القتال ستؤدى إلى هزيمة اليابان عرض خدماته ، فعقد اجتماع بين الطرفين المتحاربين فى مدينة بورتسموث بمقاطعة همبشير الجديدة ، ومثل روسيا فى هذا الاجتماع الكونت ويت Count Witte والبارون روزن ، بينما مثل اليابان تاكاهيرا وكومورا وزير الخارجية . وبعد مفاوضات طويلة ظلت روسيا أثناءها تعزز جيوشها فى الشرق الأقصى أمكن الوصول إلى حل وسط ، وعقدت معاهدة بورتسموث فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ ، وبمقتضاها نالت اليابان نصف شبه جزيرة سخالين كغرامة حربية ، وكذلك نصت المعاهدة على ما يأتى :

١ — تحصل اليابان على شبه جزيرة لياوتونج المؤجرة لروسيا وسكة حديد بورت آرثر — شانجشون والامتيازات المرتبطة بها .

٢ — تعترف روسيا بمنطقة مصالح اليابان فى كوريا .

٣ — تحصل اليابان على حق الصيد فى مياه سيبيريا .

نتائج الحرب

النتائج المباشرة :

أحرزت اليابان نصرا رفع شأنها فى الخارج ، وزادها اعتدادا بقوتها ، ومع ذلك فإنها فى مؤتمر الصلح فشلت فى الحصول على كل ما طلبته ، وترك زعماء اليابان الشعب يوجه لومه إلى روزفلت والولايات المتحدة بدلا من أن يوجهه إلى حكومته التى استنفدت قوة البلاد العسكرية والمالية .

وكان إثبات اليابان لقوتها سببا فى تجديد المعاهدة الانجليزية اليابانية سنة ١٩٠٥، وقد شملت معاهدة التحالف الجديدة الهند ، واعترفت لليابان بمركزها الممتاز فى كوريا.

أما روسيا فلم تفقد من سمعتها فى الخارج إلا القليل رغم أن الثورة الداخلية قد أضعفتها ، وذلك راجع إلى الاعتقاد السائد بأن انتصارها كان محققا لو طال أمد الحرب ، ولذا ظلّ نفوذها قويا فى شمال منشوريا .

الاتفاق الصينى اليابانى سنة ١٩٠٥ :

لما كانت بعض أجزاء معاهدة بورتسموث ترتبط بمصالح الصين ، فقد تفاوضت اليابان معها وعقدتا الاتفاق الصينى اليابانى فى ديسمبر ١٩٠٥ ، ولم يقتصر هذا الاتفاق على اعتراف الصين بغنائم الحرب التى حصلت عليها اليابان ، بل أضاف إليها امتيازات جديدة ، فقد سمح لليابان بإنشاء خط حديدى من آنتونج إلى مكدن وفتحت مدن أخرى فى منشوريا لتجارة اليابان ، ووافقت الصين على ألا تنشىء خطوطا حديدية تنافس الخطوط الحديدية التى أنشأتها اليابان فى منشوريا .

اليابان تبسط حمايتها على كوريا :

دأبت اليابان على تقوية مركزها الاقتصادى فى كوريا قبل الحرب الروسية اليابانية . وعندما أعلن حاكم كوريا حياد بلاده وقت نشوب الحرب كى ينقذها من

الخطر بادرت اليابان بإنزال قوات على أراضى كوريا . ورغم أن اليابان كانت قد ضمنت سلامة أراضى كوريا واستقلالها فى البروتوكول الذى تم توقيعه فى فبراير سنة ١٩٠٤ فقد ثابرت على تقوية قبضتها على هذه البلاد . ففى أغسطس سنة ١٩٠٤ حصلت على حق تعيين مستشارين يابانيين فى وزارات كوريا الرئيسية ، ولم تبدأ سنة ١٩٠٥ إلا وقد أشرفت إشرافا جزئيا على البوليس الكورى . وفى منتصف سنة ١٩٠٥ وافقت الولايات المتحدة رسميا على العدوان اليابانى على حقوق كوريا فى رسائل « تافت — كاتسورا » كما أغفل التحالف الإنجليزى اليابانى الجديد ذكر « استقلال » ، كوريا ، وبعد أن أنهت معاهدات بورتسموث منافسة روسيا بشهرين عند عقد اتفاق جديد سلمت كوريا بمقتضاه إلى اليابان بحق تعيين مقيم يابانى فى كل مدينة ومحكمة كورية ، كما قبلت كوريا إشراف اليابان على شئونها الخارجية .

ضم كوريا :

رغم قلة الاحتجاجات التى وجهت إلى اليابان بسبب رفض حمايتها على كوريا فقد حاول إمبراطور كوريا البحث عن منقذ خارجى . ففى يوليو سنة ١٩٠٧ لجأت كوريا إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى طالبة العون ، وكانت النتيجة تقوية قبضة اليابان عليها وإجبار امبراطورها على التنازل عن العرش لصالح ابنه ، وعقد اتفاق جديد زاد من سلطة اليابان ، وفى نفس الشهر عقد اتفاق روسى يابانى سوفيت بمقتضاه مواضع الخلاف الخاصة بمناطق مصالح كل من البلدين ، ووافقت روسيا على حق اليابان فى الإشراف السياسى على كوريا فى مقابل حصولها على حق الدولة الأولى بالرعاية فى هذه البلاد . وفى أغسطس سنة ١٩١٠ ضمت كوريا إلى اليابان رسميا ، وأرضيت الأسرة المالكة الكورية بهبة مالية وبألقاب الشرف اليابانية ، أما زعماء كوريا الأقل أهمية فقد أذعنوا إما عن طريق الإرهاب ، وإما عن طريق الرشوة ، وأما الشعب الكورى الذى فقد زعماءه فقبل الأمر الواقع على مضض ولم يسمع من الخارج صوت احتجاج ذو أهمية .

منشوريا بعد ١٩٠٥ :

خولت معاهدة بورتسموث لليابان حق دخول منشوريا بحصولها على بورت آرثر وبعض السكك الحديدية والمصالح التجارية الروسية ، ولكن اليابان كانت من الضعف بعد الحرب بحيث لم تستطع تقديم المال اللازم لاستثمار ما حصلت عليه ، ولذلك فإنه عندما تقدم ا . ه . هاريمان الأمريكى مؤسس شركات إنشاء السكك الحديدية باقتراح إنشاء اتحاد مالى أمريكى لاستثمار امتيازات منشوريا وافقت اليابان على اقتراحه أولا ، ولكن كومورا وزير خارجيتها اعترض بشدة على هذا القبول فألغى الاتفاق ، ومنذ ذلك التاريخ أخذت الحكومة اليابانية فى إنشاء السكك الحديدية برءوس أموال صينية ويابانية مع الاحتفاظ لليابان بالإشراف .

المصالح الأمريكية فى منشوريا :

أثار انتصار اليابان من جديد اهتمام أمريكا بسياسية الباب المفتوح وسلامة أراضى الصين ، أما موافقتها على سيادة اليابان على كوريا فمرجعه اهتمامها بالدفاع عن الفلبين ، وقد كانت منشوريا إذ ذاك جزءا من الصين وموضوعها يختلف كل الاختلاف ، فأثار مشروع هاريمان بإنشاء السكك الحديدية شيئا من النفور وتوترت العلاقات بين الدولتين بشكل خطير عندما اتبعت أمريكا سياسة إقصاء الشرقيين . وحافظت الولايات المتحدة على السلام بالوسائل الآتية :

١ — بدأت باستعراض قواتها العسكرية وأرسلت الأسطول الأمريكى للطواف حول العالم .

٢ — لجأت للطرق الدبلوماسية ، ففى سنة ١٩٠٨ تبودلت المذكرات بين روت Root وزير خارجية الولايات المتحدة والسفير اليابانى تاكاهيرا تؤكد فيها كل من الدولتين أنه ليس لديها أية نيات عدوانية ، كما أيدتا سياسة الباب المفتوح وسلامة أراضى الصين ، وقد قبلت اليابان ذلك لتطلق يدها فى منشوريا .

اقتراح نوكس الخاص بحياد سكك حديد منشوريا سنة ١٩٠٥ :

ظلت مؤسسات هاريمان الأمريكية لإنشاء السكك الحديدية تحاول وضع أقدامها فى منشوريا بمساعدة وزارة الخارجية الأمريكية فحصلت على عقود ابتدائية ، ولكن هاريمان وافته منيته قبل نجاح المشروع ، فتقدم نوكس Knox وزير خارجية الولايات المتحدة فى نوفمبر سنة ١٩٠٩ بمشروع تصبح بمقتضاه جميع السكك الحديدية فى منشوريا محايدة سياسيا ، كما يقضى المشروع بتقديم قرض إلى الصين لشراء الخطوط الحديدية ، على أن تديرها فى المستقبل لجنة دولية ، ولكن معارضة روسيا واليابان وتأييد بريطانيا وفرنسا لهما فى موقفهما أحبط هذا المشروع . وما بدأ عام ١٩١٢ حتى كانت المصالح الأمريكية فى منشوريا قد أقصيت إلى حد بعيد ، واتفقت اليابان وروسيا على تقسيم مناطق المصالح بينهما باتفاق جديد .

التطور الداخلى فى اليابان

الأحزاب السياسية :

نشأت الأحزاب السياسية فى اليابان قبل إصدار دستور سنة ١٨٨٩ (انظر الفصل السادس) ، وبعد انتخابات سنة ١٨٩٠ ظهر حزبان سياسيان يعتبران أقوى الأحزاب وهما جيوتو أو حزب الأحرار ، وكايشنتو أو الحزب التقدمى ، وقد عجزت الأحزاب فى أول نشأتها عجزا ظاهراً عن السيطرة على سياسة الحكومة التى كان يوجهها رؤساء العشائر القوية تحت زعامة الكونت إيتو . وطالب الحزبان السياسيان القويان بإقامة حكم دستورى ، وعارضا سلطان العشائر ، ولكن المنافسة بين زعيميهما أوكوما و إيتاجاكى منعت اتحادهما فترة طويلة .

ظهور الروح الحربية :

لما اتخذ إيتو من الحرب الصينية اليابانية ذريعة للقضاء على معارضة الأحزاب سنة ١٨٩٤ وجد أنه قد أسلم قياده لسلطان العسكريين تحت قيادة زعيمهم الأمير ياماجاتا ، وكان يسيطر على الجيش رجال من عشيرة تشوشو ، بينما سيطرت على الأسطول عشيرة ساتسوما . ولما كان ياماجاتا من عشيرة تشوشو فقد حابى الجيش مبدئيا ، ولكن نجاحه فى أثناء الحرب الصينية فى الحصول على أمر من الإمبراطور بأن يكون وزيرا الجيش والبحرية من العسكريين العاملين قوى هذين السلاحين ، وأصبح للجيش والأسطول بهذه الحركة من السلطة ما يمكنهما من إقالة الوزارات والسيطرة على اختيار أعضائها .

فشل السياسة الحزبية :

ظلت الأحزاب السياسية بعد الحرب تقاوم حكم العشائر دون طائل ، وفى سنة ١٨٩٨ أدمج أوكوما وإيتاجاكى حزبيهما وكونا حزب كنسيتو أو الحزب الدستورى ، ولكن حين سنحت لها فرصة تولى الوزارة أضاعاها . وفى سنة ١٩٠٠ حاول إيتو معارضة العسكريين بتكوين حزب ريكن سيوكاى أو حزب الحكومة الدستورية وقد استطاع حزب سيوكاى بمساعدة حزب كنسيتو طرد ياماجاتا ولكنهما لم يحصلا لإيتو على السلطة الكاملة .

المحاباة السياسية :

فيما بين عامى ١٩٠١ ، ١٩١٢ وقفت الأحزاب السياسية معارضتها لحكومة العشائر ، وأخذت تتنافس فى التحالف مع هذه الحكومة لتقتسم معها الغنائم ، وفى هذه الفترة أصبح الأمير سيونجيى رئيسا للوزارة يعاونه كاتسورا أحد أتباع ياماجاتا فى إدارة دفة السياسة من وراء ستار ، وقد انتهت هذه الأوضاع بوفاة الإمبراطور فى يوليو سنة ١٩١٢ .

تجدد النضال السياسي :

في سنة ١٩١٢ ثار كاتسورا على سيطرة ياما جاتا وكون حزبا خاصا به هو حزب دوشيكاى ، أو الحزب الاتحادى الذى يضم أعضاء من الأحزاب القديمة ، وكانت النتيجة أن عجزت جميع الأحزاب عن الحصول على الأغلبية ، وبذلك أصبح الأميرال ياماموتو رئيسا للوزارة بمساعدة حزب سيوكاى . ولما سقطت وزارة ياماموتو على أثر فضيحة وقعت في البحرية تولى الوزارة الكونت أوكوما ، وهو زعيم حزبى قوى يبلغ من العمر ثمانين عاما . وقد نادى أوكوما بالتوسع الصناعى والتجارى السلميين وخفض الضرائب واقتضى نشوب الحرب الأوروبية سنة ١٩١٤ أن يظل أوكوما رئيسا لوزارة الحرب حتى سنة ١٩١٦ .

الفصل العاشر

الحرب العالمية الأولى وأعقابها

اعتبرت الحرب العالمية الأولى فى العرف الحربى مسألة أوربية ، ولكن صداها لم يلبث أن تردد فى شرق آسيا ، وكانت النزعة الاستعمارية الأوربية حينئذ قد وصلت إلى حد الركود نظرا لتقارب التوازن بين الدول . ولما اقتصرت إمبراطورية ألمانيا على أراضيها التى بأوربا فقط أصبحت أملاكها فى آسيا غنيمة باردة للدولة الاستعمارية الوحيدة التى تملك حرية الانتقال بسهولة وهى اليابان التى استندت إلى تحالفها مع بريطانيا .

اشتراك اليابان فى الحرب والمفاوضات الدبلوماسية

دخول اليابان الحرب :

لم تقض شروط التحالف الإنجليزى اليابانى بدخول اليابان فى الحرب ، وقد رفضت بريطانيا نهائيا العرض الذى تقدمت به اليابان للمساعدة ، غير أن اليابان صممت على الاستيلاء على ممتلكات ألمانيا فى الشرق الأقصى . ففى ١٥ أغسطس أرسلت إنذارا نهائيا للحكومة الألمانية بأن تسلم فى مدى ثمانية أيام ممتلكاتها فى خليج كياوتشاو وسفنها الحربية فى مياه الصين .

الحرب فى شرق آسيا :

ولما كانت الصين تأمل تجنب التدخل اليابانى فقد وازنت بين احتمال تسليم ألمانيا كياوتشاو أو إعلان الحرب عليها ، فاعترضت اليابان بعنف على الاقتراحين ، ولهذا عمدت الصين إلى تحديد دائرة النزاع بإقامة منطقة حربية حول خليج كياوتشاو ،

ولـكن القوات البريطانية واليابانية استمرت فى الاستعداد القوى لمحاصرة تسنجتاو المعقل الألمانى فى كياوتشاو فسلمت الحامية الألمـانية الصغيرة فى نوفمبر . وفى قسوة وتهور هاجم اليابانيون الأراضى الصينية فيما وراء منطقة القتال وعاملوا الصين معاملة بلد مهزوم ، مع أنها دولة غير محاربة ، واستولوا على جميع سكة حديد تسنجتاو — تسينان الألمانية رغم أنها تدار بر.وس أموال خاصة صينية وألمانية .

الحرب فى المحيط الهادى :

عجزت اليابان عن الاستيلاء على الأسطول الألمانى المحلى فى تسنجتاو ، لأنه فر إلى جزر كارولين فتوجه أسطول يابانى بريطانى للاستيلاء على هذه الجزر الألمانية وعلى السفن الألمانية التى تغير على طرق التجارة البحرية ، ولم ينته عام ١٩١٤ حتى كانت اليابان قد استولت على جميع الجزر الألمانية فى شمال خط الاستواء ، بينما استولت أستراليا ونيوزيلندا على الجزر الواقعة جنوب خط الاستواء بما فيها غينيا الجديدة ، ومع ذلك لم تتطهر مياه المحيط الهادى من سفن القرصنة الألمانية إلا فى ديسمبر سنة ١٩١٦ .

المطالب الواحدة والعشرون :

سعت الصين بعد تسليم معقل تسنجتاو إلى إخلاء أراضيها من الجنود اليابانيين فعمدت إلى إلغاء المنطقة الحربية ، ولهذا ادعت اليابان أن هذا إجراء غير ودى ، واتخذته حجة لتقديم عدة مطالب إلى الصين كانت قد أعدت قبل ذلك بشهور . وتنقسم هذه المطالب الواحدة والعشرون التى سلمت إلى يوان شيه كاى بعد أن كتبت على أوراق خاصة بوزارة الحرب اليابانية إلى خمس مجموعات :

المجموعة الأولى : طولبت الصين بالموافقة مبدئيا على كل تسوية تتم بين اليابان وألمانيا خاصة بالممتلـكات الألمـانية فى الصين ، وكذلك بمنح اليابانيين امتيازات واسعة فى شانتونج التى تصبح منطقة مصالح يابانية تحـكمها معاهدة عدم نقل الملـكية .

وفى المجموعة الثانية تطالب اليابان بزيادة سيطرتها الاقتصادية والسياسية على منغوليا ومنشوريا ومد عقد إيجار بورت آرثر إلى تسع وتسعين سنة .

وتهدف المجموعة الثالثة إلى احتكار اليابان للتعدين والفحم والصناعات الحديدية فى حوض نهر يانجتسى الهام .

وتلزم المجموعة الرابعة الصين بألا تتنازل عن موان أخرى أو مناطق ساحلية ولا تؤجرها لأية دولة أخرى .

أما المجموعة الخامسة فكانت عامة شاملة ، تطالب بما يلى :

١ — أن تكون اليابان هى الدولة الوحيدة صاحبة الحق فى تقديم المشورة للصين فى المسائل السياسية والمالية والعسكرية .

٢ — أن تشترى الصين أغلب احتياجاتها العسكرية من اليابان .

٣ — أن تمنح اليابان امتيازات واسعة المدى لإنشاء السكك الحديدية .

٤ — أن يمنح الرعايا اليابانيون حق تملك الأراضى الصينية لبناء المدارس والمستشفيات والمعابد ، ويمنحون كذلك حقوقا خاصة بالبعثات التبشيرية .

٥ — أن تمنح اليابان حق الأولوية فى استئجار إقليم فوكيين .

المعاهدة الصينية اليابانية سنة ١٩١٥ :

رغم أن اليابان طالبت بسرية هذه المطالب عند تقديمها فقد عمدت الصين إلى نشرها أملا فى الحصول على عون خارجى . وقد أنكرت اليابان حين نشرها فى بادىء الأمر وجود مثل هذه المطالب ، ولكنها عادت فاعترفت بوجودها محاولة التقليل من أهميتها . وكانت كل الدول التى يحتمل أن تقدم المساعدة للصين مشتبكة فى حرب عدا الولايات المتحدة ، ولكن الرئيس ولسون اكتفى بتذكير اليابان بالالتزامات التى تضمنها اتفاق روت — تاكاهيرا . ولما أدركت الصين ألا أمل فى مساعدات خارجية أخذت تسوف حتى أرغمت أخيرا على التسليم بمطالب أقل ، بعد أن تلقت إنذارا نهائيا من اليابان فى ٧ مايو سنة ١٩١٥ ، وكانت نتيجة ذلك

سلسلة من الاتفاقات بين الصين واليابان قبلت فيها الصين المطالب الأربعة الأولى مضافة إلى القسم الخاص باستخدام رءوس أموال يابانية لاستثمار إقليم فوكيين من المجموعة الخامسة ، وفى مقابل ذلك قبلت اليابان أن تعيد كياوتشاو إلى الصين بعد الحرب ، على أن تصبح ميناء تجاريا تحتفظ اليابان لنفسها فيه بامتياز . يضاف إلى ذلك أن اليابان حصلت على امتيازات فى منشوريا ومنغوليا ، وعلى مد عقد إيجار بورت آرثر ، وأُجّل تقدير بقية المطالب الواردة فى المجموعة الخامسة .

معاهدات ١٩١٧ — ١٩١٨ :

اتخذت اليابان إجراءات عاجلة لتثبيت مكاسبها فى الصين والمحيط الهادى . ولما كانت الغواصات الألمانية تهدد الحلفاء تهديدا خطيرا فقد وافقت كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وروسيا على أن تعترف كلها بالمغانم الحربية اليابانية فى مؤتمر الصلح المقبل مقابل إرسال اليابان مدمراتها لمساعدتهم فى البحر الأبيض . وقد تظاهرت اليابان للصين بالصداقة لتهدئ ثائرتها ، فالعسكريون الشماليون الذين فى يدهم إدارة حكومة بيكين كانوا فى حاجة دائمة إلى المال ، وهؤلاء أمكن إسكاتهم بمجموعة من القروض اليابانية فى عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ استطاعوا بها أن يوحدوا قواهم ، وزاد هذا من خطر اليابان ونفوذها السياسى فى شمال الصين . و بعد الثورة الروسية استخدمت اليابان التهديد بالخطر الشيوعى كى تنتزع اتفاقا جديدا من الصين يقضى بالتعاون العسكرى المشترك بين البلدين ضد الحمر . وقد وضع هذا الإجراء الجيوش الصينية تحت الإشراف اليابانى الفعلى .

مذكرات لانسنج — إيشي :

بعد أن أصبحت الولايات المتحدة حليفة لليابان بإعلانها الحرب على ألمانيا بادرت اليابان بانتهاز هذه الفرصة والحصول على موافقة الولايات المتحدة على مغانمها الحربية فى الصين ، فأرسلت الكونت إيشي على رأس بعثة عسكرية إلى

واشنطون ، واستطاع إيشيي بمهارته فى المحادثات أن يتبادل المذكرات مع لانسنج وزير الخارجية الأمريكية وقد تضمنت ما يلى :

١ — أكدت الدولتان تأييدهما لسياسة الباب المفتوح وسلامة الصين .

٢ — اعترفت الولايات المتحدة بالعلاقات الخاصة بين اليابان والصين على أساس « الجوار والتشابه العنصرى » .

وقد قررت وزارة الخارجية الأمريكية أن هذا انتصار لسياسة الباب المفتوح ، فى حين نظرت إليه اليابان على أنه تدعيم لمركزها الخاص فى الصين .

الصين فى أثناء الحرب

الصين وقت نشوب الحرب :

كانت دكتاتورية يوان شيه كاى الرياسية فى أغسطس سنة ١٩١٤ فى مركز قوى ، فلم تستمد صفتها القانونية فقط من التفويض الذى حصل عليه يوان من حكام المانشو بتكوين حكومة جمهورية ، بل إن العهد الدستورى الجديد كان قد اعترف أيضا بوجودها .

وقد أثبتت المعارضة البرلمانية أنها عديمة الجدوى ، وأصبح البرلمان الجديد تحت إشراف رياسة الجمهورية ، ووجدت الطبقة البيروقراطية أن من السهل تحويل ولائها من الإمبراطور إلى يوان باعتباره صاحب السلطة الشرعية . أما جمهرة الشعب فلم تعبأ بما حدث ، وظل رئيس الجمهورية يشرف على جيوش الصين الشمالية ، كما كان يشرف إلى حد ما على القواد العسكريين ، وحصلت الحكومة على بعض احتياجاتها عن طريق قروض من الاتحاد المالى ، كما أن توطيد مركزها مكنها من استئناف جباية الضرائب ، وأعلن يوان حياد الصين بمجرد نشوب الحرب الأوربية فى أول أغسطس سنة ١٩١٤ أملا فى الاحتفاظ بالسلم فى الشرق الأقصى .

إحياء الإمبراطورية :

كان يوان بحكم مرانته وخبرته يفضل الملكية على الجمهورية ، وقد قوت فيه هذه الميول الدعاية التي قامت بها جمعية صينية تدعى « شو آن كوى » وتوصيات مستشاره الأمريكي الدكتور ف ج جدناو Dr. F. J. Goodnow فإنه بعد أن قام بعدة حركات لإرضاء الرأي العام ، عقد مؤتمرا خاصا اقترع في جانب الملكية ، ثم أعلن في أول يناير سنة ١٩١٦ أنه سيتخذ لنفسه لقب إمبراطور . وقد اعترضت الدول الأجنبية على هذه الخطوة ، وإن كانت اليابان قبلت أولاً تأييدها له مقابل امتيازات رفض يوان أن يمنحها لها .

أما الاعتراض الداخلي فقد ظهر في صورة ثورة شبت في إقليم يونان في ديسمبر سنة ١٩١٥ ، ومن هناك انتشرت بسرعة ، ووجد يوان أولا ألا بد من تأجيل إعلان النظام الملكي ، ثم عاد فأعان تخلية عن فكرة إعادة الملكية في مارس سنة ١٩١٦ .

العودة إلى الجمهورية :

أرغم يوان على قبول حكومة ذات وزارة مسئولة ، وكان من المستطاع إرغامه على التخلي عن جميع سلطاته لولا أن عاجله الموت فأنقذه من فضيحة كبرى . وخلفه لي يوان هونج نائب الرئيس بطريقة سلمية ولكنه عجز عن السيطرة على الجمهورية الناهضة .

كان البرلمان الوطني قد اجتمع مرة ثانية في شنغهاي سنة ١٩١٣ ولكن الرئيس الجديد دعاه للانعقاد في بيكين ، أما الأحزاب العسكرية فقد أمكن إرضاؤها باختيار القائد توان تشي جووى نائبا للرئيس . وكان لا بد من النزاع بين رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية ، إذ أن « لي » كان ذا ميول جمهورية ، ولكن تنقصه القدرة السياسية ، بينما كان توان يعارض الحكم النيابي ولكن مقدرته السياسية فائقة . ولم يفلح البرلمان الجديد إلا في مضايقة حكومة توان وتعطيل أعمالها .

الحزبية :

ظهرت فى الأفق السياسى عدة أحزاب سياسية مختلفة ، وكان من وراء هذه الأحزاب القواد العسكريون « توشون » الذين يحكمون بعض أجزاء الصين بفضل ما لديهم من جيوش خاصة . أما فى الجنوب من كانتون فإن الدكتور صن يات سن وحزب الكومنتانج الذى أعيد تأليفه حظيا بتأييد القواد العسكريين فى أربع مقاطعات كما تحكم حزب فنجتين الذى يسيطر عليه تشانج تسولين فى أغلب منشوريا من مركز قيادته فى مكدن ، وكان يرأس حزب تشيلى المارشال تساوكون والقائد وويبى فو ومعه فنج يوهسيانج أو الجنرال المسيحى كما كانوا يسمونه . وكان يؤيد توان رئيس الوزراء « نادى آنفو » الذى أسسه هسو شو تسنج .

إشتراك الصين فى الحرب الأوربية وعودة حكم المانشو :

إن المشكلة التى قضت على الحكومة النيابية مرة أخرى هى مشكلة الحرب مع ألمانيا . فإنه عندما نسفت إحدى السفن الفرنسية التى تحمل عمالا صينيين إلى منطقة القتال الأوربية، قطعت الصين علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا فى مارس سنة ١٩١٧ . وقد أدى موقف ألمانيا المهين إلى إصرار توان رئيس وزراء الصين على إعلان الحرب ، ولما كان البرلمان يخشى بحق أن يترتب على إعلان الحرب دكتاتورية عسكرية تحت حكم توان فقد طالب بإقالته قبل إعلان الحرب . وبعد أن استقالت كل الوزراء ماعدا توان ووزير المعارف أحل «لى» رئيس الجمهورية « ووتنج فنج » محل «توان» فى ٢٣ مايو ، فهدد توان بالثورة يؤيده فى ذلك نادى آنفو ، فطلب لى المساعدة من القائد تشانج هسون . ولما كان تشانج هسون من المؤيدين المخلصين لأسرة المانشو ، فقد طلب حل البرلمان ، ولم يسع الرئيس المضطرب إلا الموافقة مع أنه سبق أن أمر بإجراء انتخابات جديدة ، ولكن تشانج هسون غل يده باتخاذ إجراءات سريعة ، وفى أول يوليو سنة ١٩١٧ أعاد تشانج هسون الإمبراطور السابق پويى إلى العرش فى بكين .

إعلان الحرب :

عم السخط البلاد بسبب إعادة حكم المانشو فقاد توان الجيش الجمهورى إلى بيكين حتى اضطر تشانج أن يلجأ إلى إحدى المفوضيات الأجنبية ، واستقال « لى » رئيس الجمهورية الذى فقد سمعته ، واستعاد توان مركزه كرئيس للوزارة ، بينما أصبح فنج كوو تشانج رئيسا للجمهورية . ولما كانت الحكومة الجديدة موالية للعسكريين اليابانيين فقد أعلنت الحرب على ألمانيا فى ١٤ أغسطس سنة ١٩١٧ أملا فى الحصول على مركز دولى ومعونة مالية ، واقتصرت مساهمة الصين فى مجهود الحلفاء الحربى على تجنيد مائة وتسعين ألفا من أبنائها كعمال فى الجبهة الغربية ، يضاف إلى هذا ما قدمته من المواد الخام والمواد الغذائية .

آثار معاهدات الصلح

قنع توان بمنصبه كرئيس للوزارة ، وعندما انتهت فترة رياسة فنج سنة ١٩١٧ انتخب البرلمان أحد أذناب توان ليخلفه ، كذلك حاول توان إجراء مفاوضات لإيجاد اتحاد بين شمال الصين الذى يسيطر عليه الآنفو ، وكانتون التى تسيطر عليها جماعة الدكتور صن يات سن ، غير أن فشله فى استرجاع شانتونج أثناء انعقاد مؤتمر الصلح فى فرساى قضى على مركزه قبل أن يحقق هذا الاتحاد . ولما كان توان معروفا بميوله اليابانية فقد اتهم بأنه خضع لإرادة اليابانيين ، فتظاهر آلاف من الطلبة وأثاروا الشعب فى بيكين وقاطع التجار المنتجات اليابانية ، فلم يسع اليابان الغاضبة إلا أن تسحب معونتها المالية . أما الوزراء الذين فقدوا مركزهم الشعبى بسبب ميولهم اليابانية فقد أجبروا على الفرار ، ورغم ذلك ظل توان رئيسا للوزارة حتى أرغمه ائتلاف من التوشون « القواد العسكريون » يتزعمه « وو بى فو » على التخلى من منصبه فى يوليو سنة ١٩٢٠ .

المؤتمرات الدولية

نتائج متناقضة فى فرساى :

كادت المصالح اليابانية والصينية فى مؤتمر الصلح تكون على طرفى نقيض ، فقد طالبت اليابان بالتنازل التام لها عن ممتلكات الألمان فى شانتونج ، تؤيدها فى ذلك تأييدا قويا معاهدات سرية عقدت فى أثناء الحرب مع بريطانيا و إيطاليا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندة ، وكانت كلها تأمل أن تنال نصيبها من تقسيم الإمبراطورية الألمانية . أضف إلى ذلك أن مطالب اليابان كانت تستند إلى معاهداتها مع الصين سنة ١٩١٥ ، سنة ١٩١٨ . أما الصين فعندما طالبت باسترجاع شانتونج ، وهى المكان المقدس الذى ولد فيه كنفوشيوس ، لم تجد من يؤيدها غير الرئيس ولسون .

وتقدمت اليابان بدهاء إلى المؤتمر مطالبة بقبول مبدأ المساواة العنصرية ، ولما كان هذا المبدأ غير معقول لدى كثير من الدول الغربية فإن ضرورة رفضه ألزمت الرئيس ولسون بالتسليم لها فى مشكلة شانتونج . كذلك كان ولسون يتوقع من عصبة الأمم المقترحة أن تعمل على رأب كل تصدع فى البناء الدولى — كمشكلة شانتونج مثلا — بمفاوضات مستقبلة .

مكاسب الصين :

أجرت حكومة توان مفاوضات فردية للصلح مع اليابان بسبب رد الفعل الشعبى العنيف الذى أحدثته هزيمة الصين الدبلوماسية فى فرساى ، ومع ذلك فقد حققت الصين انضمامها إلى عصبة الأمم الجديدة بتوقيعها المعاهدة بين الحلفاء والنمسا ، كذلك أحرزت الصين بمقتضى معاهدات الصلح ما يأتى :

١ — إنهاء المعاهدات المجحفة بها التى سبق أن عقدت بينها و بين الدول الكبرى.

٢ — إعفاءها من أقساط غرامة حرب الملاكمين الباقية لألمانيا عليها .

٣ — إلغاء امتيازات ألمانيا فى تينتسن وهانكاو .

٤ — إلغاء امتيازات حق امتداد القوانين بالنسبة للمجريين والنمساويين والألمان في الصين .

وتعتبر هذه المكاسب ضئيلة من الناحية المادية ، ولكنها كانت مقدمة لحصول الصين على مركز المساواة بين الدول ، ولا يقل عنه أهمية ما تبع مؤتمر فرساى من انبعاث الوعى القومى بقوة فى الصين .

معاهدة المحيط الهادى بين الدول الأربع :

حملت الولايات المتحدة بريطانيا واليابان على إنهاء معاهدة التحالف القائمة بينهما تحت ضغط كندا والممتلكات البريطانية المستقلة الأخرى ، على أن تحل محلها معاهدة المحيط الهادى أكثر شمولا بحيث تضم فرنسا والولايات المتحدة وقد ضمنت الدول بمقتضى هذا الميثاق الجديد احترام ممتلكات بعضها بعضا فى المحيط الهادى ، والمداولة المشتركة فى المشاكل والأعمال العدوانية المتعلقة بهذا المحيط .

المعاهدة البحرية بين الدول الخمس :

عند افتتاح المؤتمر اقترح هيوز وزير الخارجية الأمريكية إجراء خفض كبير فى التسلح على أساس ما لدى الدول من قوة بحرية حددها بنسبة ٥ : ٥ : ٣ : ١٫٧٥ : ١٫٧٥ بالنسبة لبريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة ، واليابان ، وفرنسا ، وإيطاليا ، على التوالى ، فاستاءت اليابان من وضعها فى مستوى أقل من بريطانيا والولايات المتحدة ، ولكنها قبلت الموافقة على هذا الاقتراح إذا وافقت الدول الأخرى بشرط ألا تقوم هذه بتحصين جديد لممتلكاتها فى شرق المحيط الهادى . وقد طبقت هذه القواعد فى النهاية مع بعض تعديلات منها شرط استطاعة أى دولة من الدول الموقعة إنهاء ارتباطها بهذا الاتفاق إذا قدمت طلبا بهذا المعنى قبل ذلك بعامين . وفى النهاية خرجت اليابان بنصيب الأسد ، لأن النسبة التى حددت لقوتها البحرية كانت كافية لأن تضمن لها السيطرة فى بحار الشرق الأقصى ، وفقدت بريطانيا حق تحصين

الممتلكات التي لم يكن في استطاعتها فعلا القيام بتحصينها ، بينما أصبحت حصة الولايات المتحدة من القوة البحرية كبيرة إلى أقصى حد تحتمله مقدرة دافعي الضرائب الكبيرة .

الاتفاقات الخاصة بالصين :

إن كل تفكير في شكل الصين له أهمية حيوية بالنسبة لروسيا ، ومع ذلك فإن الجمهورية السوفيتية الناشئة لم تدع للاشتراك في المؤتمر ، وقد رأى هذا المؤتمر فيما يخص الصين اتخاذ القرارات التالية :

١ — تقوية حكومة بيكين .

٢ — استمرار العمل بسياسة الباب المفتوح .

٣ — تبديد مخاوف الصين من عدوان أجنبي جديد ، مع إعادة شانتونج إليها إن كان ذلك مستطاعا .

٤ — إعداد بعض اقتراحات لإلغاء حق امتداد القوانين مستقبلا .

وقد شملت الإجراءات التي اتخذت لتعزيز المركز المالي لحكومة بيكين ورفع شأنها : زيادة الرسوم الجمركية الصينية إلى ٥٪ بالنسبة إلى قيمة البضائع ، وإلغاء مكاتب البريد ومحطات الإذاعة الأجنبية على أراضي الصين ، يضاف إلى ذلك أن بريطانيا وافقت على الدخول في مفاوضات مع الصين لإعادة واي هاي واي إليها .

المعاهدة الصينية اليابانية :

لم يتناول المؤتمر مشكلة شانتونج ، ولكن أمكن تسويتها بواسطة المعاهدة الصينية اليابانية التي عقدت سنة ١٩٢٢ وبمقتضاها أعيدت شانتونج إلى الصين مع احتفاظ اليابان بالإشراف على سكة حديد تسنجتاو — تسينان ، كذلك سحبت اليابان المجموعة الخامسة من المطالب الواحدة والعشرين التي سبق تأجيلها ، ورفضت إعادة النظر في الفقرات الخاصة بمنشوريا الواردة في المعاهدات السابقة .

معاهدة الباب المفتوح بين الدول التسع :

كان ميثاق الدول التسع أهم المعاهدات الخاصة بالصين ، فقد وافقت الدول الموقعة عليه على ما يأتى :

١ — أن تحترم مبدأ الباب المفتوح .

٢ — أن تضمن سيادة الصين وسلامتها الإقليمية .

٣ — أن تكف عن السعى للحصول على امتيازات خاصة فى الصين .

٤ — مساعدة الصين فى إيجاد حكومة مستقرة .

٥ — الكف عن عقد معاهدات بين هذه الدول تؤدى إلى إضعاف أى شرط من الشروط السابقة .

وفى اتفاقات لاحقة دعت الدول الموقعة الدول الأخرى للتوقيع على الميثاق ، كما وافقت على أن تناقش بصراحة كل خلاف يحدث بشأن هذا الميثاق .

خطورة المعاهدات :

حاولت معاهدات فرساى وواشنطون حل المشاكل العالمية حول مائدة المؤتمر ، وكان من المستطاع نجاح المؤتمرين لو أن جميع الدول تعاونت تعاونا تاما أثناء انعقاد هذه المؤتمرات وبعدها . ولكن — كما لاحظنا — رأت الصين والولايات المتحدة أن من صالحهما رفض معاهدة فرساى ، وذهبت اليابان إلى مؤتمر واشنطون على غير رغبة منها ، وخرجت منه غير راضية سواء عن واضعها كدولة بحرية أو عما اعتبرته تدخلا غير مشروع فى شئونها بشرق آسـيا ، كذلك أغضبها رفض الدول الموافقة على مبدأ المساواة العنصرية ، ونتج عن ذلك أن تجاهلت اليابان الاتفاقات وحصنت ممتلكاتها فى المحيط الهادى ، وتسلحت إلى أقصى حد تحتمله مقدرتها الاقتصادية ، أما فى الصين فإن حكومة بيكين التى حاولت الدول تقويتها ، كانت آلة فى يد القواد العسكريين ، وما لبثت أن سقطت فى أيدى الكومنتانج .

روسيا السوفيتية والتدخل فى سيبريا

الثورة الروسية :

ترتب على انهيار روسيا القيصرية بسبب الثورة عدة مشاكل جديدة للحلفاء أثناء الحرب . فقد أقام كيرينسكى حكومة من الأحرار تتعاون مع الدول الغربية ، ولكن حكومة الحمر التى تلتهـا انسحبت من الحـرب بمقتضى معاهدة برست — ليتوفسك ، ومع ذلك لم يستطع الحمر السيطرة على روسيا إلا بعد صراع طويل . وقد أسسوا « مجلس الشرق الأقصى لنواب الشعب » كحكومة حاجزة تتعامل مع الدول الغربية وتحكم شرق سيبريا ، ولكن بقيت فى جميع أنحاء سيبريا مراكز محلية لمقاومة البولشفيك ، وفوق ذلك فإن نحو خمسين ألفا من الجنود التشك الذين تخلوا عن الجيش النمساوى وانضموا إلى صفوف الحلفاء جرفهم تيار الثورة أثناء نقلهم عبر سيبريا إلى فلاديفستك ، وعندما تبين أن الحمر مخادعون استولى التشك على الجزء الأكبر من سكة حديد سيبريا وساعدوا قوات روسيا البيضاء المحلية .

حكومة قولشاق :

كان الأمير قولشاق أحد قواد روسيا البيضاء الذين يديرون دفة الحكم فى الشرق الأقصى . وكان هذا الموظف القيصرى قد تولى منصب وزير الحربية أولا فى حكومة من الأحرار مركزها أومسك ، وفى نوفمبر سنة ١٩١٨ استولى على السلطة فى هذه الحكومة وأقام نفسه دكتاتورا عسكريا ، وكان هدفه أن يتجه غربا ليبسط سيطرته على روسيا كلها ، ولكن سياسته الرجعية الوحشية نفرت منه كل مؤيديه ، ورغم مساعدة الحلفاء له فإن حكومته انهارت فى يناير سنة ١٩٢٠

خلفاء قولشاق :

أعلن سيمينوف — وهو قائد شهير من القوازق — نفسه دكتاتورا ، ولكن طغيانه أدى إلى زيادة التفاف الشعب حول القوات السوفيتية والنفور من الحلفاء

وقد حذا حذوه « كاليكوف ، روزانوف » وهما من خلفاء قولشاق المنتظرين ، ولم يبدأ صيف ١٩٢٠ حتى كان السوفيت قد أوقعوا الهزيمة بجميع قوات المقاومة الرئيسية ، وتحول مجلس نواب الشعب فى الشرق الأقصى إلى جمهورية الشرق الأقصى الشعبية بموافقة موسكو ، وفى سنة ١٩٢٢ اندمجت هذه الجمهورية فى الاتحاد السوفييتى .

تدخل الحلفاء :

فى سنة ١٩١٧ طلب كيرينسكى إلى الولايات المتحدة إرسال خبراء فى السكك الحديدية لتشغيل سكة حديد سيبريا ، وبعد معاهدة برست — ليتوفسك اقترحت اليابان التدخل الفعلى فى سيبريا . وكان المأزق الذى وقع فيه الخمسون ألف جندى تشكى ذريعة للحلفاء كى يتدخلوا فى سيبريا فى يوليو سنة ١٩١٨ . وقد نفى الحلفاء رغبتهم فى توجيه مصير روسيا السياسى ، واتفقوا على أن ترسل كل دولة من دولهم نحو عشرة آلاف مقاتل ، وكان أمل فرنسا وبريطانيا استخدام هذا التدخل لمساعدة الروس البيض فى التغلب على الحمر ، وإعادة روسيا إلى أتون الحرب ضد الألمان ، وكذلك للحصول على ضمان لتسديد ديون الحرب الروسية التى تبرأ منها البو لشفيك ، وفوق ذلك كان يهم بريطانيا منع انتشار الشيوعية أما اليابان فكان أملها بسط سلطانها على شرق سيبريا .

الخلاف والانسحاب :

تجاهلت اليابان شروط اتفاق التدخل على رغم احتجاج أمريكا فأرسلت سبعين ألف جندى إلى سيبريا توغلوا إلى مسافة بعيدة فيما وراء المناطق المحددة ، ودب الخلاف بين الحلفاء حول البواعث والوسائل ، فأدى هذا إلى احتكاك القوات المتحالفة ، يضاف إلى ذلك عدم الرضا عن مسلك قواد روسيا البيضاء . وقد أدى إنقاذ الجنود التشك وإنهاء الحرب فى أوربا إلى عدم جدوى الاحتلال ، فرحلت جميع قوات الحلفاء عن الأراض الروسية سنة ١٩٢٠ ما عدا القوات اليابانية . وقد تذرع اليابانيون بعدة

حجج للتلكؤ فى الانسحاب حتى أرغمهم ضغط الولايات المتحدة ومؤتمر واشنطون واعتراض الشعب اليابانى نفسه على الاحتلال ، فانسحبوا سنة ١٩٢٢ ، غير أن الجلاء نهائيا عن شمال شبه جزيرة سخالين لم يتم إلا بعد أن عقدت اتفاقا مع روسيا سنة ١٩٢٥ تناول جميع أوجه النزاع البارزة بين الدولتين .

منغوليا والتبت :

تلا الثورة الصينية سنة ١٩٢٢ إعادة النظر فى مركز الشعوب الباقية تحت حكم الصين فى وسط آسيا ، فقد كان المنغوليون والتبتيون تحت حكم المانشو فى مأمن إلى حد ما من استغلال الصين لهم ، ولكن بعد انتهاء حكم المانشو أصبحت هذه الشعوب فى قلق. وفى سنة ١٩١٣ عقد مؤتمر من الصينيين والتبتيين والبريطانيين قسم التبت إلى : التبت الخارجية التى تتمتع بالحكم الذاتى تحت سيادة الصين ، والتبت الداخلية التى تقع تحت سيطرة الصين مباشرة ، ومع أن الصين رفضت الاتفاق فقد اعترفت به بريطانيا واعتبرت المسألة منتهية .

الاتفاقات الصينية الروسية :

لم تكن مشكلة منغوليا تهم الصين وحدها ، بل إنها كانت تهم اليابان وروسيا اللتين حاولتا إدخالها ضمن مناطق مصالحهما .

وفى عامى ١٩١٣ ، ١٩١٥ عقدت اتفاقات بين الصين وروسيا اعترفتا فيها بمنغوليا الخارجية كجزء من الصين يتمتع بالحكم الذاتى ، واتفقت الدولتان على عدم التدخل فى السياسة الداخلية لمنغوليا ، على أن تشرف الصين على علاقاتها الخارجية . ومنحت اليابان امتيازات فى منغوليا الداخلية التى اعترفت بها كإقليم من أقاليم الصين بمقتضى المعاهدات التى عقدت بين الدولتين أثناء الحرب .

وبعد الثورة الشيوعية استعادت الصين سلطتها المباشرة على منغوليا الخارجية بناء على طلب المنغوليين الذين كانوا يخشون عدوان سيبريا ، ولكن قام نزاع بعد ذلك

بين الصين والمنغوليين . وفى سنة ١٩٢١ أنشئت فى منغوليا حكومة الشعب الثورية التى اعترفت بها موسكو رغم احتجاج الصين . وفى سنة ١٩٢٤ عقد ميثاق صينى روسى اعترف فيه بمنغوليا الخارجية كجزء من الصين يتمتع بالحكم الذاتى ووافق السوفيت على إجلاء قواتهم عنها .

سكة حديد الصين الشرقية :

من المشاكل التى سويت بمقتضى الميثاق الصينى الروسى سنة ١٩٢٤ ملكية خط سكة حديد الصين الشرقية ، وكان هذا الخط أولا تحت سيطرة البنك الروسى الأسيوى الذى أممته حكومة السوفيت سنة ١٩١٨ ، فنظم المستثمرون الفرنسيون الذين كانوا يملكون جانباً كبيراً من أسهمه مصرفا جديدا خولته حكومة بيكين حق إدارة هذا الخط تحت إشراف لجنة تعينها الحكومة الصينية ، وبموجب تسوية سنة ١٩٢٤ استرد الروس سيطرتهم التامة على استخدام هذا الخط كما استردوا سيطرتهم على إدارته إلى حد بعيد .

الفصل الحادى عشر

الصين واليابان فى فترة ما بين الحروب

عصر أمراء الحرب

القيادة العسكرية فى الصين :

يطلق عادة على الفترة بين ١٩١٧ و ١٩٢٧ فى الصين اسم عصر أمراء الحرب ، ففى هذه الفترة أخذ القواد العسكريون « توشون » يتنازعون السلطة والسيطرة على حكومة بيكين . وقد رأينا فى الفصل العاشر أن هزيمة الصين فى مؤتمر الصلح بفرساى أدت إلى سقوط حكومة توان الموالية لليابان ، والتى تستند إلى تأييد حزب « الآنفو » وأعقبتها حكومة ووپيى فو من حزب تشيلى بمساعدة تشانج تسولين قائد منشوريا العسكرى ، وفنج يوهسيانج « الجنرال المسيحى » الذى كان يسيطر على منغوليا الداخلية .

تولى تشانج منصب رياسة الوزارة واستخدم المنصب لمنفعته الخاصة حتى انقلب عليه « وو » وطرده إلى منشوريا بمساعدة فنج ، وبعد أن استدعى « لى يوان هونج » لرياسة الجمهورية حاول « وو » توحيد الصين ، ولما فشل فى محاولته أقام المارشال « تساوكون » قائد تشيلى العسكرى نفسه رئيسا للجمهورية بمساعدة فنج ونُحى « وو » جانبا .

مواصلة الصراع :

فى هذه الأثناء عزز تشانج تسولين قواه بالتحالف مع بقايا حزب آنفو ، وفى أوائل سنة ١٩٢٤ استأنف الحرب وشق طريقه إلى بيكين بمساعدة الجنرال فنج الغادر وتوان تشى جودويه الذى خرج من عزلته ثانية .

ألغى منصب رياسة الجمهورية ، وأصبح توان رئيسا للحكومة بصفته الرئيس المؤقت

للسلطة التنفيذية ، وفى الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٢٧ عمت الفوضى مدينة بيكين . وفى سنة ١٩٢٥ قام خلاف بين فنج وشانج أدى إلى طرد شانج مؤقتا إلى منشوريا حيث بقى بها وأنشأ حكومة مستقلة باركتها اليابان وتمكن فنج بالمساعدات المالية التى قدمتها له روسيا من الاحتفاظ بالسلطة فى بيكين ، وظل توان الرئيس الأسمى للحكومة. أما فى الجنوب فإن وو بيى فو بدأ يستعيد سلطته ويتحرك بقواته نحو الشمال ، وفى منطقة كانتونى أعاد الدكتور صن السكومنتانج فأصبح ذا نفوذ قوى .

انتهاء عصر أمراء الحرب :

فى سنة ١٩٢٦ وحد تشانج تسولين قواته مع قوات وو بيى فو لإنهاء سيطرة « الجنرال المسيحى » على بيكين ، ففر توان وترك الصين دون أى أثر للوحدة أو الإدارة المركزية . وقبل أن يستعيد « وو » سلطته فى الشمال هزمته جيوش السكومنتانج التى بدأت زحفها نحو النصر ، وظل تشانج يحكم فى بيكين حتى طردته هو الآخر قوات شيانج كاى شيك بمساعدة فنج يوهسيانج الذى أصبح الآن المعبر عن الأمانى القومية للشعب الصينى .

نهضة السكومنتانج

الدكتور صن يتجه إلى روسيا :

فى أثناء السنوات الأولى التى تلت الحرب كان الدكتور صن يات سن يحيا حياة مزعزعة فالإدارة التى أنشأها فى كانتون كانت تدعى أنها الحكومة الحقيقية للصين ، ولكن الدول الأجنبية ظلت تعترف بالحكومة الصورية فى بيكين ، ولم يكن فى يد صن من السلطة الفعلية أمراء الحرب إلا ما سمح له به القواد العسكريون فى الجنوب . وفى سنة ١٩٢٠ أعاد تنظيم حزب السكومنتانج ، وفى سنة ١٩٢١ اجتمع برلمان خاص وانتخبه رسميا رئيسا للجمهورية ، ولكن لم يحل عام ١٩٢٢ حتى نفى مرة ثانية إلى شنغهاى حيث اقتنع بألا مخرج للصين من هذه الفوضى إلا بمساعدة خارجية .

ولما كانت روسيا قد أعلنت عداءها للاستعمار فقد صارت فى نظره خير ما يرتجى ، فبدأت محادثات بين صن ، وأدولف جوف مبعوث روسيا كانت نتيجتها عقد اتفاق تعهدت فيه روسيا بتقديم المشورة إلى الصين فى كفاحها من أجل الوحدة والاستقلال ووافقت على أن الصين ليست بعد على استعداد لقبول الشيوعية والنظام السوفييتى .

إعادة تنظيم الكومنتانج :

بعد عودة صن إلى كانتون سنة ١٩٢٣ صحبه ميخائيل بورودين بصفته مستشارا سياسيا من قبل حكومة موسكو ، وتنفيذاً لاقتراحات بورودين أعاد صن تنظيم الكومنتانج تنظيما شاملا على نمط الحزب الشيوعى الروسى ، ولتقوية الأسس التى يقوم عليها الحزب نظمت المجموعات المحلية فى شكل خلايا لتتلقى معلومات أولية فى المبادىء الحزبية والنظام والإدارة ، وربطت هذه المجموعات المحلية بعضها ببعض فى منظمات مركزية وإقليمية ، ووضع على رأس التنظيم العام المؤتمر القومى للحزب الذى يجتمع سنويا . وكان الإشراف السياسى من اختصاص المؤتمر ، أما الإدارة فتولتها اللجنة التنفيذية التى كانت تسيطر على جميع نواحى النشاط الحزبى ، وقامت اللجنة التنفيذية كذلك باختيار لجنة المراقبة التى توجه الحكومة فيما بين فترات اجتماع المؤتمر ، واختير الدكتور صن رئيسا للحزب مدى الحياة ، وله حق الاعتراض على قرارات المؤتمر والفيتو ، ورأيه حاسم فى اللجنة التنفيذية المركزية ، ولا يسجل فى قوائم عضوية الحزب إلا من قبل الآراء المذهبية للكومنتانج ونظامه ، وقد قبل الحزب انضمام الشيوعيين لعضويته .

الآراء المذهبية للكومنتانج :

الآراء المذهبية لحزب الكومنتانج بعد إعادة تنظيمه هى فى جوهرها الآراء التى نشرها الدكتور صن فى رسائله ومحاضراته ، وتشمل ما يأتى :

١ — « مشروعات لإعادة بناء الوطن » وهو مؤلف فى ثلاثة مجلدات لم يتم طبعه. ويحتوى على ثلاثة موضوعات :

(ا) إعادة البناء السيكولوجى .

(ب) إعادة البناء المادى .

(ج) إعادة البناء الاجتماعى .

٢ — « سان مين شوئى » أو ثلاثة مبادئ للشعب ، وهذه المبادى أخذت عن لنكولن « حكومة من الشعب ينتخبها الشعب لصالح الشعب » وقد فسرت هذه المبادئ تفسيراً محكما فى سلسلة من المحاضرات جمعت بعد ذلك فى كتاب .

٣ — البيان الحزبى الذى أصدره المؤتمر الحزبى سنة ١٩٢٤ وهو ملخص لتاريخ الحزب و برنامجه وقد أصبح « انجيل » الكومنتانج .

٤ — «أسس التجديد القومى» وهو موجز لبرنامج الحزب وضعه صن سنة ١٩٢٤.

٥ — « وصية الدكتور صن » : وقد نشر بعد وفاته سنة ١٩٢٥ .

سان مين شو ئى (ثلاثة مبادئ للشعب) :

كان أساس برنامج الدكتور صن مبادئه الشعبية الثلاثة : سيادة الشعب « الديموقراطية » والقومية ، وأقوات الشعب ، واعتبر صن أن الواجب يقضى على الحكومة بمساعدة الشعب ليهيئ انفسه الضروريات الأربع : الغذاء والكساء ، والمأوى ، ووسائل الانتقال .

و إذا كان صن ليس شيوعيا فإنه تأثر بالآراء الاشتراكية فطالب الدولة بإعادة توزيع الأراضى لتقوم الملكية بين الجميع على أساس من المساواة ، أما الزيادة الطبيعية فى ثمن الأراضى فيجب أن تعاد إلى خزانة الدولة عن طريق الضرائب . أما مبدؤه الثانى ، وهو سيادة الشعب ، أو النظام الديموقراطى فيتضمن قيام الحكومة بتدريب الشعب على ممارسة حق الانتخاب وحق إبطال القرارات ، واقتراح القوانين والاستفتاء .

أما المبدأ الثالث ، وهو القومية ، فقد اقتضى أن تقوم الحكومة بما يأتى :

١ — تدريب الأقليات العنصرية وتوجيهها نحو تقرير المصير والحكم الذاتى .

٢ — مقاومة العدوان الخارجى .

إعادة النظر فى المعاهدات كى تحصل الصين على استقلالها ومساواتها بالدول الأخرى .

برنامج إعادة بناء الوطن :

أما برنامج إعادة بناء الوطن فيمكن تنفيذه على ثلاث فترات متوالية :

١ — إقامة حكومة تحت السيطرة العسكرية كى يمكن بالحرب إزالة العقبات الخارجية التى تعترض طريق الوحدة .

٢ — الوصاية السياسية تحت إرشاد الكومنتانج بعد إعادة النظام للأقاليم ، وذلك لتدريب الشعب على الحكم الذاتى المحلى فى كل هسين « مقاطعة » ، وتعليمه ومساعدته على كيفية استغلال الموارد المحلية ، وتنشيط الصناعة والتجارة لتهيئ للأهالى وسائل العيش .

٣ — إقامة حكومة دستورية فى كل إقليم بعد أن تكون كل الأقاليم قد حققت الحكم الذاتى ، ومع ذلك يظل حكام الأقاليم المنتخبون خاضعين لتوجيهات الحكومة المركزية .

وعند بدء الفترة الثالثة تنشئ الحكومة المركزية هيئة حاكمة تتمتع بسلطات خمس : السلطة التنفيذية ، والتشريعية ، والقضائية ، والاختبارات ، والإشراف على مجالس الأقاليم ، وعندما يصل نصف الأقاليم إلى المرحلة الدستورية يضع المجلس التشريعى دستورا ثم يصدر هذا الدستور .

المؤتمر الوطنى سنة ١٩٢٤ :

اجتمع أول مؤتمر للكومنتانج بكانتون فى يناير سنة ١٩٢٤ ، وقبل المؤتمر التنظيم والبرنامج اللذين وضعهما صن و بورودين ، ووضع دستورا على أساس الحزب الواحد ، وأعد بيانا حزبيا ، وسبق ذلك كله تكوين جيش وطنى وتأسيس أكاديمية هوامبوا العسكرية تحت إدارة شيانج كاى شيك لتدريب الضباط ، وقد أثبتت هذه القوة العسكرية الناشئة وجودها فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ عندما أخمدت ثورة قام بها تجار كانتون الذين أفزعهم تطرف صن وتحالفه مع الشيوعيين .

وفاة صن وتقديسه :

كان توحيد الصين الشمالية سنة ١٩٢٥ تحت إشراف الائتلاف الذى تم بين فنج يوهسيانج وتوان تشى جووى وتشانج تسولين آخر محاولة سلمية لتوحيد الصين جميعها.

فقد بدأ صن مباحثاته مع الزعماء الشماليين فى يناير سنة ١٩٢٥ ، ولكن تبين له أن الاتفاق مستحيل . وفى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ توفى صن فى العاصمة الشمالية بعد أن وقع على وصيته التى حث فيها على مواصلة الكفاح من أجل الوحدة ، وتنفيذا لمبادئه الشعبية الثلاثة ، والتعاون مع روسيا .

كان صن يات سن فى حياته إداريا وسياسيا محدود المقدرة ، ولكن الصينيين غفروا له هذه الأخطاء بعد وفاته ، فما أن مضى على وفاته يوم أو بعض يوم حتى أصبح بطلا وطنيا وخليفة كنفوشيوس والملاك الحارس للثورة الصينية ، ووضع الكومنتانج جثمانه فى بناء أثرى مثير للعاطفة فى مدينة نانكنج ، وأصبح هذا البناء ضريحاً قومياً يحج إليه الشيوعيون وأعضاء الكومنتانج على السواء .

ظهور شيانج كاى شيك

الصراع من أجل الزعامة :

لما لم يكن بين أعضاء الكومنتانج من يدعى لنفسه الحق فى أن يخلف الدكتور صن يات سن فى زعامة الحزب فقد دب بينهم الخلاف ، وكان أهم المناضلين من أجل الزعامة بورودين زعيم الشيوعيين ، ووانج تشنج واى الصديق الحميم للدكتور صن ، وزعيم الجناح اليسارى الذى لا يدين بالشيوعية ، وشيانج كاى شيك القائد العام لجيوش الكومنتانج الذى كان يخشى الشيوعيين ويشك فى نياتهم . وكانت تربط الثلاثة رغبة مشتركة فى توحيد الصين غير أن شيانج انتهز فرصة غياب بورودين فى الشمال وأبعد وانج ، فأصبح منذ ذلك الحين رئيسا للجنة الدائمة بالهيئة التنفيذية المركزية ، بينما ظل

بورودين مستشارا فقط ، وهذا الإجراء حصر النزاع الحزبى بين الشيوعيين وأعضاء الجناح الأيمن من العسكريين .

الزحف نحو الشمال :

فى منتصف عام ١٩٤٦ بدأت الحملة العسكرية الكبرى لإعادة توحيد الصين ، وتقدم القوات العسكرية جيش سرى من المهيجين ورجال الدعاية الذين أدوا دورهم بنجاح عظيم حتى إن جميع المقاطعات سلمت إلى شيانج كاى شيك دون أن يضطر إلى الدخول فى معارك ، فقد سلمت هانكاو فى أكتوبر ، وفى ربيع سنة ١٩٢٧ بسط الكومنتانج سيطرته على أغلب أقاليم الصين الواقعة جنوب نهر اليانجتسى ، أما فى الشمال فإن فنج والقائد العسكرى لمقاطعة شنسى أعلنا انضمامهما للوطنيين .

الصراع الحزبى :

بينما كان شيانج مشغولا بقيادة جيوشه نظم بورودين حركة ينزع بها السلطة من يده ، ففى نوفمبر سنة ١٩٢٦ انتقلت حكومة كانتون إلى هانكاو حيث انضم إليها وانج شنج واى ، وجلبت هذه الانتصارات الباهرة فيضا من التأييد الشعبى لاتحادات الزراع والعمال التى يسيطر عليها الشيوعيون ، واستولى العمال على الممتلكات البريطانية فى هانكاو بتشجيع من الشيوعيين . وفى مارس سنة ١٩٢٧ هاجمت القوات التى يقودها الشيوعيون الأجانب وممتلكاتهم فى نانكنج لتحرج مركز شيانج أمام الأجانب ، وفى نفس الشهر عندما دعا الجناح اليسارى فى هانكاو اللجنة المركزية للحزب إلى الاجتماع رفض شيانج الحضور فطرد من عضوية الحزب وحل محله فى الرياسة وانج شنج واى .

طرد الشيوعيين :

اتجه شانج بعد ذلك إلى الجناح الأيمن طالبا تأييده ، فعقد حلفا مع التجار الأثرياء وأصحاب المصارف فى شنغهاى ، وأقام حكومة فى نانكنج ، وفى ذلك الوقت أغار تشانج

تسولين على السفارة الروسية فى بيكين فوجد بها وثائق تثبت أن هناك خطة شيوعية لإقامة حكومة سوفيتية فى الصين تحت إرشاد بورودين ، وكان من نتيجة إفشاء هذه الأسرار أن تبرأ وانج شنج واى من بورودين الذى لم يسعه إلا الفرار إلى روسيا ، ولم يأت شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ حتى وطد الجناح الأيمن الذى يتزعمه شيانج كاى شيك مركزه ، غير أن شيانج لم يستطع الاتفاق مع الجناح الأيسر الذى يتزعمه وانج شنج واى ، ت . ف سونج ، فاستقال من قيادة الجيش ولجأ إلى منطقة الامتيازات فى شنغهاى محاولا بذلك التشجيع على الاحتفاظ بوحدة الحزب ، ومع ذلك ظل نفوذه وهو فى عزلته قويا فعاق ذلك إعادة الهدوء إلى الكومنتانج .

ونظمت حكومة من الطبقة الوسطى فى شهر سبتمبر بمدينة نانكنج ، ولكنها سرعان ما انهارت بسبب النزاع الداخلى وتلتها أخرى فى كانتون لاقت نفس المصير بسبب معارضة القواد العسكريين لها .

الزحف إلى بيكين :

فى ديسمبر سنة ١٩٢٧ تزوج شيانج كاى شيك من « ما يلنج سونج » شقيقة ت.ف سونج وأرملة الدكتور صن يات سن، وتحالف رسميا مع سونج ووانج شنج واى. وفى ربيع سنة ١٩٢٨ تولى منصب قيادة جيوش الكومنتانج مرة ثانية ، وزحف بقواته نحو الشمال ، ولم يكن للمارشال شانج الذى يحكم منشوريا بمساعدة اليابانيين ندا للقوات الوطنية المشتركة ، ولذلك حاول اليابانيون إنقاذ مركزهم فى شمال الصين بسد الطريق على شيانج بواسطة قوات يابانية ، و بعد صدام قصير فى تسيان فى شهر مايو ، أرغم الرأى العام اليابانيين على الانسحاب ، واحتلت قوات الكومنتانج مدينة بيكين ، وقتل المارشال شانج بقنبلة ما زال مصدرها غامضا أثناء فراره بطريق سكة حديد جنوب منشوريا التى يسيطر عليها اليابانيون .

ولما أعلن تشانج هسوويه ليانج أو المارشال الصغير ابن تشانج تسولين وخليفته ولاءه للكومنتانج أصبحت الصين لأول مرة منذ وفاة يوان شيه كاى موحدة تحت

حكومة واحدة ، كما أصبحت نانكنج العاصمة الوطنية ، وغير اسم بيكين « العاصمة الشمالية » إلى پيپين « السلام الشمالى » .

القانون الأساسى سنة ١٩٢٨ :

لقد أنهى إخضاع شمال الصين وما أعقبه من اعتراف اليابان والدول الغربية سنة ١٩٢٨ بحكومة نانكنج الطور العسكرى للثورة الصينية ، وبدأت مرحلة الوصاية السياسية . وقد امتاز هذا التحول بإصدار أول قانون أساسى اعتبر دستورا مؤقتا ، واقتضى هذا القانون فرض دكتاتورية الكومنتانج على الصين ، كما فرض نظام الحزب الواحد فى روسيا ؛ فالحزب هو الذى يضع القوانين ، وهو الذى يقوم بتنفيذها ، ويمارس سلطته بواسطة المؤتمر الحزبى عن طريق هيئته التنفيذية المركزية ولجنتها الدائمة ، وقد احتفظ شيانج بزعامة الحزب والقيادة العامة للجيوش الوطنية .

الشقاق داخل الوطن :

كانت نقطة الضعف فى حكومة نانكنج افتقارها إلى السلطة التى تقضى بها على التوشون « القواد العسكريون » الذين كانوا مسيطرين على مناطق واسعة ، واقتصرت حكومة شيانج فى نانكنج على حكم المقاطعات الواقعة فى حوض اليانجتسى .

وفى يناير سنة ١٩٢٩ عقد مؤتمر لمناقشة الخطط اللازمة لتخفيض الجيوش الخاصة ، ولكن القواد العسكريين أعلنوا التمرد فى كوانجسى ، وبعد أن أخمدت حركتهم سنة ١٩٣٠ هجر فنج حزب الكومنتانج فطرده الوطنيون إلى منغوليا بمساعدة تشانج هسويه ليانج ، وبعد ذلك ركز شيانج كاى شيك كل قواه ضد الشيوعيين .

علاقات الصين الخارجية

المكاسب الدبلوماسية :

فى نحو سنة ١٩٢٠ على الرغم من ضعف الصين الداخلى الواضح فإنها خطت خطوات موفقة لإزالة وضعها شبه الاستعمارى . وقد رأينا أن معاهدات ما بعد الحرب العالمية الأولى أنهت امتيازات ألمانيا والنمسا كما أنهت دفع تعويضات حرب الملاكمين وألغت ما للرعايا الأجانب المقيمين فى الصين من حق امتداد قوانين بلادهم .

وقد ألغت المعاهدة الصينية الروسية سنة ١٩٢٤ بقية تعويضات حرب الملاكمين كما اتخذت إجراءات للإشراف الثنائى على سكة حديد الصين الشرقية ، وأعادت منغوليا الخارجية تحت سيادة الصين ، وأدى زحف الكومنتانج على هانكاو إلى تنازل بريطانيا فى عامى ١٩٢٧ و ١٩٢٨ عن امتيازاتها فى هانكاو ، وكيوكانج ، وتشنكيانج وآموى ، كما أدى النزاع بين الصينيين والأجانب إلى زيادة عدد الأعضاء الصينيين فى بلدية شنغهاى سنة ١٩٢٦ ، سنة ١٩٣٠ .

الرسوم الجمركية وحق الأجانب المقيمين بالصين فى امتداد قوانين بلادهم :

لم يبدأ عام ١٩٢٩ حتى كانت الصين قد استردت حقها الكامل فى رسومها الجمركية ، ولم يغفل من الدول أمر الضرائب الجديدة على الواردات بنسبة ٢٥٪ إلا اليابان ، وعقدت معاهدات جديدة مع الدول الغربية الصغرى سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٠ على أساس المساواة التامة بينها و بين الصين ، وتنازلت البرتغال عن حق امتداد القوانين ، ووعدت كل من بلجيكا والدنمرك و إيطاليا بإلغاء هذا الحق عندما تبدأ أغلب الدول الأخرى هذا العمل .

الصراع بين مذهب الأحرار والروح العسكرية فى اليابان

نهضة الأحرار :

اشتركت اليابان فى الحرب العالمية الأولى لأغراض استعمارية تحت زعامة رئيس وزراء من الأحرار هو الكونت أوكوما . وفى عهده سلمت إلى الصين مطالبها الواحد والعشرين المقوتة . وقد اتفق الزعماء السياسيون اليابانيون على أهداف السياسة الخارجية وإن اختلفوا فى الوسيلة . أما فى الداخل فقد بذل الأحرار جهودا صادقة لتحقيق مزيد من الحكم الديمقراطى ، وأيدتهم فى محاولاتهم الدعايات التى انتشرت فى أثناء الحرب العالمية الأولى لتعزيز الديمقراطية ، واختارت « هارا » — وهو رجل من العامة تزعم حزب الميبوكاى — رئيسا للوزارة سنة ١٩١٨ كى تساير الدعاية الديمقراطية العالمية .

ومع ذلك حل هارا البرلمان اليابانى « الدايت » سنة ١٩٢٠ بحجة تقديم مشروع قانون لتعميم حق الانتخاب ، وكان يريد مخلصا إنقاذ الحكومة من نفوذ العسكريين ، ولكنه ما لبث أن أصبح فى سنة ١٩٢١ فريسة للاغتيالات التى قام بها العسكريون والوطنيون ، وبرغم وفاته أحرز الأحرار عدة انتصارات ، فصدق على اتفاقات مؤتمر واشنطون واستدعيت حملتا سيبريا وشانتونج ، وتحقق تعميم حق الانتخاب للرجال سنة ١٩٢٥ ، وأحرز المدنيون مزيدا من النفوذ فى البيروقراطية اليابانية وزاد الاهتمام بالسياسة .

مذكرة تاناكا :

انقسم حزب سييوكاى على نفسه بعد موت هارا ، وحكمت البلاد بلا أحزاب بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٤ . وفى سنة ١٩٢٤ أصبح الفيكونت كاتو زعيم حزب كنيكاى رئيسا للوزارة بعد أن كون وزارة ائتلافية تضم السييوكاى والكنيكاى ، ولما تصدع الائتلاف فى العام التالى احتفظ كاتو بمنصب الرياسة مستندا إلى تأييد

حزبه فقط . وفى نفس الوقت أصبح البارون تاناكا — وهو أحد العسكريين المحبوبين لدى صغار ضباط الجيش من ذوى النزعة العدوانية — زعيما لحزب سيبوكاى وطالب الحزب فى أثناء زعامته بسياسة خارجية حازمة . وبعد أن أصبح تاناكا رئيسا للوزارة فى أبريل سنة ١٩٢٧ قدم للإمبراطور مذكرة سرية رسم فيها الخطوط الرئيسية لعدوان استعمارى يابانى فى شرق آسيا يشتمل على ما يأتى :

١ — الحصول على منشوريا ومنغوليا وتنميتهما اقتصاديا كمقدمة لغزو الصين .

٢ — بعد غزو الصين يصبح من السهل غزو آسيا كلها .

واعترف تاناكا بأنه يجب على اليابان أن تسحق الولايات المتحدة كى تسيطر على الصين .

السياسة الإيجابية العملية :

ظهر أول تطبيق لسياسة تاناكا الإيجابية فى نقل الجنود اليابانيين من منشوريا إلى شانتوج فى أثناء زحف الكومنتانج نحو الشمال سنة ١٩٢٨ . وقد اضطر تاناكا سنة ١٩٢٨ تحت ضغط الرأى العام العالمى واليابانى إلى وقف هذه المحاولات التى اعترض بها طريق زحف شيانج كاى شيك نحو بيكين ، كما أن الظروف التى أدت إلى مقتل تشانج تسولين بعد ذلك سببت ارتباك تاناكا .

معاهدة الصلح فى باريس :

على رغم ما تضمنته سياسة اليابان الإيجابية كانت ضمن الدول الموقعة على ميثاق « كيلوج — بريان Kellog — Briand » الذى يدعو إلى نبذ الحرب ، وهو ما سمى بمعاهدة الصلح فى باريس ، وقد قبلت حكومة تاناكا هذا الميثاق مع التحفظ بأن المقصود بعبارة « باسم شعوبهم » الواردة فى الميثاق ، هو أن إمبراطور اليابان وقع الوثيقة « بالنيابة عن شعبه » ، ولكن هذا التحفظ لم يقيد فى نص المعاهدة . وقد استغلت الوزارة الجديدة التى ألفها حزب منسيتوا أو الحزب الديمقراطى هذا الحادث فى مهاجمة

حكومة تاناكا . وقد كان هذا مضافا إلى حادث اغتيال تشانج تسولين سببا فى سقوط وزارة تاناكا فى يوليو سنة ١٩٢٩ .

سياسة شيديهارا :

كان عدد كبير من الأحرار اليابانيين وعلى رأسهم البارون شيديهارا يعارضون سياسة تاناكا الخارجية العدوانية ، وقد تولى شيديهارا وزارة الخارجية ، وظل يدير دفة السياسة الخارجية اليابانية من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٢٧ ، ثم من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣١ ، وكان حليفا لأصحاب المصالح من كبار رجال الأعمال ، وسياسته تهدف إلى سيطرة الاقتصاد اليابانى على آسيا عن طريق التوغل السلمى مع عدم المساس بسيادة الصين وسلامة أراضيها . وفى الوقت الذى كان يعمل فيه على ترويج المصالح اليابانية أخذ يشجع التعاون مع الصين . كذلك حبذ شيديهارا التعاون الدولى عن طريق هيئات كعصبة الأمم ومؤتمرى لندن وواشنطون .

التعاون الدولى :

عاد شيديهارا سنة ١٩٢٩ إلى وزارة الخارجية فى وزارة هاما جوشى زعيم حزب مينسيتو ، وكانت وزارة هاما جوشى تهدف إلى تنمية التجارة الخارجية وزيادة مقدرة اليابان الصناعية وتحسين حالة العمال ، واتباع سياسة خارجية سلمية خصوصا مع الصين . وفى سنة ١٩٣١ مثّل شيديهارا بلاده فى مؤتمر نزع السلاح بلندن . ولما أجبرت اليابان على قبول نسبة من القوة البحرية أقل مما تطلب ، قام حزب سيبوكاى والعسكريون بتنظيم دعاية عنيفة ضد هاما جوشى أدت فى النهاية إلى اغتياله فشكلت وزارة أخرى من حزب مينسيتو يرأسها واكا تسوكى . وقد دأبت هذه الوزارة بدورها على معارضة العسكريين حتى أثار الجيش أزمة وزارية سببت حادثة منشوريا فى أواخر سنة ١٩٣١ .

الاتجاهات الاقتصادية فى اليابان

مشاكل ما بعد الحرب :

لقد وجدت اليابان نفسها حرة فى التنقل مؤقتا بين الأسواق العالمية التى جلت عنها الدول الأوربية فزادت طاقتها الصناعية زيادة كبيرة لمواجهة هذه المطالب الجديدة تضاف إلى ذلك مطالب الحلفاء من الذخيرة والسفن . ولما أعلنت الهدنة انتهى هذا الميزان التجارى لصالح اليابان ، وأصبح جانب كبير من طاقتها الصناعية معطلا . وقد واجهت اليابان فى أعقاب الحرب نقص الصادرات والتضخم المالى وارتفاع أسعار المواد الغذائية ارتفاعا سريعا أدى إلى إشاعة الاضطراب بين الطبقة العاملة .

ازدياد السكان :

قبل نهضة المييجى كان تعداد السكان فى اليابان ثابتا عند رقم ثلاثين مليونا ، ولكن التصنيع الذى جاء بعد النهضة شجع على زيادة السكان ، فأصبحوا فى سنة ١٩٢٠ ستة وخمسين مليونا ، وأربعة وستين مليونا فى سنة ١٩٣٠ . ولما كانت الأراضى الزراعية قد استثمرت استثمارا كاملا ، فقد تدفق السكان الزائدون عن حاجة الريف على المدن ، وفى أواخر الحرب كان فى اليابان ٢٣٠ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على عشرة آلاف نفس . ولم تمض سبع سنوات حتى زاد العدد عن الضعف . وهنا أصبحت مشكلة تدبير الأقوات اللازمة لبلاد يزداد تعداد سكانها سبعمائة ألف نفس سنويا أولى المشاكل التى تشغل بال رجال السياسة اليابانيين ، ولم تجد اليابان لها مخرجا عن طريق الهجرة ، فإن الولايات المتحدة وعدة دول أخرى سدت أبوابها فى وجه هجرة اليابانيين بلا رحمة ، بينما كره اليابانيون الانتقال حتى إلى البقاع الخالية فى جزيرة هوكايدو اليابانية .

تنازع البقاء :

عجزت اليابان عن إنتاج الأقوات الـكافية لشعبها الذى يزداد عددا مثلها فى ذلك مثل إنجلترة ، وأصبح لزاما عليها استيراد المواد الغذائية بكميات مضاعفة ، ولـكى تستطيع شراء المواد الغذائية كان عليها أن تستورد منتجات صناعية ، كما كان عليها أن تستورد الحديد والمواد الخام الأخرى اللازمة للصناعة ، ولـكن الاحتفاظ بهذه الدورة الصناعية و إعالة شعب فى ازدياد مستمر يقتضى فتح أسواق جديدة باستمرار لتصريف بضائعها . وكانت هذه الحالة هى القوة الدافعة التى توجه سياسة الأحزاب السياسية اليابانية كلها . وقد تطلع أغلب اليابانيين إلى الصين ومنشوريا بوصفهما مصادر للمواد الخام وسوقا لتصريف المنتجات الصناعية اليابانية ومنفذاً لفائض السكان من اليابانيين .

النفوذ الغربى :

ظلت حضارة الغرب تسيطر على اليابان سيطرة قوية فى أثناء العقود الأولى من القرن العشرين ، ولم يكن قيام حركة الأحرار مظهرا من مظاهر هذا الاتجاه نحو الغرب ، وقد اتبعت الأسر الغنية الحديثة التى ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى الأساليب الغربية فى الملبس والمأكل والآداب ووسائل التسلية والسلوك ، وأصبح « للبيسبول » من الانتشار فى أوزاكا مثل ما كان لها فى بروكلين ، كما أن جموعا كبيرة من الشباب اليابانى اشتركت اشتراكا فعليا فى النشاط الرياضى الغربى ، وتمتعت المرأة اليابانية بمزيد من الحرية والتعليم ، إذ أن تكاليف الحياة المطردة الزيادة جعلت لها أهمية خاصة فأصبحت قادرة على كسب القوت ، وبرغم كل ذلك ظل التعليم اليابانى إلى حد بعيد تحت إشراف حكومى دقيق .

الفصل الثانى عشر

حرب غير معلنة ١٩٣١ — ١٩٤١

الأزمة المنشورية

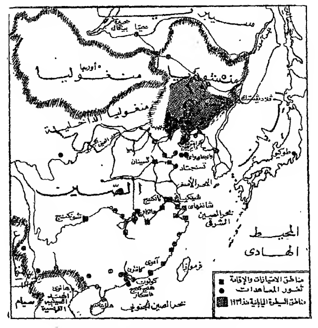
منشوريا سنة ١٩٣١ :

بمستهل عام ١٩٣١ تكون منشوريا التى تبلغ مساحتها أربعمائه ألف من الأميال المربعة قد ظلت أربعين عاماً موضع نزاع بين اليابان وروسيا والصين . وقد جهدت المانشو لكى تحول دون هجرة الصينيين إلى هذا الإقليم البكر المتاخم لحدود بلادها ، ولكن أفواجا من الصينيين تدفقت عليه بعد عام ١٩١١ بقصد الاستيطان . وفى عام ١٩٣١ كانت نسبة الصينيين إلى جميع سكان منشوريا البالغ عددهم ثلاثين مليونا تسعين فى المائة ، يليهم المنغوليون ، فالكوريون ، فاليابانيون ، فالروس على حسب ترتيب الأهمية . وهكذا احتفظت الصين بمنشوريا لا بحق السيادة القانونى فقط ، ولكن بحق الاستيطان العنصرى . أما منطقة نفوذ روسيا فقد تركزت حول سكة حديد الصين الشرقية ، بينما شملت المصالح اليابانية سكة حديد منشوريا الجنوبية ومنطقة لياوتونج الفنية المستأجرة بما فيها بورت آرثر وديرين ، كذلك أصبحت لليابان امتيازات إضافية عديدة فى منشوريا بموجب معاهداتها مع الصين عامى ١٩٠٥ ، ١٩١٥ .

التغيرات التى طرأت على منشوريا :

إن تشانج تسولين الذى لمع نجمه فى أثناء عصر القواد العسكريين فى الصين ، كما رأيناه ، كان ابن فلاح صينى وصل إلى مركز السيطرة قبل الحرب الروسية اليابانية باعتباره أحد زعماء العصابات المنشوريين ، وبعد أن وقف فى صف اليابان أثناء حربها

مع روسيا انضم بقواته إلى الحكومة الصينية كضابط نظامى فى الجيش الصينى . وفى أعقاب الثورة أصبح قائدا عسكريا « توشون » لإقليم فنج تين ، ولم يحل عام ١٩١٨ إلا وقد أصبح مسيطرا على الأقاليم الثلاثة فى شرق منشوريا ، وحكمها حكما



مناطق العمليات العسكرية الأجنبية فى الصين

(فبراير ١٩٣٢)

فرديا مستقلا حتى توفى سنة ١٩٢٨ بعد انتصارات الكومنتانج . ومع أن تشانج كان ينفر من كل حكم أجنبى فى منشوريا فقد استطاع بمهارة أن يستخدم اليابانيين فى تثبيت مركزه . أما ابنه تشانج هسوويه ليانج الذى خلفه سنة ١٩٢٨ فقد وقف موقف المعارضة الصريحة للنفوذين اليابانى والروسى ، وانضم إلى الكومنتانج ، فثبتته حكومة نانكنج فى مركزه بمنشوريا .

زحف الكومنتانج :

بعد أن انضم المارشال الصغير « تشانج هسوويه ليانج » إلى حكومة نانكنج بدأت حملة دعاية واسعة للكومنتانج فى منشوريا هدفها تدعيم القومية ومهاجمة المعاهدات والسيطرة الأجنبية ، وقد استطاع تشانج بتأييد الكومنتانج أن ينمى القوى الاقتصادية للأقاليم الشمالية ، وأن يوثق ارتباطها بالاقتصاد الصينى .

النزاع السياسى حول السكك الحديدية :

تمسكت اليابان بأن الصين وافقت فى المعاهدة التى عقدتها معها سنة ١٩٠٥ على ألا تنشئ خطوطا حديدية فى منشوريا تنافس الخطوط الحديدية التى تملكها اليابان ، فأنكرت الصين هذا الادعاء وشرعت تنشئ خطوطا حديدية تنافس الخطوط اليابانية فى كل شىء عدا نقل المنتجات الداخلية إلى الموانى التى تسيطر عليها الصين ، وكذلك نقل هذه المنتجات خارج بورت آرثر وديرين . أضف إلى ذلك أن الصين خفضت أجور النقل على خطوطها ، ورفضت الاعتراف بعقود قروض السكك الحديدية التى أبرمت مع اليابان سنة ١٩١٨ أثناء قيام عصبة آنفو .

ازدياد الاحتكاك :

كان من أهم الحوادث التى أدت إلى الاحتكاك بين الصين واليابان والتى بلغت ثلاثمائة أو تزيد ، حادثتا وانباؤشان وناكامورا فى يونيو سنة ١٩٣١ . فقد تضمنت الحادثة الأولى قيام الكوريين دون مسوغ قانونى بحفر مجار للرى على أراض مستأجرة من الصينيين ، وبعد نزاع لم ترق فيه الدماء تم إنشاء القنوات تحت حماية البوليس اليابانى . ولكن الأنباء المشوهة التى نشرتها الصحافة اليابانية والكورية عن الحادث أثارت اضطرابات دموية ضد الصينيين فى كلا البلدين ، فقد احتوت حادثة ناكامورا على نبأ قبض الصينيين على ضابط يابانى يتجسس فى المناطق الداخلية لمنشوريا وإعدامه ، ونشر هذا النبأ فى اليابان على نطاق واسع واعتبر إهانة للجيش اليابانى .

حادثة منشوريا :

وفى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ انفجرت قنبلة فسببت تلفا ضئيلا فى سكة حديد منشوريا الجنوبية ، ولم ينبلج الصبح حتى كانت الجيوش اليابانية قد احتلت مكدن وتقدم جيش كوانتونج لاحتلال منشوريا وأتم غزوها فعلا بالاستيلاء على خار بين فى ٥ فبراير سنة ١٩٣٢ . ولما كانت القوات التى تحت إمرة تشانج هسوو يه ليانج فى منشوريا غير كبيرة فإنه تقهقر دون مقاومة جدية .

إنشاء دولة منشوكو :

عمد اليابانيون إلى تعزيز مغانمهم العسكرية بإثارة حركة داخلية فى منشوريا ترمى إلى الاستقلال ، وتوسلوا إلى تحقيق غرضهم بالمال والقوة . وفى أول مارس سنة ١٩٣٢ أعلن استقلال دولة منشوكو الجديدة تحت وصاية هنرى پو يى آخر أباطرة الصين ، وسرعان ما اعترفت اليابان بالدولة الناشئة ، وبرغم أن حكومة منشوكو كانت فى ظاهرها تقوم على أكتاف الموالين لليابان من المنغوليين والمانشو والصينيين ، فقد كان هذا طلاء كاذبا ، والحقيقة أن المستشارين اليابانيين هم الذين كانوا يوجهون سياسة البلاد . أما جمهرة سكان البلاد من الصينيين فلم تكن راضية عن الحكومة الجديدة .

شنغهاى :

على أثر استيلاء اليابان على منشوريا عمت الصين موجة من الوطنية ترتبت عليها مقاطعة الصينيين للبضائع اليابانية وخدمات اليابانيين . وفى يناير سنة ١٩٣٢ هاجم بعض الرعاع الصينيين خمسة من الكهنة البوذيين اليابانيين ، فاتخذت اليابان من ذلك ذريعة للقيام بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد القوات الصينية فى شنغهاى والمعاقل الصينية القريبة منها فى ووسونج ، ولكن « جيش الطريق التاسع عشر » الصينى أدهش العالم ، فقد قاوم اليابانيين بإصرار حتى ٣ مارس .

صدى إنشاء دولة منشوكو فى العالم

الصين تلجأ إلى عصبة الأمم :

لما عجزت الصين عن مقاومة اليابان لجأت إلى عصبة الأمم فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣١ فأصدرت اليابان اتهامات مضادة مدعية أنها فى حالة دفاع عن النفس ، وأعلنت أن بواعثها سلمية ، وكان كل ذلك فى الوقت الذى يواصل فيه جيش كوانتونج اليابانى إتمام احتلال منشوريا . وقد شهد مناقشات عصبة الأمم مندوب أمريكى ولكن لم تكن لديه السلطة فى اتخاذ أى إجراء . أما انجلترا فلم تزل حتى ذلك الوقت ساخطة على الصين بسبب مهاجمتها للبريطانيين ومقاطعتها لهم فى أواخر سنة ١٩٢٠ ، فلم تمد يد المساعدة للصين . أما فرنسا فلم تشأ أن تخاطر بمعاداة اليابان .

لجنة ليتون :

فى ديسمبر سنة ١٩٣١ عينت عصبة الأمم لجنة تحقيق يرأسها إيرل ليتون Earl Lytton البريطانى . ولم يقتصر التقرير الذى وضعته هذه اللجنة فى أكتوبر سنة ١٩٣٢ على إدانة اليابان باعتبارها دولة معتدية فقط ، بل أوصى بألا تقوم أى دولة بالاعتراف الدبلوماسى بمنشوكو . ولما كانت لجنة ليتون تدرك أن الدول لن تحارب من أجل الصين ، فقد أوصت بأن تظل منشوكو تحت سيادة الصين ، على أن تمنح الحكم الذاتى الذى يحفظ لليابان حقوقها الخاصة فى منشوكو . ولم يكن هذا الحل ليرضى الصين أو اليابان فإنه عندما وافقت عصبة الأمم على تقرير ليتون بقرار إجماعى انسحبت اليابان من العصبة فى مارس سنة ١٩٣٣ .

مبدأ ستمسون :

ناشد ستمسون وزير خارجية الولايات المتحدة كلا من الصين واليابان أن تحافظ على التزاماتها الدولية طبقا لميثاق كيلوج للسلام والاتفاقيات الأخرى ، ولما لم تستجيبا

لندائه أصدر فى يناير سنة ١٩٣٢ المذكرات المعروفة « بمبدأ ستمسون » التى توضح موقف أمريكا الرسمى تجاه العدوان اليابانى ، وملخصها أن الولايات المتحدة لن تعترف بأى معاهدة أو اتفاق أو موقف من شأنه أن يضعف حقوق الولايات المتحدة أو أن تتعارض المعاهدة أو الاتفاق أو الموقف مع الاتفاقات الخاصة بميثاق كيلوج للسلام . وقد عززت أمريكا موقفها باحتفاظها بالأساطيل الأمريكية الرئيسية فى المحيط الهادى ومضاعفة قواتها البرية فى شنغهاى .

هدنة تانجكو :

برغم الاحتجاجات الدولية تقدمت اليابان بفتوحها فى منشوكو ، فضمت إقليم جيهول فى أوائل سنة ١٩٣٣ . وبعد أن غزت القوات اليابانية منطقة بيكين عقدت هدنة فى تانجكو فى ٣١ مايو سنة ١٩٣٣ انتهى بها الطور الأول من أطوار الحرب الصينية اليابانية ، وقد نصت الهدنة على إنشاء منطقة منزوعة السلاح فى شمال الصين تحافظ على النظام فيها « فرقة حفظ السلام » تحت توجيه اليابان .

منشوكو

حكومة منشوكو :

فى أول مارس سنة ١٩٣٤ جلس هنرى بو يى على عرش منشوكو باسم الإمبراطور كانجتى ، وقد نص الدستور الذى أصدر فى ذلك الوقت على أن الإمبراطور يمارس حقوق السيادة بواسطة خمسة مجالس ، ومع ذلك فقد كان الحاكم الحقيقى لمنشوكو هو القائد العام لجيش كوانتونج اليابانى الذى كان يحمل لقب السفير اليابانى لبلاط منشوكو ، وحاكم إقليم كوانتونج والقائد العام لقوات منشوكو .

كانت مناصب الدولة الرئيسية للصينيين ، ولكن اليابانيين احتفظوا بالسيطرة عليها مع قبولهم مناصب ثانوية . كذلك احتكر اليابانيون منذ البداية المناصب الحكومية الهامة التى تشرف على المالية والتعليم والشئون التجارية والاستعلامات ،

وقد ظل عدد الموظفين اليابانيين فى زيادة مطردة طوال تاريخ منشوكو القصير الأجل .

التنمية الاقتصادية :

نتيجة لاعتراف منشوكو الكامل بكافة الحقوق والامتيازات التى سبق أن منحتها الصين لليابان فى هذه المنطقة أصبح اليابانيون يشرفون إشرافا مباشرا على ثروة البلاد ومواردها ، وقد عملوا بمثابرة على إدماج منشوكو إدماجاً كاملا فى النظام الاقتصادى اليابانى ، وأنشأوا السكك الحديدية والطرق والموانى ، ومحطات توليد القوى والمصانع ، كما حفروا المناجم وبدأوا التنقيب عن مستودعات الزيت فى باطن الأرض . ولما رأى قواد جيش كوانتونج أن رأس المال الفردى لا يكفى لإشباع مطامعهم تكونت شركات حكومية كبيرة كشركة منشوريا للتنمية الصناعية .

النقل والمواصلات :

فى سنة ١٩٣١ كانت اليابان تشرف إشرافا فعليا على أغلب سكك حديد منشوريا ، وبعد إنشاء حكومة منشوكو أدمجت كل الخطوط الحديدية — ماعدا سكة حديد الصين الشرقية التى يشرف عليها الروس — فى شبكة واحدة من السكك الحديدية أطلق عليها سكك حديد منشوريا الجنوبية التى كان من حقها أيضا الإشراف على الطرق الرئيسية والموانى وعدد آخر من المصالح . وفى سنة ١٩٣٥ بعد مفاوضات دامت عامين أظهر الروس رغبتهم فى الانسحاب من منشوريا بأن باعوا سكة حديد الصين الشرقية إلى اليابان ، وأدمجت شبكة مواصلات منشوريا فى الشركة المنشورية للتليفون والتلغراف التى تشرف عليها الحكومة .

نتائج الإشراف اليابانى :

لما كانت أغلب معاملات منشوريا التجارية مع الصين ، فقد انتهى هذا التبادل التجارى بعد سنة ١٩٣١ . ورغم الاستثمارات اليابانية الهائلة فى منشوريا فقد كانت

زيادة الأرباح ضئيلة ، ولـكن فرض القانون والنظام أفاد كثيرا فى تحسين حالة الفلاح المنشورى بمرور الزمن ، وارتفع مستوى معيشة الصينيين فى منشوريا إلى حد شجع الهجرة على نطاق واسع من الصين الوطنية إلى منشوريا ، ولـكن الذى أساء إلى سمعة اليابانيين حرمانهم أهالى منشوريا من التعليم العالى عدا بعض القر بين إليهم ، ومما زاد سمعتهم سوءا تشجيعهم عمدا استعمال الأفيون .

اليابانيون فى منغوليا :

بعد غزو إقليم چيهول سنة ١٩٣٣ بدأ المنغوليون فى الأقاليم الأخرى من منغوليا الداخلية ينظرون إلى اليابانيين على أنهم حماتهم ضد الصينيين . وفى سنة ١٩٣٥ أرغمت الصين على الموافقة على تجريد هذه المنطقة من السلاح ومنع الصينيين من الهجرة إليها . ولما حاولت اليابان التقدم إلى الأمام نحو منغوليا الخارجية اصطدمت بالقوات الروسية فى سلسلة من المناوشات على الحدود ، فاضطرها ذلك إلى توقيع ميثاق مكافحة الشيوعية الدولية مع إيطاليا وألمانيا سنة ١٩٣٦ .

الصين الشمالية :

سعت اليابان إلى إنشاء منطقة حاجزة من الأراضى الصينية فيما يلى منشوكو جنوبا بأقاليم شانس وهوبيه وشانتونج التى كان يحكمها تشانج هسوويه ليانج المعادى لليابان ، وذلك لحماية صنيعتها من عدوان الـكومنتانج فى الصين .

وبرغم أن اليابان وقعت هدنة تانجـكو فقد دأبت على التقدم فى هذا الإقليم ، فنشرت فيه دعاية واسعة النطاق لإثارة حركة المطالبة بالاستقلال ، ولـكن الصين واجهت الموقف بمنح الإقليم مزيدا من الحـكم الذاتى المحلى . وحاولت اليابان منع الدول الأخرى من مساعدة الصين ، فأعلنت « مبدأ منرو اليابانى » ولـكن الصين أنكرت عليها حق التحكم فى مصير شرق آسيا . ومع ذلك أجريت بين الدولتين مفاوضات

انتهت باتفاقية هو — أومتسو سنة ١٩٣٥ و بمقتضاها وافقت حكومة نانكنج على سحب قواتها من المنطقة المنزوعة السلاح كما تعهدت بإنهاء الدعاية المعارضة لليابان. وإنهاء مقاطعة اليابانيين .

الصين الوطنية

الوطنيون ضد الشوعيين :

تتخلص مأساة الصين فى أنها واجهت المعتدى وهى متفرقة الكلمة ؛ فالتطهير الشيوعى سنة ١٩٢٧ غير الاتجاه السياسى للكومنتانج فولى وجهه بقوة شطر اليمين ، ووضع الاستثمارات الفردية تحت إشراف الدولة ، ولكن هذا التطهير لم يقض على الشيوعيين نهائيا ، ففى سنة ١٩٣١ خلال عدوان اليابان على منشوريا أنشأ ماوتسى تونج وتشوتيه ChuTeh حكومة سوفيتية فى كيانجسى ، واستطاعت هذه الحكومة فى أوائل سنة ١٩٣٢ أن تسيطر على ما يقرب من سدس بلاد الصين . وقد اعتبر شيانج كاى شيك الشيوعيين أشد عداوة له من اليابانيين ، فأخذ فى مهادنة اليابانيين فى نفس الوقت الذى نظم فيه ست حملات كبرى ضد الحمر . وقد أحرز بعض النجاح بحملاته هذه ، مضافة إليها دعاية واسعة وتعهد منه بإصلاحات اجتماعية واقتصادية ، فطرد الشيوعيين من إقليم كيانجسى ، ولكنهم ساروا ستة آلاف ميل فى طريق دائرى حتى وصلوا إلى مقاطعة شنسى حيث أنشأ ماوتسى تونج فى عام ١٩٣٦ جمهورية سوفيتية شعبية صينية .

الشيوعيون يعرضون الاتفاق :

لما اطمأن الشيوعيون على حكومتهم فى مأمنهم بإقليم شنسى بدأوا إعادة تنظيمها الاقتصادى والاجتماعى . ولكن لم تأت سنة ١٩٣٦ حتى كان التهديد النازى قد دفع روسيا والشيوعية الدولية إلى اتخاذ موقف حربى أدى إلى التعاون مع الديمقراطيات ومع أعداء الفاشية .

وتمشيا مع ذلك الاتجاه سعى ماو إلى الانضمام للكومنتانج ضد اليابان بأن تقدم ببرنامج للاتفاق اشتمل على ما يأتى :

١ — المقاومة ضد اليابان .

٢ — إعادة النظر فى النظام المالى والضريبى فى الصين .

٣ — تنمية الصناعة والتجارة .

٤ — تحسين وسائل التعليم ورفع مستوى الشعب الصينى من ناحية ظروف العمل وظروف المعيشة .

٥ — التعاون مع الدول الأجنبية الصديقة .

وقد رفض الكومنتانج هذه الشروط .

حادثة سيان :

أصدر شيانج كاى شيك أمره إلى تشانج هسوويه ليانج بالقضاء على الشيوعيين برغم مطالبة الشعب بمقاومة اليابان ، ولكن تشانج فشل فى تنفيذ مهمته . وفى أثناء مؤتمر عقد فى سيان أصدر شيانج كاى شيك أمرا باعتقال تشانج ، فقام أنصار تشانج باختطافه هو ، و برغم أن هذا القائد الأعلى « كاى شيك » رفض محاربة اليابانيين أو التصالح مع الشيوعيين فقد أبقى هؤلاء الشيوعيون على حياته ؛ إذ اعتقدوا أنه الرجل الوحيد الذى يستطيع قيادة الأمة ضد اليابان ، وفى النهاية أطلق سراح كاى شيك وقبض على تشانج ثم حوكم وأودع السجن ، وأخيرا صدر أمر بالعفو عنه .

ومع أن كاى شيك لم يعد بشىء فقد عقد اتفاق مؤقت بينه و بين الشيوعيين نص على ما يأتى :

١ — موافقة حكومة نانكنج الرسمية على حكم الحمر لإقليم شنسى .

٢ — انضمام الجيش الشيوعى إلى القوات الوطنية .

٣ — موافقة الشيوعيين على التراخى فى تنفيذ برنامجهم الاشتراكى .

التطورات الاقتصادية :

بدأت حركة تعاونية حوالى سنة ١٩٢٢ اعترفت بها الحكومة رسميا سنة ١٩٣٤ فأصدرت تشريعا خاصا يشجع على تكوين الجمعيات التعاونية المختلفة . وفى سنة ١٩٣٨ حصلت هذه الحركة التعاونية على قوة دافعة إضافية عندما قام ريفى آلى Reivi Alley ، ت . ف سونج T. V. Soong بتكوين الجمعيات التعاونية الصناعية الصينية . ولما كان الهدف الرئيسى من إنشاء هذه الجمعيات هو إعادة حقوق العمال الذين أجْلَتهم الحرب ، فقد ساهمت فى منع الاقتصاد الصينى من الانهيار بعد الغزو اليابانى .

حركة الحياة الجديدة :

من العوامل الهامة التى أدت إلى نجاح الكومنتانج فى طرد الشيوعيين من إقليم كيانجسى بدء « حركة الحياة الجديدة » فى سنة ١٩٣٤ ، فقد كانت هذه الحركة تهدف إلى التجديد الروحى فى الصين بإحياء مبادىء كنفوشيوس فى الأخلاق والسلوك العام . ولم يقصر أعضاء « اتحاد حركة الحياة الجديدة » جهدهم على حملات الدعاية ضد السلوك المشين ، بل نظموا لهم وكالات لمحو الأمية ، وتعليم القواعد الصحية للأفراد ، وتحسين طرق الزراعة .

الروح العسكرية فى اليابان

نشوء الجمعيات المناهضة للديموقراطية :

تكونت جمعيات وطنية متطرفة بعد الحرب العالمية الأولى ، و برغم تنوع أهداف هذه الجمعيات فإنها جميعا نادت بالكودو Kodo « الطريق الامبراطورى » ، كما نادت بخليط متنوع من التفوق العنصرى والثقافى والسيطرة العدوانية والوقوف موقف العداء من المذاهب « الغربية » كمذهب الأحرار ، والديموقراطية ، والرأسمالية ، والمذهب الفردى Individualism . وكانت الفكرة التى بنيت عليها هذه المذهبية اليابانية

مضطربة غامضة ، ولكنها في جملتها أيدت اشتراكية الدولة التي تتضمن إلغاء الحكومة النيابية والاحتكارات الرأسمالية الفردية .

وكان الخلاف الرئيسي بين هذه الجمعيات الوطنية المتنوعة هو الطبقة الخاصة أو الحزب الخاص الذي اعتقدوا أنه يجب أن تلقى إليه مقاليد الحكم في اليابان دون علم الإمبراطور الذي اعتبروه « كائنا سماويا رمزيا مجردا من الذات والشخص » .

الوصول إلى الحكم عن طريق الاغتيال :

كانت الطبقة الأرستوقراطية في مبدأ الأمر غالبا ما تتزعم الأحزاب السياسية اليابانية التي ندر أن تمتعت بالقوة أو الشعبية . ولما أصبح هارا — وهو من أبناء الشعب — رئيسا للوزارة في سنة ١٩٢٠ اغتاله أحد الوطنيين المتطرفين . وفي سنة ١٩٣٠ اغتيل هاماجوشي رئيس الوزارة وكان هو الآخر من أبناء الشعب ، ثم توالت الاغتيالات السياسية منذ ذلك الحين . ولم يخلف هاما جوشي زعيما قويا لحزب مينسيبتو يقوم بتأييد شيديهارا ، وكانت النتيجة أن أصبحت السياسة الخارجية اليابانية في أيدي القوات المسلحة التي بدأت غزو منشوريا . وأعقب ذلك أن جماعة من غلاة الوطنيين وصغار ضباط الجيش والبحرية أرادوا إحراز سيطرة سياسية كاملة على الحكومة فارتكبوا عدة اغتيالات انتهت بقتل إينوكاي رئيس وزراء اليابان ، ولكنهم لم يحققوا أغراضهم ، وزادوا سمعة الحكومة الحزبية سوءاً بإظهار عجزها .

الانقلاب العسكري سنة ١٩٣٦ :

ضاعف الوطنيون المتطرفون والعسكريون دعايتهم بعد اغتيال « إينوكاي » ولكنهم لجأوا إلى أعمال الإرهاب عندما فشلوا في انتخابات سنة ١٩٣٦ أمام حزب مينسيبتو فقاد جماعة من صغار الضباط ١٤٠٠ جندي للاستيلاء على المباني العامة في قلب طوكيو ، ومحاولة اغتيال هيئة الوزارة كلها ، وكذلك السياسي العجوز سايونجي . وقد ذهب عدد من هؤلاء ضحية الاغتيال ، ولكن سايونجي وأوكادا

رئيس الوزراء نجوا من الموت . وأدى هذا العمل إلى زيادة الحط من سمعة الأحزاب السياسية برغم فشل المتآمرين فى تحقيق غرضهم ، وفقد الجيش الثقة فيه بصفة مؤقتة ، وذاعت أسماء الضباط المذنبين الذين ارتكبوا هذا الحادث والحوادث السابقة بين الشعب فاعتبرهم من الوطنيين المخلصين رغم أن بعضهم قد نفذ فيه حكم الإعدام .

فوز العسكريين :

فشل العسكريون والفاشيون فى انتخابات سنة ١٩٣٧ ولكن اتساع الحرب الصينية اليابانية ضمن لهم التفوق السياسى ضمانا تاما . وفى سبتمبر سنة ١٩٣٧ صدر « قانون تعبئة المؤن » فزاد كثيرا من سيطرة الحكومة على الاقتصاد اليابانى ، وأنشئت فى الشهر التالى هيئة أركان حرب إمبراطورية لتضع الأوامر العسكرية مسايرة لأوقات الحرب . وفى أوائل سنة ١٩٣٨ صدر « قانون التعبئة القومية » الذى اعتبر البلاد كلها فى حالة استعداد للحرب . ولم يكن للدكتاتورية العسكرية التى نتجت عن هذا الوضع رجل واحد أو مجموعة من الرجال فى مركز التوجيه ، بل كانت دكتاتورية تتألف من ضباط الجيش اليابانى الذين كانوا يحاولون دائما السيطرة على الجيش والحكومة ، وهدفهم الأكبر هو دفع اليابان إلى مركز السيادة فى شرق آسيا .

الدكتاتورية العسكرية :

لم يؤد حل الأحزاب السياسية سنة ١٩٤٠ إلى إنهاء معارضة الدكتاتورية ، فنظم العسكريون « حركة البناء القومى الجديدة » لتضع السيطرة العسكرية يدها على موارد اليابان وعلى حياة أفراد الشعب اليابانى وأسسوا « اتحاد مساعدة الحكم الإمبراطورى » وجعلوا زعماءه من كبار رجال الحكومة ، وكان الغرض من هذا الاتحاد هو تعبئة جميع القوى اليابانية عمليا عن طريق المجالس المحلية ، وهكذا أدمجت كل الجمعيات الوطنية فى هذا الاتحاد .

التطورات الاقتصادية :

كان العقد السابق لبيرل هاربور Pearl Harbour فترة تغير اقتصادى سريع فى اليابان ، فإنه بعد أن بدأ الكساد العالمى سنة ١٩٢٩ تدهورت أسواق الحرير اليابانية الذى كان يعتبر أهم صادراتها ، ومع ذلك فقد زاد إنتاج المنسوجات بوجه عام . أما الصناعات المعدنية والآلات والمنتجات الكيماوية فقد اتسعت اتساعاً كبيراً ، وتنوعت الصناعات ، وأصبحت اليابان منافساً خطيراً فى الأسواق العالمية فى كل أنواع المنتجات الصناعية خصوصاً بعد أن زادت مقدرتها الصناعية ، وهبطت قيمة « الين Yen » اليابانى ، ولكن برغم زيادة الصادرات كانت مشتريات اليابان من الخارج أكثر من مبيعاتها له ، كما أدت الطلبات المتتابعة التى استلزمتها حرب الصين إلى زيادة التفاوت بين المشتريات والمبيعات الخارجية . ولذلك كان هناك اتجاه قوى بعد سنة ١٩٣٠ لإيجاد توازن بين الانتاج والاستهلاك الصناعى ، بإدماج الشركات الصناعية وتكوين الاحتكارات ، بعد أن كان أكثر من نصف المشتغلين بالصناعة فى اليابان يعملون فى مصانع صغيرة تستخدم خمسة من العمال أو أقل . وقد عزز هذا الاتجاه نحو التوازن الصناعى « قانون تنظيم الشركات التى تصنع سلعاً للتصدير » وأشرف على تنفيذ هذا القانون مكتب التوازن الصناعى .

المشاكل المتعلقة بالأراضى الزراعية :

ظل أغلب اليابان بلداً زراعياً على رغم التقدم فى التصنيع ، ومع كل فقد تحقق هذا التصنيع على حساب الفلاح . فلم يكن الفلاح اليابانى ليتمتع بالرخاء ، وزاد من فقره ذلك الكساد الذى تلا الحرب العالمية الأولى ، وهكذا لم يحظ بنصيب من تلك النسبة الضئيلة من الرخاء التى تمتعت بها اليابان ؛ فقد أدى برنامج الحكومة للاستقرار الاقتصادى إلى منع ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية أثناء السنين ذات المحصول الردىء ، ولكنه فشل فى رفع هذه الأسعار أثناء السنين ذات المحصول

الوفير . ولقد كان تنظيم الجمعيات التعاونية الريفية صدى للمشاكل الزراعية ، ففى سنة ١٩٣٠ وضعت الحكومة مشروع السنوات الخمس لتشجيع الحركة التعاونية ، وساهمت فى إعداد القروض الزراعية فأقرضت المصارف والجمعيات التعاونية مبالغ لتساعدها فى تقديم قروض للمزارعين ، وبرغم هذه الاجراءات ظل البؤس منتشراً فى الريف اليابانى ، ونقصت المنتجات الغذائية . ومن بين الأسباب التى أدت إلى هذا النقص تجنيد الرجال ، وطلبات الصناعة المتزايدة للأيدى العاملة ، ونقص كميات المخصبات الزراعية ، وبعض الارتباكات الأخرى التى سببتها الحرب .

الاتجاهات الاشتراكية :

أدت التطورات الصناعية والزراعية فيما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ إلى تقوية الاتحاد بين جماعات العمال الزراعيين والصناعيين . ولم تنظر حكومة يسيطر عليها العسكريون أو الاحتكاريون « Zaibatzu » بعين الارتياح إلى نمو هذه الحركة الاتحادية ، ولذلك فإنه بعد أن وصلت الحركة إلى أعلى درجة من القوة حوالى سنة ١٩٣٦ أخذت فى الاضمحلال السريع بعد أن شددت الحكومة ذات العقلية الفاشية قبضتها تدريجياً على الأيدى العاملة فى اليابان لمواجهة مطالب الحرب ، فقد سيطرت الحكومة بمقتضى قانون التعبئة العامة سنة ١٩٣٨ على الأجور وساعات العمل ، وفى سنة ١٩٤٠ حلت نقابات العمال وأدرج أعضاؤها فى « رابطة خدمة الدولة » التى ترعاها الحكومة . ومع أن الطبقة العاملة فقدت مقدرتها على المساومة من أجل حقوقها ، فقد زادت تشريعات الضمان الاجتماعى فى هذه الفترة ، ومن بينها التأمين الإجبارى الحكومى الذى يشمل الرعاية الطبية وحق العلاج فى المستشفيات ورعاية المسنين والمتقاعدين وحالات الوفاة . وقد زاد من هذه المشروعات الحكومية قيام عدة جمعيات للمعونة المتبادلة قدمت خدمات مشابهة .

الإشراف على النشاط الفكرى :

كان من نتائج التطرف فى الوطنية باليابان أن زادت القيود على حرية الرأى والصحافة والفكر ، و بسط العسكريون ذوو العقلية الاستبدادية سيطرتهم على التعليم سنة ١٩٣٨ ، فاختاروا لوزارة المعارف اليابانية البارون ساداو أراكى وزير الحربية السابق . وعمدوا إلى صبغ التعليم بصبغة عسكرية ، فأدخلوا التدريب العسكرى فى المدارس سنة ١٩٣٨ ، وأصبح النظام أكثر صلابة ، واشتد الاهتمام بالقومية والكودو (الطريق الإمبراطورى) وضعف شأن المذهب الفردى ، ووجه اهتمام خاص إلى احترام الإمبراطور فى المدارس لمعارضة النفوذ الدينى الأجنبى وتعزيز الوطنية . وفى سنة ١٩٤٠ صدر قانون التنظيم الدينى الذى منح وزير المعارف سلطات واسعة على جميع الطوائف الدينية ، وخلال العقد الرابع من القرن العشرين وخاصة بعد سنة ١٩٣٧ زادت الرقابة على الصحف والإذاعة والسينما شدة وصلابة مع أن اليابان لم تخل منها يوما ما .

الحرب الصينية اليابانية ١٩٣٧ — ١٩٤١

استئناف الأعمال العدائية :

بعد هزيمة العسكريين اليابانيين فى انتخابات ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ظهر أن الدكتاتورية العسكرية المنشودة لا يمكن الوصول إليها إلا بحرب خارجية . وقد كان شيانج كاى شيك فى الصين يبنى قواه العسكرية بسرعة ، كما ظهر أنه على وشك الاتحاد مع الشيوعيين ضد اليابان . أما بريطانيا والولايات المتحدة فقد أخذت عداوتهما للروح العسكرية اليابانية فى الازدياد المطرد . وقد خبرت اليابان وسائل الدفاع الروسية فى منغوليا وسيبريا فثبت لها أنها بلغت من القوة حد الخطر . وفوق ذلك انضمت اليابان إلى ألمانيا و إيطاليا فى ميثاق مكافحة الشيوعية الدولية .

وفى يوليو سنة ١٩٣٧ ادعت القوات اليابانية فى بيكين — وقد زادت كثيرا عما اقتضته المعاهدات — أن القوات الصينية هاجمتها فى أثناء قيامها بالمناورات ، ورفضت اليابان أن تعتبر المسألة حادثا محليا ، فزحفت الجيوش اليابانية على عجل لاحتلال منطقة بيكين — تينتسن واحتلال إقليم سووى يوان قبل نهاية أغسطس ، أما فى شانسى فقد وقف زحفهم « جيش الطريق الثامن الشيوعى » الذى انضم أخيرا إلى القوات الوطنية .

احتلال نانكنج :

فى أغسطس سنة ١٩٣٧ اتخذ اليابانيون حادثا آخر ذريعة لمهاجمة شنغهاى ، وللمرة الثانية دون إعلان للحرب قام الأسطول اليابانى بضرب المدينة بالقنابل ، وأنزل بها عدداً كبيرا من الجنود ، وقد تجنب اليابانيون الأحياء الأجنبية واستطاعوا بقواتهم المتفوقة أن يردوا المدافعين الصينيين إلى الخلف ، وكان تقهقر شيانج بطيئا ، ولكنه لم يحاول أن يقف أمام اليابانيين فى معركة نهائية . وبعد سقوط شنغهاى فى نوفمبر زحف اليابانيون نحو أعالى النهر فاحتلوا نانكنج فى الشهر التالى ، وفى هذا الوقت كانت قوات الدفاع الصينية قد وهنت عزيمتها وكان من المستطاع أسرها أو القضاء عليها لو أن القوات اليابانية المنتصرة لم تنهمك فى الاعتداء على الأعراض والنهب والتدمير ، فتهيأت الفرصة لشيانج كاى شيك كى يعيد تنظيم قواته ويقوم بانسحاب منظم .

التقهقر إلى تشونجكنج :

نقلت العاصمة إلى هانكاو قبل سقوط نانكنج ، ولم يحل أكتوبر إلا وقد أصبح من الضرورى نقل العاصمة مرة أخرى إلى تشونجكنج ، إذ أن اليابانيين تقدموا نحو أعالى نهر يانجتسى للاستيلاء على هانكاو . وفى نفس الوقت استولى الغزاة على ميناء كانتون ، وهكذا لم تحل نهاية سنة ١٩٣٨ حتى استطاع اليابانيون التوغل فى داخل الصين من الجنوب والوسط والشمال ، كما استولوا على أهم الموانى والمدن والمراكز الصناعية ، وسيطروا على أغلب السكك الحديدية الهامة . ولكنهم من ناحية أخرى

فشلوا فى انزال هزيمة ساحقة بالقوات الوطنية التى بدأت تدافع عن أراض وعرة يضعف فيها أثر قاذفات القنابل والدبابات . أما الاستيلاء على نانكنج فقد كان نصرا أجوف ولم يكن له من أثر إلا ازدياد مقاومة الصينيين . وقد هاجر إلى داخلية البلاد ملايين من العلماء الصينيين والأساتذة والطلبة والعمال والزراع حاملين الآلات المحطمة وكل المعدات اللازمة والكتب والممتلكات الشخصية لكى يعيدوا إنشاء المصانع والمدارس فى منطقة تشونجكنج .

التوقف العسكرى :

لم يحرز اليابانيون بعد سنة ١٩٣٨ إلا انتصارات ضئيلة ، ولم تحل سنة ١٩٤٠ حتى استولوا على ممر يمتد على طول نهر يانجتسى حتى إيتشانج ، كما وسعوا دائرة سيطرتهم على الساحل فسقطت جزيرة هاينان سنة ١٩٣٩ فى أيديهم ، ولكنهم لم يستطيعوا فى أى وقت أن يستولوا على الساحل الصينى بأجمعه عدا الجزء الواقع فى شمال الصين ، وبرغم ما بذلوا من جهود قوية فإنهم عجزوا عن السيطرة الكاملة على سكة حديد كانتون — هانكاو أو سكة هانكاو — بيكين . وفى نوفمبر سنة ١٩٣٩ أحرز الصينيون نصراً كبيرا وقف تقدم اليابانيين عند تشانجشا ، وفى العام التالى طرد اليابانيون من إقليم كوانجسى .

وقد عمد الصينيون إلى حرب العصابات بعد معركة هانكاو ، فجعلوا بذلك سيطرة اليابان على الأقاليم التى فتحتها فى خطر مستمر . وفى هذا النوع من الحرب كان للشيوعيين مركز الزعامة ، وقد استطاعت قوات صينية كبيرة يعززها الفلاحون الصينيون أن تعمل وراء خطوط اليابانيين فترة طويلة من الزمن .

النظام الجديد فى شرق آسيا :

فى سنة ١٩٣٨ أعلنت الحكومة اليابانية أنها اعتزمت إنشاء « نظام جديد » فى آسيا الشرقية يشمل الصين ومنشوكو واليابان ، وتكون مساهمة الصين فى هذا

النظام بتبادل المنتجات الصناعية اليابانية بما لديها من المواد الأولية ، على أن تطهر حكومتها أولا من العناصر المناهضة لليابان . ولما رفض الكومنتانج قبول الصلح على هذا الأساس أقام اليابانيون حكومة صينية خاضعة لمشيئتهم تنفذ مطالبهم ؛ ففي سنة ١٩٣٧ بدأوا اتصالاتهم مع وو پي—فو ليرأس الحكومة الجديدة ، ولكنه مات قبل إنشائها ، وأخيرا — لأسباب لم تعرف تماما بعد — قبل وانج تشنج وي الصديق القديم للدكتور صن يات سن ومنافس شيانج كاى شيك ذلك الشرف المريب ، فرأس حكومة في نانكنج يسيطر عليها اليابانيون . وحاول يانج أن يواصل تنفيذ مبادئ صن يات سن بتكوين كومنتانج مزيف تحت سلطان اليابان ، ولكنه وجد نفسه آلة مسخرة في أيدى حكومة طوكيو ، ومن حسن حظه أنه مات سنة ١٩٤٤ قبل أن تحل باليابان الهزيمة .

صدى المغامرة اليابانية في الولايات المتحدة :

كانت حكومة الولايات المتحدة محايدة من الناحية الرسمية ، ولكنها في الحقيقة ساعدت الصين بتجنبها التقيد بقوانين الحياد الصادرة في عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٧ بحجة أن الحرب لم تعلن . وفي أكتوبر سنة ١٩٣٧ ألقى روزفلت خطابا اقترح فيه فرض حصار دولى على الدولة المعتدية ، ولكن الرأى العام لم يستجب إليه . وفي نوفمبر سنة ١٩٣٧ اشتركت الولايات المتحدة مع ثمانى عشرة دولة أخرى بمؤتمر بروكسل في استنكار أعمال اليابان باعتبارها دولة معتدية ، منتهكة للمعاهدات . وفي الشهر التالى ألقت الطائرات اليابانية قنابلها عمداً على عدة سفن أمريكية في نهر يانجتسى وأغرقتها وكانت من بينها السفينة الحربية باناى ، ورغم كل ذلك لم تثر ثائرة الرأى العام الأمريكى واقتصر عمل الحكومة على المطالبة بالتعويض والاعتذار فأجابت اليابان طلبها .

تقديم المساعدات للصين :

عندما أعلنت اليابان « النظام الجديد » فى عام ١٩٣٨ أرسلت الولايات المتحدة إلى حكومة طوكيو تحذيرا مشددا فحواه أنها لن تقبل إلغاء سياسة الباب المفتوح إذا صدر هذا الإلغاء من جانب واحد . وفى يوليو سنة ١٩٣٩ أرسلت حكومة واشنطون إخطاراً إلى اليابان بأنها تنوى إنهاء المعاهدة التجارية القائمة بينها و بين حكومة اليابان منذ سنة ١٩١١ فى المهلة القانونية أى قبل انتهاء الاتفاق بستة أشهر ، وقد أعطى هذا الإجراء للولايات المتحدة الحرية فى تقييد علاقاتها التجارية مع اليابان أو إنهائها ، ورغم أن حظر التصدير لم يكن قد أعلن ، وأن القيود قد فرضت على شحن قراضة الحديد « الحديد الخردة » والبنزين فقط ، فقد ضمنت الصين مزيدا من العون المباشر فى صورة قروض . ففى ديسمبر سنة ١٩٣٨ قدم بنك التصدير والاستيراد قرضا قدره خمسة وعشرون مليون دولار لتمويل مشتريات الصين فى أمريكا ، وأضيف مثل هذا المبلغ سنة ١٩٤٠ ، وكان رد أمريكا على انضمام اليابان للتحالف الثلاثى مع ألمانيا و إيطاليا أن قدمت للصين اعتمادات إضافية قدرها مائة مليون دولار ، كما حذرت اليابان قائلة إن أى تحالف دولى لن يحول دون استمرار هذه المساعدات .

مقدمات بيرل هاربور :

كان العام السابق لحادثة بيرل هاربور عام مناورات سياسية فاشلة بين الولايات المتحدة واليابان ، فقد سيطرت اليابان على الهند الصينية بمساعدة ألمانيا بعد انهيار فرنسا ، ومن الهند الصينية فرضت إرادتها على سيام تارة بالرشوة وتارة بالضغط ، كما حملت على حكومة فيشى كى تتنازل لسيام عن بعض أجزاء من لاوس وكمبوديا .

و بعد أن احتلت اليابان الهند الصينية شددت الولايات المتحدة القيود على الاتجار معها ، وأصدرت أوامرها بإعادة الجنرال دوجلاس ماك آرثر بعد اعتزاله الخدمة وتعيينه قائدا لقوات الولايات المتحدة فى الفلبين . واجتمع روزفلت وتشرشل على بعد من

نيوفوندلاند وأصدرا ميثاق الأطلنطى ، كما عين الجنرال توجو رئيسا للوزراء فى اليابان . وفى أكتوبر سنة ١٩٤١ اشترك سابورو كوروسو الذى سبق أن وقع التحالف الثلاثى باسم اليابان مع السفير نومورا فى إجراء مفاوضات مع حكومة واشنطون . وكان العرض اليابانى للصلح يقتضى رفع الولايات المتحدة للقيود التى فرضتها على الاتجار مع اليابان ، والموافقة الضمنية على شروط الصلح التى تمليها اليابان على الصين . وفى مقابل ذلك تجلو القوات اليابانية عن جنوب الهند الصينية كما تمنع هذه القوات من احتلال بقية جنوب شرق آسيا . وردت الولايات المتحدة بتقديم عرض يتضمن عقد معاهدة عدم اعتداء ، وعودة التبادل التجارى ، مع منح امتيازات تجارية إذا قبلت اليابان الانسحاب من المناطق التى احتلتها منذ سنة ١٩٣١ . ولما لم يستطع الطرفان الوصول إلى اتفاق فقد ناشد روزفلت بنفسه إمبراطور اليابان أن يعمل من أجل السلام . وفى صباح اليوم التالى ضربت بيرل هاربور والمنشآت الأخرى التابعة للجيش والأسطول الأمريكى ضربا عنيفا بالقنابل من الطائرات اليابانية التى كانت تنطلق من حاملات الطائرات .

العلاقات بين اليابان وأوربا :

برغم أن روسيا باعت استثماراتها فى سكة حديد منشوريا إلى اليابان فقد تكررت حوادث الحدود بين البلدين . وفى سنة ١٩٣٨ وصل النزاع إلى ذروته ، فنشبت بينهما معركة دامت عشرة أيام اشتركت فيها الطائرات والدبابات ، وبعد ذلك بما يقل عن عام نشبت بينهما معركة أخرى أشد عنفا من سابقتها اشتركت فيها عدة فرق عسكرية ، وقد أثبتت روسيا فى هذه المعارك قوتها العسكرية ، وعندما عرضت على اليابان تسوية المشاكل بينهما بعد بدء الحرب فى أوربا «سبتمبر سنة ١٩٣٩» لم يسع اليابان إلا القبول . وفى أوائل سنة ١٩٤١ عندما علمت اليابان بالهجوم الألمانى المدبر ضد روسيا وقعت مع روسيا اتفاقية حياد ، وفى مقابل توقيع هذه الاتفاقية تنازلت عن حقها فى التعدين فى سخالين الروسية .

وكانت العلاقات بين فرنسا واليابان قد ساءت بسبب تسرب الأسلحة من الهند

الصينية إلى الصين الوطنية قبل انهيار فرنسا ، فلما انهارت فرنسا أرادت اليابان أن تنتقم لنفسها فاحتلت جزيرة هاينان و بعض الأقاليم الصينية بمنطقة المصالح الفرنسية . وفى سبتمبر سنة ١٩٤٠ وقعت اليابان التحالف الثلاثى فى برلين ، و بمقتضاه اعترفت اليابان بحق ألمانيا و إيطاليا فى تقرير مصير أوربا ، وفى مقابل ذلك تعترف الدولتان بأطماع اليابان فى فرض نظامها الجديد بشرق آسيا .

وقد أرهقت اليابان بريطانيا فى آسيا بعد أن اشتبكت فى حروبها الأوربية ، فضربت الحصار حول منطقة الامتيازات البريطانية فى تينتسن بحجج تافهة ، وذلك انتقاما من بريطانيا لسماحها بوصول المساعدات إلى الصين عن طريق بورما وهنج كنج . وفى يوليو سنة ١٩٤٠ أقفل تشرشل طريق بورما على غير رغبة منه ، ولكنه أعاد فتحه بعد احتلال اليابان للهند الصينية ، وقام بتعزيز الحاميات البريطانية فى شرق آسيا وفى سنة ١٩٤١ ألغت بريطانيا والممتلكات البريطانية المستقلة « الدومنيون » معاهداتها التجارية مع حكومة طوكيو .

تابع المراجع

الصراع من أجل شمال الصين	(١٩٤٠)	Taylor, G. E.
مغامرة اليابان فى الصين	(١٩٣٨)	Utley, F.
لخص قضية اليابان	(١٩٤٠)	Willoughby, W. W.
اليابان الإمبراطورية (١٩٢٦ — ١٩٣٨)	(١٩٣٨)	Young, A. M.
أزمة الشرق الأقصى	(١٩٣٦)	Stimson, H. L.
معركة آسيا	(١٩٤١)	Snow, E.
النجم الأحمر فى سماء الصين	(١٩٣٨)	» »
أول عمل عسكرى فى الصين	(١٩٣٨)	rtram, J. M.
الاحتلال اليابانى للصين	(١٩٣٨)	Bisson, T. A.
الوصول إلى الحكم عن طريق الاغتيال	(١٩٤٢)	Bayas, H.
اليابان تتطلع إلى السيطرة على آسيا	(١٩٤٣)	Chamberlain, W. H.

مجموعة الرسائل التى أصدرها القائد الأعلى شيانج كاى شيك أثناء الحرب	(١٩٤٦)	Chiang — Kai — Shek
كتاب الصين (١٩٣٧ — ١٩٤٣)	(١٩٤٣)	وزارة الاستعلامات Ghina
الروح العسكرية فى اليابان	(١٩٣٦)	Colegrove, K.
روسيا السوفيتية والشرق والأقصى	(١٩٤٨)	Dalin, D. J.
عشر سنوات فى اليابان	(١٩٤٤)	Grew, J.
فى قلب آسيا	(١٩٣٩)	Gunther, J.
الشرق الأقصى وسياسة العالم	(١٩٣٩)	Hudson, G. F.
الولايات المتحدة « والنظام اليابانى الجديد »	(١٩٤١)	Johnstone, W. C.

الفصل الثالث عشر

الحرب العالمية الثانية

التقهقـــــر

بيرل هاربور Pearl Harbour :

كان هناك احتمال قوى لهزيمة الروس بأوربا فى خريف سنة ١٩٤١ ، وكان لهذا الاحتمال تأثيره على موقف اليابان تجاه الولايات المتحدة ؛ فإنه عندما أصبح الجنرال توجو رئيسا للوزارة فى أكتوبر تكلم عن « الصلح المقرون بالعدالة » ولكن الصحف اليابانية توقعت الحرب . وفى نوفمبر أعلن تشرشل تضامن بريطانيا مع الولايات المتحدة فى حالة وقوع حرب مع اليابان . وعندما وصل كوروسو إلى واشنطون فى ١٥ نوفمبر لإجراء مفاوضات الصلح كان فى البحر أسطول يابانى على استعداد للحرب . ولم تكن معدات الدفاع الأمريكى كافية رغم أن القيادة العسكرية أخطرت فى ٢٤ و ٢٧ نوفمبر باحتمال هجوم مفاجىء ، وأن الحرب وشيكة الوقوع . وفى ٧ ديسمبر تقدمت وحدة بحرية يابانية إلى مكان تستطيع منه إصابة الهدف دون أن يشعر بوجودها أحد ، ورغم أن غواصة يابانية صغيرة كانت قد أغرقت على بعد من بيرل هاربور فى الساعة السابعة صباحا ، وأن عامل الرادار اكتشف اقتراب طائرات ، فلم يسمع صوت الإنذار بالخطر ، فإنه بعد بضع ساعات من الهجوم الأول فى الساعة السابعة والدقيقة الثامنة والأربعين صباحا استطاع السلاح الجوى اليابانى أن يدمر ٩٥٪ من القوة البحرية والجوية فى هواىى ويجعلها غير صالحة للعمل مؤقتا ، كما قتل وجرح نحو أربعة آلاف رجل ، ولم تفقد اليابان فى هذه المعركة سوى مائة طائرة وخمس غواصات صغيرة .

الحرب فى جنوب شرق آسيا :

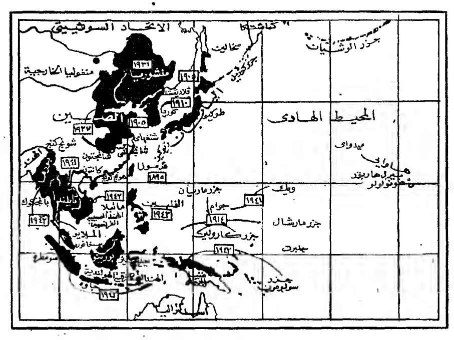
لقد أعلنت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة إذ ذاك الحرب كما كان متوقعا ، وأعجز الهجوم اليابانى على بيرل هابور القوة البحرية الأمريكية عن العمل ، بينما غزا اليابانيون جزيرة جوام وجزر الفلبين والملايو وجزر الهند الشرقية ، وكان أمل اليابان أن تثبت أقدامها هناك بحيث ترغم أمريكا على قبول الصلح بشروط فى صالحها خصوصا أن أمريكا تورطت كثيرا فى الحرب الأوربية . وقد حققت اليابان انتصارات لا يتصورها العقل فى مدى أربعة أشهر من الهجوم ، فسقطت جزيرة جوام فى يدها يوم ١٣ ديسمبر ، وسقطت جزيرة ويك Wake بعد ذلك بعشرة أيام ، وأرغمت القوات الأمريكية على تسليم الفلبين فى ٩ أبريل برغم قيامها بحملة من البطولة أجلت الغزو بعض الوقت ، ولم يرحل الجنرال ماك آرثر بقواته إلى أستراليا إلا بعد أن صدرت إليه الأوامر من الرئيس روزفلت .

تقهقر بريطانيا :

لم تكن حالة الممتلكات البريطانية خيرا من الأمريكية ، فقد هوجمت هنج كنج فى ٧ ديسمبر ، وسلمت يوم عيد الميلاد ، أما الأسطول البريطانى فى الشرق الأقصى فقد أصابه العجز بعد أن فقد البارجتين الحربيتين برنس أوف ويلز وربلس Repulse فى ١٠ ديسمبر . وعجلت اليابان بغزو سيام ، وتقدم اليابانيون منها إلى شبه جزيرة الملايو ثم إلى سنغافوره ، وقد سلمت هذه القاعدة البحرية المنيعة ومن فيها من جنود بلغ عددهم ٧٥ ألفا إذ لم يكن بها استعداد لمواجهة أى هجوم برى ، أما فى بورما فإن الطابور الخامس البرمانى « نسبة إلى بورما » النشيط عرقل جهود القوات العسكرية القليلة المبعثرة فى أنحاء البلاد ، فسقطت رانجون فى ١٠ مارس وواصلت قوات الحلفاء تقهقرها رغم أنها كانت تحت إمرة القائد الكسندر البريطانى والقائد ستلول Stilwell الأمريكى ، لأنها كانت ضعيفة فى الرجال والمعدات الحربية ، ولم ينتصف عام ١٩٤٢ حتى قطع طريق بورما وفقدت بريطانيا معظمها .

غزو جزر الهند الشرقية :

هاجم اليابانيون جزر الهند الشرقية الهولندية أثناء غزو الملايو ، وقد كان أمل الحلفاء أن يعطلوا الزحف اليابانى بقوات برية وبحرية وجوية غير كافية ، ولكن لم يقترب شهر مارس من نهايته حتى كانت غالبية جزر الهند الشرقية فى قبضة اليابانيين ، رغم أنهم فقدوا ما يقرب من نصف أسطولهم الغازى . وفى أبريل كان اليابانيون يستعدون لفتوح جديدة فى اتجاه بورت مورسبى فى غينيا الجديدة ، ولكن سربا من الطائرات الأمريكية التى نقلتها حاملات الطائرات أوقع بالأسطول اليابانى خسائر بلغ من فداحتها أن أوقفت تقدم القوات اليابانية فى الجنوب .



مدى اتساع الإمبراطورية اليابانية حتى ديسمبر سنة ١٩٤٣

تجدد الهجوم على الصين :

أعلنت الصين الحرب على قوات المحور « إيطاليا — ألمانيا — اليابان » بعد حادثة بيرل هار بور مباشرة ، و بذلك أوجدت حالة حرب قانونية بينها و بين اليابان ، بعد أن كان ما جرى فى عشر سنوات يعتبر « حوادث » فقط . وفى نفس الشهر قامت اليابان بعمليات عسكرية واسعة النطاق للاستيلاء على تشانجا ، وبذلك تصبح سيطرتها تامة على سكة حديد هانكاو — كانتون ، فدكت تشانجشا دكا ، ولكن الصينيين صمدوا فى الدفاع واستطاعوا أن يحرزوا نصراً عظيما فى الوقت الذى عمت فيه الهزيمة جميع حلفائهم .

تقدم الحلفاء

القفز من جزيرة إلى جزيرة :

كانت معركة بحر المرجان نهاية تقهقر الحلفاء ، وقد أدرك اليابانيون هذه الحقيقة بعد ذلك بشهر عندما أصيب أسطول الغزو اليابانى بهزيمة ساحقة وهو فى طريقه إلى جزيرة ميدواى Midway . وفى ٧ أغسطس سنة ١٩٤٢ بدأت قوات الحلفاء فى المحيط الهادى تتخذ خطة الهجوم ، بغزو وادى القنال Guadal canal وتطلب الموقف ستة أشهر من القتال المرير برا و بحرا وجوا للحصول على تلك القاعدة التى كانوا فى أشد الحاجة إليها ، ولكنهم ما لبثوا أن أحرزوها حتى أصبحوا يتقدمون قفزا من جزيرة إلى جزيرة بطريقة هى أقرب إلى الخيال .

وفى منتصف سنة ١٩٤٣ شددت وحدات الحلفاء قبضتها على غينيا الجديدة واستولت القوات البحرية الأمريكية على عدة جزر استراتيجية من جزر جيلبرت أثناء فصل الخريف ، بينما حطمت هجمات الحلفاء البحرية والجوية فى الجنوب قوات اليابان الجوية والبحرية ، واسترد الحلفاء فى مايو وأغسطس سنة ١٩٤٣ جزيرتى آتو وكيسكا Attu,Kiska من جزر الوشيان التى كانت اليابان قد استولت عليها .

وفى أوائل سنة ١٩٤٤ أصبحت قوة الحلفاء كاسحة ، فسقطت فى أيديهم « كواجالين » من جزر المارشال وضربت « تروك » القاعدة البحرية الرئيسية لليابان فى جنوب المحيط الهادى ضربا عنيفا بالقنابل ، وفى يونيو ويوليو وأغسطس تم الاستيلاء على جوام وسايبان وتينيان من مجموعة جزر كارولين بعد معارك دموية ، وجدد الجنرال ماك آرثر هجومه فى الجنوب أثناء هذه الفترة فاستولى على هولنديا فى غينيا الجديدة الهولندية فى أبريل سنة ١٩٤٤ ، كما مهد الطريق لغزو الفلبين الاستيلاء على بليليو فى بالاوس .

العودة إلى الفلبين :

فى ٢٠ أكتوبر أنزل الحلفاء فى ليتى Leyte بوسط الفلبين ربع مليون من الجنود ، وقد خسرت اليابان أغلب ما بقى من أسطولها فى محاولتها صد هذا الغزو ، وفى أثناء حملة ليتى تم غزو ميندورو وماريندوكى ، وفى ٩ يناير سنة ١٩٤٥ نزلت القوات الأمريكية قرب مانيلا ، ولم ينتصف فبراير حتى كانت لوزون فى قبضتها تماما وإن كانت بعض الجيوب اليابانية ظلت تقاوم عدة أشهر .

الهجوم على اليابان :

بعد استسلام كورجيدور مباشرة ، وهى آخر معقل لليابانيين فى الفلبين تم الاستيلاء على إيووجيمو إحدى جزر بونين الواقعة على مرمى قذيفة من اليابان بعد معركة من أعنف المعارك الدامية فى المحيط الهادى ، وفى الغزو التالى لجزيرة أوكيناوا تجدد الصراع الدموى على نطاق واسع بعد أن أضيف إليه استخدام الكاميكازى Kamikazes وهى قاذفات القنابل الانتحارية اليابانية ، وبعد ثلاثة أسابيع من انهيار قوى الدفاع اليابانية فى جزيرة أوكيناوا ألقت أساطيل الحلفاء قنابلها على وسائل الدفاع اليابانية فى جزر اليابان نفسها فضربت هونشو وهوكايدو بما فيها منطقة طوكيو .

الحرب الجوية ضد اليابان :

بكر الجنرال دولتل Doolittle فى أغسطس سنة ١٩٤٢ بالهجوم الجوى على اليابان بطائرات تنطلق من حاملات الطائرات ، ولكن لم تبدأ الغارات الجوية على نطاق واسع فوق الجزر اليابانية إلا فى منتصف سنة ١٩٤٤ حيث استخدم الأمريكيون طائرات من طراز ب ٢٩ .

وفى يوليو سنة ١٩٤٥ ضمت قوة طائرات الحاملات إلى قوة القلاع الطائرة الضخمة ، وأضيفت القوة التدميرية التى تحدثها القنابل Concussion-type bombs إلى قوة القنابل الحارقة التى حولت المدن اليابانية المبنية من الخشب والورق إلى لجة من النيران .

الحرب فى القارة :

فى العامين الأولين للحرب لم يكن من المستطاع استخدام قوات كبيرة من الجنود أو تقديم مساعدات كبيرة لميدان العمليات الحربية بين الصين والهند وبورما ، وقد عمدت الهند تحت زعامة غاندى إلى حملة من العصيان المدنى والامتناع عن مقاومة اليابان عندما امتنعت بريطانيا عن منحها استقلالا ذاتيا عاجلا ، كما أن ضياع طريق بورما منع جلب اليد العاملة من الصين ، ولكن بالرغم من هذه العقبات قام الحلفاء فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ بهجوم فاشل بسبب الأمطار الموسمية .

حملة بورما :

وفى العام التالى درب الجنرال ستلول جيشا صينيا فى الهند وزوده بعتاد حربى أمريكى ، وقد جدد هذا الجيش الصينى الذى عززه المحاربون القدماء من حملات المحيط الهادى هجومه فى أوائل سنة ١٩٤٤ ، وفى نفس الوقت أنشىء طريق الليدو الجديد إلى الغرب من طريق بورما لاستئناف المواصلات مع الصين . ولم تحل باكورة سنة ١٩٤٥ حتى ردّ اليابانيون على أعقابهم مسافة يستطاع بواسطتها إيجاد نقطة

اتصال بين طريق الليدو وطريق بورما ، وقد ساعد فتح هذين الطريقين مساعدة قوية على زيادة مقادير المواد الحربية المنقولة إلى الصين حيث أعيد تنظيم القوات الصينية وجدد عتادها الحربي . وفي أواخر الحرب كان اليابانيون قد طردوا من بورما بشكل يكاد يكون نهائيا .

الصين :

بينما تقدمت الدول المتحالفة في بورما والمحيط الهادى سنة ١٩٤٤ ، فإنها أجبرت على التقهقر في الصين ، فقد رد الصينيون على أعقابهم في عدة جبهات ، ففقدت أمريكا مطاراتها الحربية وأصبحت المواصلات البرية والجوية مع الهند و بورما في خطر . ومع ذلك لم يحل أغسطس سنة ١٩٤٥ إلا وقد بدأت الجيوش الصينية التي أعيد تنظيمها يساعدها السلاح الجوى الأمريكي ترد اليابانيين ، هذا مع أن خوف شيانج كاى شيك من الشيوعيين منعه من الانتفاع بالجيوش الوطنية انتفاعا كاملا .

التطورات الداخلية في اليابان

قبل حادثة بيرل هاربور بشهرين استقالت الوزارة اليابانية التي يرأسها كونو يى أحد نبلاء البلاط ، وتولت الحكم بعدها وزارة يرأسها الجنرال هيديكى توجو ، وقد استطاع توجو أن يحرز من السيطرة على اليابان ما لم ينله أى رجل آخر منذ عصر القواد العسكريين « الشواجنة » ، وذلك من غير أن يصبح دكتاتورا مطلق السلطة . ورغم النزاع الطويل الأمد بين العسكريين والزايباتسو « الاحتكاريون » فإن الضرورات الإقتصادية التي اقتضتها الحرب أرغمت توجو في النهاية على الانتفاع بكبار رجال الأعمال في المناصب الوزارية . وفي سنة ١٩٤٣ عمل توجو كرئيس للوزارة ووزير للحربية والذخيرة ، ورئيس لاتحاد تعزيز الحكم الإمبراطورى ، وذلك لكي يحقق تركيزا أكبر للسلطة .

وقد أرغم توجو على تعديل الوزارة والقيادة العليا ، وأن يتولى بنفسه رياسة هيئة أركان حرب الجيش فى فبراير سنة ١٩٤٤ نتيجة للخسائر التى تكبدتها اليابان بسبب الهجوم الجوى على جزيرة تروك فى فبراير سنة ١٩٤٤ .

سقوط حكومة توجو :

كان من الطبيعى أن تعود اليابان باللائمة على توجو بسبب الهزائم التى منيت بها ، لأنه جمع فى يده كثيرا من السلطة . وفى النهاية تولى رياسة الوزارة كونياكى كويسو بعد أن فقدت اليابان سايبان . وقد أثبتت الأيام أن أقصى مجهودات كويسو لم تكن وافية بالغرض ، ففى أبريل سنة ١٩٤٥ عندما أصبحت الهزيمة ماثلة للعيان بعد ضياع إيورجيمو وإلغاء روسيا لمعاهدة الحياد التى وقعتها مع اليابان ، عهد إلى السياسى المُسِن سوزوكى بتأليف وزارة جديدة لا تقتصر على تمثيل العنصر العسكرى فقط ، ولكن تضم البيرقراطيين ورجال الأعمال .

المشاكل الاقتصادية :

وما وافى عام ١٩٤١ حتى كانت قوى اليابان قد وهنت بعد حروب متقطعة مع الصين دامت عشر سنوات ، وأصبح المنقذ الوحيد من الانهيار الاقتصادى التام هو إيجاد درجة عالية من السيطرة المركزية . ولما كانت اليابان حتى فى أوقات السلم تخضع طاقتها الصناعية إلى حد كبير لسيطرة عدد قليل من الهيئات الصناعية الاحتكارية أطلق عليها اسم « الزايباتسو » فإنها عندما عمدت فى الفترة التى بين ١٩٤١ و ١٩٤٥ إلى إصدار سلسلة من التشريعات لتدعيم السيطرة المركزية على الصناعات الحربية ، فوضعت كثيرا من هذه الصناعات تحت الإشراف المباشر لوزارة الذخيرة — عارضتها فى ذلك الزايباتسو ، وبذلك منعت الحكومة من تنفيذ سياسة التوازن الصناعى تنفيذا كاملا . ورغم الجهود التى بذلتها الحكومة فقد هبط الإنتاج بسبب الحصار الذى ضرب به الحلفاء ، فمنع المواد الخام والأغذية عن اليابان ، وعجلت غارات الحلفاء

الجوية تعجيلا كبيرا بالانهيار الاقتصادى لليابان فقضت على عدة صناعات وجعلت ثلث سكان المدن يعيشون بلا مأوى كما قتلت ٣٣٣ ألفاً من المدنيين .

الآثار الاجتماعية :

لم يكن الرجل العادى فى اليابان حتى قبل حادثة بيرل هاربور يعيش عيشة راضية، ولهذا أصبحت حالته بعدها أسوأ مما كانت عليه ، فقد أدى تضخم النقد إلى ارتفاع أسعار السلع التى لا غنى عنها ، كما فرض نظام دقيق لتوزيع الطعام والكساء بالبطاقات ، وعمدت الحكومة إلى فرض نظام الادخار الإجبارى لكى تقاوم التضخم ، كما عملت على زيادة الضرائب . وظلت المواد الغذائية غير كافية رغم ما قدم من إعانات ومغريات أخرى لتشجيع الإنتاج ، ونقصت اليد العاملة فى الصناعة والزراعة نقصا أجبر الحكومة على تجنيد النساء والأولاد فوق الثانية عشرة للعمل بجانب الرجال ، وأوشك التعليم العالى أن يقف عدا الدراسات العلمية والفنية .

التطورات الداخلية فى الصين

الصين المحتلة :

بسطت اليابان سلطانها على مائتى مليون من الصينيين بواسطة تابعتها حكومة وانج تشنج وى التعسة ، وحاولت أن تفوز بتعاون قلبى من رعاياها بتنازلها عن حق امتداد القوانين وتوقيع معاهدة تحالف مع تابعتها ، ولما فشلت محاولتها فرضت سيطرتها الواسعة على الاقتصاد الصينى بطريق شركات التنمية الاقتصادية فى الصين الوسطى والشمالية ، وبواسطة هذه الشركات استطاعت أن تستغل موارد الصين من الثروة المعدنية . ولجأت إلى التجنيد الواسع النطاق لتمد المناجم والسكك الحديدية والمصانع والزراعة بما يلزمها من الأيدى العاملة ، وأشرفت على التعليم إشرافا دقيقا ، وعملت على نشر اللغة اليابانية والدراسات الثقافية اليابانية ، ومع كل ذلك فقد وجد اليابانيون

بأن تسلم دول المحور بلا قيد ولا شرط ، كما أعلنت تضامنها فى وضع الخطوط الأساسية لمنظمة الأمم المتحدة بعد الحرب .

وقد وافقت الصين بعد ذلك على هذه القرارات . ولما اجتمع تشرشل وشيانج كاى شيك وروزفلت ، بالقاهرة فى نوفبر سنة ١٩٤٣ تم الاتفاق على أنه بعد التسليم غير المشروط تحرم اليابان من جميع ما فتحته منذ سنة ١٨٩٤ وتمنح كوريا استقلالها . و بعد ذلك وضعت خطط جديدة لمنظمة الأمم المتحدة المقترحة فى مؤتمرى دمبرتون أوكس Dumberton Oaks و يالتا .

يالتـــــا :

فى مؤتمر يالتا الذى عقد بين ستالين وتشرشل وروزفلت فى روسيا فى شهر فبراير سنة ١٩٤٥ ، وضعت خطط للقضاء النهائى على ألمانيا النازية واليابان ، ووافقت روسيا على إعلان الحرب على اليابان بعد أن سلمت ألمانيا بثلاثة أشهر ، ولكنها حصلت فى مقابل ذلك على حق احتلال النصف الشمالى من كوريا إلى أن يتم إعلان استقلال كوريا ، أما فى منشوريا فقد حصل ستالين على كثير من الامتيازات التى كانت للقياصرة قبل سنة ١٩٠٤ بما فيها السيطرة على بعض سكك حديد منشوريا وميناءى بورت آرثر ودايرين ، وقد أكدت الصين هذه الامتيازات فى المعاهدة الصينية الروسية التى عقدت فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٥ .

بوتســــدام :

رغم وفاة الرئيس روزفلت فقد افتتح مؤتمر سان فرنسسكو فى موعده المحدد يوم ٢٥ أبريل لوضع ميثاق الأمم المتحدة ، و بعد افتتاح المؤتمر بأربعة أيام سلمت ألمانيا تسليما غير مشروط ، وفى يوليو التالى اتخذ الرئيس ترومان مكانه بين «الأقطاب الثلاثة » فى مؤتمر بوتسدام حيث وقعت الدول المتحالفة الكبرى إنذارا نهائيا بتدمير اليابان تدميرا تاما إذا لم تسلم بلا قيد ولا شرط .

القنبلة الذرية :

لم يوافق سوزوكى رئيس وزراء اليابان فورا على شروط الحلفاء ، رغم أن قوات الحلفاء البحرية والجوية جعلت هزيمة اليابان أمرا لامفر منه ، وفى ٦ أغسطس ألقيت قنبلة ذرية واحدة على مدينة هيروشيما فدمرت أكثرها ، وقضت على ٧٥ ألف نفس ، وشوهت عددا لا يحصى ، وقبل أن تفيق اليابان من هذه الكارثة أعلنت روسيا الحرب عليها فى ٨ أغسطس ، و بدأت تطرد القوات اليابانية من منشوريا . وفى اليوم التالى دمرت قنبلة ذرية أخرى معظم مدينة ناجازاكى بما فى ذلك قاعدتها البحرية وقضت على ٤٠ ألف نفس .

استسلام اليابان :

إذا قدرنا إصرار اليابان على الوقوف بعناد حتى النهاية وما أظهره الجنود اليابانيون من وحشية فى أثناء معركتهم الخاسرة فى إيووجيمو وغيرها ، خالجنا الشك القوى فى احتمال تسليم اليابان دون أن تكلف الغزاة خسائر كبيرة فى الأرواح ، ونتيجة لذلك فإنه عندما عرضت اليابان أن تسلم طبقا لشروط پوتسدام مع الاحتفاظ بشرط واحد فقط هو ألا تتعرض امتيازات الإمبراطور للخطر بادر الحلفاء بالموافقة .

يضاف إلى ذلك أنه كان الاعتقاد السائد أن الإمبراطور وحده هوالذى يستطيع إقناع اليابانيين بقبول الصلح دون صراع جديد ، وقد انتهت المقاومة اليابانية بإعلان إمبراطورى فى ١٤ أغسطس ، ولم يبق إلا بعض جيوب المقاومة المنعزلة ، و بدأ احتلال اليابان فى ٣٠ أغسطس ، و إن كان الجنرال ماك آرثر القائد الأعلى للحلفاء لم يتسلم وثائق استسلام اليابان الرسمية إلا فى أول سبتمبر سنة ١٩٤٥ على ظهر الباخرة الأمريكية ميسورى فى خليج طوكيو ، و بعد ذلك بأسبوع شهدت طوكيو أول عرض لقوات الحلفاء .

تابع المراجع

موجز الحرب العالمية الثانية	(١٩٤٦)	Shug,R.&De Weerd,H,A.
تحدى الصين الحمراء	(١٩٤٥)	Stein, G.
الصين أثناء الحرب	(١٩٤٤)	Stewart, M. S.
مذكرات ستلول	(١٩٤٨)	Stilwell, J. W.
تقرير مختصر عن حملات المحيط الهادى	(١٩٤٦)	نظرة عامة إلى استخدام القنابل في الاستراتيجية الأمريكية
آسيا للأسيويين — المناورات اليابانية أثناء احتلالها للبلاد الآسيوية	(١٩٤٥)	Ward, R. S.
قصف الرعد فى الصين	(١٩٤٦)	White,T. H. & Jacoby,A.
الشنتو — العدو الذى لا يهزم	(١٩٤٥)	Ballou, R. O.
التقهقر مع ستلول	(١٩٤٣)	Beldon, J.
الأقحوانة والسيف	(١٩٤٦)	Benedict, R.
الاقتصاد الحربى اليابانى	(١٩٤٥)	Bisson, T. A.
الانتصار العظيم فى المحيط الهادى من جزر سولومون (سليمان) إلى طوكيو	(١٩٤٦)	Cant, G.
طريق المحارب	(١٩٤٩)	Chennault, C. L.
الاقتصاد اليابانى الحربى والانشائى	(١٩٤٩)	Cohen, J, B.
العلاقات بين الولايات المتحدة والصين	(١٩٤٩)	وزارة الخارجية الأمريكية . مجموعة الشرق الأقصى رقم ٣٠
السلاح الخفى — دراسة الحرب الاقتصادية	(١٩٤٧)	Gordon, D. D. & Dangerfield, R.
الحرب التى خسرناها — قصة محلية لمراسل يابانى	(١٩٤٦)	Kato, M.
خطط اليابان للنصر	(١٩٤٢)	Matsuo, K.
العمل الليلى	(١٩٤٦)	Pratt, F.
العسكرية اليابانية	(١٩٤٥)	Maki, H. L.
أسس السلام فى الشرق الأقصى	(١٩٤٢)	Peffer, N.
سياسة الصين أثناء الحرب (١٩٤٤ — ١٩٣٧)	(١٩٤٤)	Rossinger, L. K.

الفصل الرابع عشر

مشكلات ما بعد الحرب فى شرق آسيا

سياسة القوى الدولية

مشكلات تنازع القوى قبل الحرب :

قبل ١٩٣١ كان عدم استقرار الأحوال السياسية والاقتصادية فى الشرق الأقصى فى ازدياد مطرد ، فقد أخذت كل من الصين واليابان وروسيا تزداد قوة ، بينما بدأت هيبة الدول الغربية تتضاءل ، ولم يحل عام ١٩٤١ حتى زاد عدم الاستقرار شدة بزحف اليابان داخل قارة آسيا على حساب الصين ، واشتغال الدول الأوربية فى حروبها الأوربية ، وفضلا عن ذلك فقد لاح أن الولايات المتحدة على وشك الانسحاب من آسيا بعد أن منحت جزر الفلبين استقلالها .

أنواع القوى بعد الحرب :

أصبحت مشكلات العالم السياسية والاقتصادية من التعقيد بحيث تؤدى هزيمة أية دولة كبرى فى الحرب إلى مشاكل قد لا يمكن حلها ، ففى أعقاب الحرب تغيرت أوضاع القوى تغيرا أساسيا ، فصارت الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية وحدهما تعتبران الدولتان العظيمتان فقط ، وأصبحت روسيا بمقتضى مؤتمر يالتا والمعاهدة الصينية الروسية المعقودة سنة ١٩٤٥ ، وبحق الفتح تسيطر سيطرة جزئية على منشوريا وعلى نصف كوريا وجميع جزيرة سخالين ، بينما احتلت الولايات المتحدة الجزر اليابانية نفسها و بقية كوريا وأغلب جزر المحيط الهادى التابعة لليابان ، أما النفوذ الذى كان فى استطاعة الصين الوطنية الحصول عليه فقد أضاعته الحرب ضد الصينيين الشيوعيين الذين عززوا قواتهم بحصولهم على الأسلحة اليابانية .

الفراغ الاقتصادى :

كانت اليابان قبل الحرب مصدراً كبيرا للمنتجات الصناعية اللازمة لشرق آسيا ، كما كانت بدورها تستورد كميات ضخمة من المواد الخام ، وبحرمان شرق آسيا من الطاقة الصناعية اليابانية أصبح من الصعب إنقاذ اقتصادياته حتى لو لم تفقد الصين قدرتها الإنتاجية بسبب الحرب الأهلية ونهب روسيا لخيرات منشوريا ، وهكذا أصبحت تواجه آسيا الشرقية اليوم مشاكل إعادة البناء بشكل معقد محير ، إذ أنه ليس لديها أساس اقتصادى أو سياسى ثابت الدعائم تقيم عليه هذا البناء .

احتلال اليابان

شروط التسليم :

كانت شروط « تصريح بوتسدام » التى سلمت اليابان بمقتضاها تفرض على اليابان ما يأتى :

١ — القضاء على نفوذ كل المسئولين عن العدوان اليابانى .

٢ — ألا تمتد سيادة اليابان لأكثر من الجزر اليابانية نفسها .

٣ — أن تسرح جنودها وتنزع سلاحها .

٤ — أن تعاقب مجرمى الحرب اليابانيين .

٥ — أن تقيم حكومة ديموقراطية مسئولة .

٦ — أن تكفل حرية الكلام والرأى والعبادة والاجتماع والصحافة وغيرها من حقوق الإنسان الأساسية ، وأبيح لليابان الاحتفاظ بالصناعات اللازمة لصيانة اقتصادها ، ولكنها حرمت من الصناعات التى تمكنها من إعادة التسلح ، ولسهولة الحصول على المواد الخام كان عليها أن تعيد بناء تجارتها الخارجية على أساس الصناعات الباقية ، ومع أن اليابان قبلت هذه الشروط مع الاحتفاظ بشرط الإبقاء على امتيازات

الإمبراطور باعتباره الحاكم الإسمى للبلاد ، فقد وُضع الإمبراطور والحكومة اليابانية تحت سيطرة القائد الأعلى لقوات الحلفاء ، وتبع ذلك احتلال الحلفاء لليابان سلميا بسرعة وكفاية ، واستكان اليابانيون لذلك استكانة تلفت الأنظار .

أداة الاحتلال وسياسته :

كان الاحتلال من الناحية النظرية مغامرة اشتركت فيها دول الحلفاء الإحدى عشرة ، ولكنه فى الواقع ظل تحت إشراف الولايات المتحدة منذ البداية ، وكان القائد الأعلى لقوات الحلفاء يخضع لإشراف لجنة تمثل وزارات الحرب والبحرية والخارجية فى الولايات المتحدة ، وهذه بدورها تحت إشراف رئيس الجمهورية . وفى النهاية استطاع الجنرال ماك آرثر بقوة شخصيته وما لمنصبه من طابع خاص أن يصبح فعلا الحاكم المطلق فى اليابان . ورغم أنه قد شكلت فى واشنجتن « لجنة استشارية للشرق الأقصى » من دول الحلفاء الإحدى عشرة لرسم سياسة الاحتلال فإن هذا لم يغير من أوضاع القيادة القائمة أو إجراءات الاحتلال تغييرا ذا بال ، فالسياسة التى وضعها ماك آرثر وأصبحت بعد ذلك موضع التنفيذ هى فى أساسها السياسة المعبرة عن قرارات مؤتمر بوتسدام .

نزع سلاح اليابان :

تم تسريح القوات المحاربة اليابانية بسرعة وكفاية على أيدى حكومة مدنية يابانية يشرف عليها القائد الأعلى لقوات الحلفاء ، وحلت هيئات أركان حرب اليابان وألغيت وزارتا البحرية والحربية ، ومنع الطيران المدنى والحربى ، ولكن مشكلة خفض طاقة اليابان فى الصناعات الحربية مع إعداد العدة لدفع التعويضات زادت تعقيدا بسبب الحاجة الماسة إلى المقدرة الصناعية اللازمة لقيام اقتصاد مستقل بنفسه .

وقد أوصت البعثات التى كان يرأسها پولى E. A. Pauley فى عامى ١٩٤٥ ، و١٩٤٦ بإجراء تخفيض كبير فى صناعات الصلب والحديد ، والصناعات الكيماوية

والألومنيوم وتكرير الزيت وصناعة النحاس والنيكل والمطاط فى اليابان ، وكذلك خفض البحرية التجارية وقاطرات السكك الحديدية ، لكن لم يتم تنفيذ هذا الخفض انتظارا للقرارات الخاصة بتوزيع التعويضات بين الحلفاء . وفى سنة ١٩٤٨ أجريت معاينة ترتب عليها التوصية بألا يتعدى الخفض ١٧ ٪ من قيمة المصانع كى تستطيع اليابان الاحتفاظ بمستوى معيشة مساو لما كانت عليه فى الفترة التى بين ١٩٣٠ و ١٩٣٤ ، ومع ذلك فإن الحرب الأهلية فى الصين والحرب الباردة بين روسيا والولايات المتحدة أكدت الحاجة الملحة إلى الطاقة الصناعية اليابانية فى آسيا ، ونتيجة لذلك لم يصب الخفض إلا المصانع الصغيرة كى يستطاع تقديم تعويضات محدودة للصين والفلبين وللأقاليم الأسيوية من الإمبراطوريتين البريطانية والهولندية .

حل الزايباتسو :

فى الوقت الذى لم يكن من المستطاع فيه الوصول إلى قرار فيما يتعلق بتجريد اليابان من صناعاتها بدأ تفكك الاقتصاد اليابانى يسير سيرا عاجلا ؛ ففى نوفمبر سنة ١٩٤٥ أصدر القائد الأعلى لقوات الحلفاء أمره بحل أكبر الشركات الصناعية ، وذلك بقصد إضعاف قدرة اليابان الحربية وإعداد أساس أوسع مدى للملكية والنشاط الاقتصادى ، وبعد ذلك طبق مشروع ياسودا Yasuda الخاص بحل اتحادات الشركات بطريق إختيارى ، ولسوء الحظ كان حل الشركات الاحتكارية الكبرى معوقا لليابان عن المنافسة فى الأسواق العالمية دون أن يحرر الزايباتسو « كبار أصحاب الصناعة » من ثرواتهم الضخمة .

التوجيه نحو الديموقراطية :

من المشكلات الأخرى التى واجهت الاحتلال تلقين مبادئ الحكم الديمقراطى لشعب تعود الخضوع لزعامة شبه إقطاعية ، وكانت الخطورة الهامة فى هذا السبيل هى القضاء على الشنتوية « التى تدعو إلى عبادة الإمبراطور » وقد أعلن الإمبراطور :

شخصيا : أنه ليس إلهاً حياً ، وأن الشعب اليابانى ليس فى طبيعته أسمى بقية البشر . ومنحت الصحافة والإذاعة حرية واسعة تشجيعاً لها على نشر التعاليم الديمقراطية ، غير أن ماك آرثر وجد أن من الضرورى إجبار كثير من محررى الصحف المحافظين على قبول هذه المهمة الجديدة ، وألغيت نظم البوليس السرى لإزالة القيود على الحرية الفردية . أما مشكلة توجيه التعليم فى اليابان نحو الديمقراطية فقد تضمنت إعادة طبع مائة مليون كتاب مدرسى ، وكذلك إعادة غرس المبادئ الجديدة مع إجراء تطهير دقيق بين ٤١٧ ألف مدرس ، وإلغاء المركزية فى الإدارة التعليمية وإعادة النظر فى مناهج التعليم .

وصدر قانون جديد للخدمة العامة يقضى بإدخال نظام الجدارة للإقلال من نفوذ البيروقراطية المعادية للنظام الديمقراطى .

دستور ١٩٤٦ :

فى أغسطس سنة ١٩٤٦ أقر الدايت « البرلمان » اليابانى الدستور الجديد الذى اعترف فيه بأن السيادة تتمثل فى الشعب كما أنزل الإمبراطور إلى مجرد رمز لا سلطان له ، فليس له أن يعمل إلا بمشورة الوزارة وموافقتها ، وهذه الوزارة مسئولة أمام هيئة تشريعية مكونة من مجلسين . أما الحريات التى يشملها إعلان حقوق الإنسان فإنها مكفولة دون لبس أو غموض ، وهذا الدستور اليابانى الجديد فريد فى بابه ، لأنه منع اليابان من ممارسة حق الدولة المحاربة ، أو اتخاذ الحرب أو التهديد بها ، أو استخدام القوة وسيلة لفض النزاع بينها وبين الدول الأخرى .

الإصلاحات الإقتصادية والانتعاش :

رأينا أن الأهداف الاقتصادية لاحتلال اليابان قد تناولها التعديل ، ومن الأسباب الهامة لهذا التعديل تكاليف الاحتلال الباهظة التى تحملتها الولايات المتحدة ، وأصبح على اليابان أن تنتج المصنوعات وتصدر السلع كى تكفى نفسها ، لأنها كانجلترة

لا تستطيع إنتاج المواد الغذائية الكافية لغذاء الشعب اليابانى ، أما الهدف الذى وضع لإنعاش اليابان فى مشروع السنوات الخمس الذى أعلن سنة ١٩٤٨ فهو متوسط مستوى المعيشة فى السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٤ . وهذا الهدف يتطلب رفع الإنتاج الصناعى و إنتاج التعدين إلى ٣٠٠٪ ، ورفع مستوى الصادرات إلى ٩٠٠٪ ، ورفع إنتاج اليدُ العاملة إلى ٢٠٠ ٪ ، ورفع الدخل القومى إلى ٢٠٠٪ ، وقد كان الإنعاش أكثر ظهورا فى ميادين الفحم والحديد والصلب والورق والمنسوجات وعدد الآلات .

أما مشكلة الإصلاح الزراعى فقد عولجت بدرجة لا بأس بها من النجاح ، فطبق برنامج إصلاح زراعى يهدف إلى إلغاء نظام المالك المتغيب « الذى يقيم بعيدا عن أرضه » و بيع الأراضى لمستأجريها بشروط سخية . وقد هيأ نشوب الحرب فى كوريا فجأة أسواقا جديدة للمنتجات اليابانية ، فإن حاجات الحرب نفسها والحاجات البعيدة المدى التى تستلزمها إعادة تعمير كوريا لا بد أن تجلب قدرا كبيرا من الرخاء ، غير أن هذا يتبعه خطر تضخم نقدى جديد .

السـياسة :

اتجهت السياسية اليابانية فى عهد الاحتلال إلى ائتلاف مزعزع بين الأحزاب اليابانية العديدة التى تم تأليفها حديثا ، وأصبح التطور السياسى معقدا بحركة التطهير التى قام بها الحلفاء ، فقد أبعدوا الزعماء السياسين والبيروقراطيين الذين اشتركوا اشتراكا فعليا فى شن الحرب اليابانية ، و باتت السيطرة على وجه عام للعناصر المحافظة ، وكانت الزعامة فى الانتخابات الأولى لحزبى الأحرار والتقدميين ، ولكن الاشتراكيين الديمقراطيين تقدموا تقدما سريعا ، وحل حزب الأحرار سنة ١٩٤٧ وأعيد تكوينه تحت اسم حزب الأحرار الديمقراطى بزعامة « يوشيدا » الذى أصبح رئيسا للوزارة فى أكتوبر سنة ١٩٤٨ . و بعد نشوب الحرب الكورية بأربعة أيام عدل يوشيدا وزارته وأضاف إليها عددا جديدا من أعضاء حزب الأحرار الديمقراطى الموالين

لأمريكا . ومن العوامل القوية التى كانت ذات أثر فى مستقبل اليابان النمو السريع فى الحركة العمالية التى ظهرت بواكيرها منذ يوم هزيمة اليابان .

معاهدة الصلح اليابانية :

أدى تقسيم العالم إلى منطقتين تناصب كل منهما الأخرى العداء — إلى ضآلة الفرص فى عقد معاهدة للصلح مع اليابان تقبلها كل الأطراف ، فقد عطلت روسيا كل جهد بذلته الدول الغربية فى هذا السبيل ، ومع ذلك نجح جون دالاس ممثل وزارة الخارجية الأمريكية بالطرق الدبلوماسية العادية فى المفاوضة لوضع مشروع معاهدة صلح مع اليابان ، وتم التوقيع عليها فى مؤتمر عقد بسان فرنسسكو فى سبتمبر سنة ١٩٥١ ، ولم يمتنع عن التوقيع على هذه المعاهدة من بين الدول الاثنتين والخمسين التى مثلت فى المؤتمر إلا روسيا وبولنده وتشيكوسلوفاكيا ، وقضت تلك المعاهدة بما يأتى :

١ — تتنازل اليابان عن ملكيتها لجزيرة سخالين وجزر كوريل وفرموزا ، كما تتنازل عن انتدابها على الأقاليم التى ندبتها عصبة الأمم السابقة لإدارتها .

٢ — توافق اليابان على اقتراح الولايات المتحدة الذى يقضى بوضع جزر ريوكيو RyuKyu وبونين تحت وصاية الأمم المتحدة ، على أن يعهد بإدارتها إلى الولايات المتحدة ، كما تعترف باستقلال كوريا التام .

وحصلت اليابان على حق الدفاع عن نفسها ، وعقد اتفاقات مع الدول الأخرى لوضع قوات أجنبية « يحتمل أن تكون أمريكية » على أراضيها ، أما العلاقات بينها وبين الصين فتحدد بمعاهدة تعقد بين اليابان والصين الوطنية أو بين اليابان والصين الشعبية ، ولا تطالب اليابان فيها بدفع تعويضات ولكنها توافق على وضع مقدرتها الفنية وصناعاتها فى خدمة الدول التى دمرتها الحرب للقيام بالخدمة الصناعية وإنقاذ السفن الغارقة وغيرها من الخدمات ، أما الممتلكات اليابانية فى الخارج فتنتقل ملكيتها إلى الصليب الأحمر الدولى لتوزع على أسرى الحرب الذين قاسوا الشدائد فى المعسكرات

اليابانية . وقد تضاءل اعتراض استراليا ونيوز يلنده على المعاهدة المقترحة بعد توقيع ميثاق الدفاع المتبادل فى ذلك الوقت بينهما و بين الولايات المتحدة ، أما الفلبين فقد جأرت بالشكوى من فشلها فى الحصول على تعويضات .

الصين

المشكلات التى ترتبت على استسلام اليابان :

أثار تحديد من له حق تسلم الأسلحة والعتاد الحربى اليابانى الذى تم الاستيلاء عليه فى أراضى الصين مشكلة حقيقية . فبمقتضى المعاهدة الصينية الروسية التى تم التوقيع عليها يوم استسلام اليابان احتل الاتحاد السوفيتى منشوريا وتلقى تسليم اليابان هناك ، أما فى المناطق المحتلة من الصين فكانت المشكلة الكبرى هى : من يكون السابق فى الوصول إليها ، هل هم الوطنيون أم الشيوعيون ؟ ففى كثير من الأقاليم بادر رؤساء الحكومات الأذناب إلى الاتفاق مع ممثلى الكومنتانج الذين تلقوا التسليم اليابانى وتعاونوا مع الجنود اليابانيين فى إبعاد الشيوعيين ، أما الشيوعيون فقد استطاعوا إحراز انتصارات هامة فى الأقاليم الشمالية ، وبعد قليل سيطروا على عشر بلاد الصين بما فيها أقاليم شاهار ، وجيهول ، وشانتونج ، وشانس ، و بعض أجزاء من الأقاليم المجاورة ، ولكن الوطنيين استطاعوا السيطرة على السكك الحديدية والمدن الكبرى فى الشمال .

السعى فى الصلح :

كانت المشكلة التى تلت التسابق من أجل السيطرة على الصين المحتلة مباشرة هى إيجاد أساس للوحدة ، ففى أكتوبر سنة ١٩٤٥ فشلت محاولات الصلح بسبب إلحاح الشيوعيين فى إيجاد اتحاد فدرالى بين الأقاليم يسمح لهم بالإشراف على الأقاليم التى يسيطرون عليها ، مضافا إلى ذلك اشتراكهم فى الحكومة الوطنية . وقد عقد

الجنرال « مارشال » الذى أرسله الرئيس ترومان للتحكيم فى النزاع هدنة بين الطرفين ، وجمع بينهما فى يناير سنة ١٩٤٦ وكان من نتيجة ذلك وضع المشروعات الآتية :

١ — تنظيم حكومة مؤقتة تجمع بين وجهات النظر المختلفة من يسارية ويمينية .

٢ — عقد جمعية وطنية فى شهر مايو .

٣ — بدء إصلاحات اقتصادية واجتماعية وسياسية .

٤ — توحيد الجيوش الوطنية والشيوعية .

ولكن فى شهر مارس تبددت فرص الاتفاق حين انسحب الروس من منشوريا فى الوقت المناسب ليهيئوا للشيوعيين الصينيين احتلالها ، وقد استمرت الحرب بعد ذلك على نطاق واسع رغم كل المحاولات التى بذلها المبعوثون الأمريكيون للتوفيق بين الطرفين .

الدستور الوطنى سنة ١٩٤٦ :

رغم الحرب الأهلية فقد عقد الكومنتانج الجمعية الوطنية فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ كى تضع للصين دستورا جديدا ، طبق بعد ذلك بشهر ، وكانت له طبيعة ديمقراطية قوية من الناحية النظرية ، لأنه تناول حقوق الإنسان وحق إلغاء القوانين واقتراحها والاستفتاء الشعبى ، كما تناول حق كسب العيش ، وأن يمثل كل إقليم نواب منتخبون ، ولكن واجبات هذه الهيئة وحقوقها وكذلك واجبات الرئيس وحقوقه لم تحدد تحديدا واضحا ، ولم يكن بالدستور الجديد مما يغرى الشيوعيين بالانضمام إلى الحكومة الوطنية إلا القليل . وكان واضحا جدا أن الكومنتانج تسيطر عليه فئة رجعية ليست لديها نية إقامة حكومة ذات مبادىء حرة . وفى يناير سنة ١٩٤٧ تخلى الجنرال مارشال عن محاولة الصلح فى بيان أدان فيه الطرفين بأنهما يتخذان موقفا متطرفا لا يبشر بالاتفاق .

الغزو الشيوعى :

كان للوطنيين فى نهاية الحرب اليابانية أكثر من ثلاثة ملايين جندى أكثرهم مدربون تدريبا أمريكيا ، ويحملون أسلحة أمريكية ، أما الشيوعيون فلم تكن لديهم إلا قوة ضعيفة المعدات تبلغ نصف القوات الوطنية ، ولكنها حصلت على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر حين احتلت المناطق التى كان اليابانيون يحتلونها سابقا فى شمال الصين ومنشوريا .

وقد ظلت الروح المعنوية لدى الشيوعيين عالية ، لأنهم جمعوا بين الدعاية الناجحة والقيادة القديرة الملهمة ، والتأييد الشعبى القوى ، وكثيرا ما صحب جيوش الاحتلال التابعة للكومنتانج ملاك الأراضى الذين كانوا قد هربوا أمام الزحف اليابانى ثم عادوا الآن يطالبون بالأراضى التى قام الفلاحون بزراعتها لحسابهم الخاص عدة سنوات . أما الروح المعنوية لدى الجيش الوطنى فقد أضعفها كثيرا تفشى الرشوة وسوء نظم التموين وضعف القيادة وروح العداء التى يكنها لهم الشعب . وفى أوائل سنة ١٩٤٨ فقد الوطنيون روح المبادأة و بدأ التقهقر الكبير . ولم توافِ نهاية ١٩٤٨ حتى أصبحت كل الصين تقريبا فيما يلى نهر اليانجتسى شمالا فى قبضة الشيوعيين ، و بعد ذلك بعام انهارت مقاومة الوطنيين عدا جزيرة فرموزا وإقليمى سينكيانج والتبت بأقصى الشرق .

الاتفاق الصينى — السوفيتى سنة ١٩٥٠ :

بعد أن سيطر ماوتسى تونج رئيس الجمهورية الشعبية الجديدة وشوئين لاى رئيس وزرائه على الصين ، واجها مشكلات هائلة فى إعادة تعمير دولة مزقتها الحروب ، فأصبح الملايين من سكانها يموتون جوعا ، كما قلب التضخم النقدى فيها كل الأوضاع .

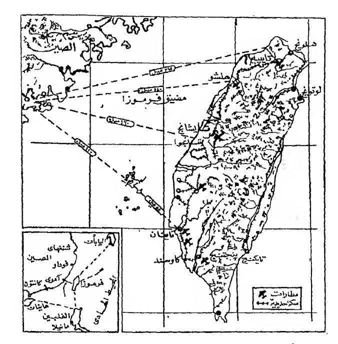
كانت الصين الحمراء « الشعبية » طوال تاريخها محصورة فى الأقاليم الزراعية ، ولم يكن بين الزعماء الشيوعيين إلا قليلا ممن لديهم المعلومات الفنية والخبرة اللازمتين

لإقامة مراكز صناعية كبيرة ، ولما أصرت الصين على استبعاد الدول الغربية لم تعد تنتظر معونة فنية إلا من روسيا ، وكان لهذه المعونة ثمنها ، ففى فبراير سنة ١٩٥٠ عقدت الصين معاهدة جديدة للصداقة والدفاع المتبادل مع روسيا بعد مفاوضات دامت تسعة أسابيع . وفى الاتفاقات الإضافية التى عقدت فى نفس الوقت تعهدت روسيا أخيرا بأن ترد إلى الصين السكك الحديدية والممتلكات الأخرى التى استولت عليها فى منشوريا ، وأن تعيد إليها ميناء بورت آرثر ودارين قبل أواخر سنة ١٩٥٢ — وفوق ذلك منحت روسيا الصين قرضا مقداره ثلاثمائة مليون دولار لشراء معدات الصناعة والسكك الحديدية ، على أن تأخذ فى مقابلها المواد الأولية والشاى والذهب والدولارات الأمريكية ، ويضاف إلى هذه الشروط العلنية الاعتقاد السائد بأن ماوتسى تونج وعد ستالين فى ملحق سرى بأن يمده بمئات الألوف من العمال الصينيين للعمل فى سيبريا ، كما تزود روسيا الصين بالمستشارين الفنيين والسياسيين والعسكريين ، وفى مذكرات إضافية ضمن الطرفان استقلال جمهورية منغوليا الشعبية .

رد الفعل الأولى :

أدى انهيار الصين الوطنية إلى موقف مربك للولايات المتحدة ، فقد قدمت إلى الكومنتانج مليونا من الدولارات لم تنل فى مقابلها شيئا غير عداوة الحكومة الشيوعية الجديدة . ونتج عن إصرار شيوعيى الصين الواضح على عداوتهم لأمريكا أن أصبح اعتراف أمريكا السياسى بالحكومة الجديدة مستحيلا ، ومع ذلك فإن ضياع الأمل فى قضية الصين الوطنية مضافا إلى حقيقة أخرى هى أن فرموزا لا تعتبر رسميا ذات أهمية أساسية للدفاع عن مركز الولايات المتحدة فى شرق آسيا — كل هذا جعل من العبث الاستمرار فى تأييد شيانج كاى شيك فى معقله الأخير بفرموزا .

أما بريطانيا فقد حاولت المحافظة على مصالحها التجارية التى تبلغ قيمتها ٨٤٠ مليون جنيه استرلينى وعلى قاعدتها فى هنج كنج ، بأن اقتفت أثر باكستان وبورما ،



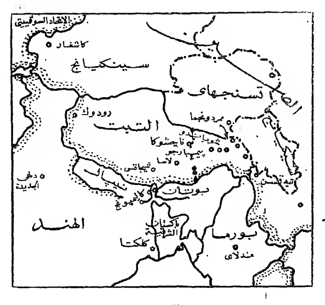
جزيرة فرموزا

آخر معقل لشيانج كاى شيك

فاعترفت بحكومة ماوتسى تونج فى يناير سنة ١٩٥٠ ولكنها لم تربح بعملها هذا إلا القليل ، لأن الصين ظلت على عدائها ولم ترسل مبعوثيها السياسيين إلى بريطانيا .

نتائج الحرب الكورية :

لما بدأ الكوريون الشماليون غزو كوريا الجنوبية فى يوليو سنة ١٩٥٠ ، اقتفت حكومة بيكين أثر روسيا فى تأييد قضية الشيوعيين فأعلنتا أن قوات الأمم المتحدة هى قوات معتدية ، واتهمتا الولايات المتحدة بأنها استولت على فرموزا ، وهدد الشيوعيون الصينيون بدخول الحرب الكورية محاولين إرغام الأمم المتحدة على نقل



التـــبت

اعترافها الرسمى بحكومة الصين الوطنية إلى حكومة بيكين الشيوعية ، واتسعت دائرة الدعاية المعادية للأوربيين والأمريكيين فى جميع أنحاء الصين ، فلما زحف الجنرال ماك آرثر بجيوشه إلى يالو Yalu على حدود منشوريا وجه ماوتسى تونج جيوشه ضد قوات الأمم المتحدة ، زاعما أنها قوات من المتطوعين ، واتخذ الزعماء الشيوعيون فى الصين الحرب الكورية ذريعة لتقوية قبضتهم على الشعب الصينى واقتصاديات البلاد ، فأعدموا آلافا من المعارضين للشيوعية فى حركات تطهيرية شاملة ، واضطهدوا المبشرين الأجانب ثم طردوهم من البلاد ، وأعادوا تنظيم المجتمع الصينى فهبطوا بالصين إلى دولة ذات حكومة دكتاتورية يسيطر عليها حزب واحد ، وقد كلفت الحرب الكورية الصين كثيرا من الأرواح والأموال مع أنها تئن من الفقر الذى خلفته عدة أجيال من الصراع ، واشتد نقص المنتجات الصناعية بعد أن بدأ قرار حظر تصدير السلع إلى الصين الذى أصدرته الأمم المتحدة ينتج آثاره ، وأدى شحن المواد

الأولية بكميات كبيرة من الصين إلى ازدياد النقص فى هذه المواد حتى أن الشاى أصبح نادر الوجود* .

تعقيب للمترجم

* منذ بدأت الصين برنامج السنوات الخمس الأولى وأعقبته ببرنامج السنوات الخمس الثانية ، وهى تتقدم تقدما مطردا فى الإنتاج الصناعى والزراعى ، وليس أدل على ذلك من الأرقام الآتية :

١ — كان إنتاج الصين من الصلب ١٥٨ ألف طن سنة ١٩٤٩ ، فأصبح فى هذا العام ١٠٫٧ مليون طن وهو يعادل ٦٨ مرة من إنتاج سنة ١٩٤٩ .

٢ — كانت الصين فى سنة ١٩٥٢ تمثل المركز الثامن عشر بين دول العالم المنتجة للصلب فقفزت فى العام الماضى إلى المرتبة التاسعة .

٣ — يقدر إنتاج الفحم فى العام الحالى بنحو ١٨٠ مليون طن ، وأن يصل فى العام القادم إلى ٢٤٠ مليون طن ، هذا مع ملاحظة أن إنتاج بريطانيا فى العام الماضى كان ٢٢٧ مليونا ومائتى ألف طن ، أى أن مستوى إنتاج الفحم فى الصين سيصبح بعد فترة وجيزة أعلى منه فى بريطانيا .

٤ — بلغ إنتاج القمح فى الصين فى هذا العام ٣٢ مليون طن ، وقد كان ١٤ مليون طن فقط سنة ١٩٤٩ .

٥ — يدل التقدير الأول لمحصول القطن فى الصين الشعبية هذا العام على أنه بلغ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ طن ، وهو يعادل ضعف محصول العام الماضى ، ويزيد إنتاج الولايات المتحدة من القطن هذا العام حيث قدر بنحو ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ طن ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الزيادة الكبيرة التى طرأت على المساحة المزروعة قطنا كما يرجع لاستخدام أحدث الوسائل الفنية فى الزراعة .

٦ — استطاعت حكومة الصين الشعبية الآن أن تمد ٤٣٧٫٩٠٠ إخصائى فى النواحى المختلفة ، وبلغ خريجو الكليات فى هذا العام وحده ٧٩ ألف خريج .

المترجم

التبت :

إن سكان التبت الذين يبلغون ثلاثة ملايين من الأنفس منعزلون عن العالم بالصحراء و بأكثر جبال العالم ارتفاعا ، فإن هذه الهضبة التى لايعرف عنها الكثير يبلغ متوسط ارتفاعها ١٦ ألف قدم ، وحكومتها دينية « ثيوقراطية » تسودها اللامية ، وهى نوع من البوذية . والزعيم الروحى للبلاد هو الدالاى لاما أو اللاما الأكبر ، والمعتقد أنه الصورة الجسدية الثانية لبوذا مؤسس البوذية . ويدخل ربع سكان البلاد من الذكور الأديرة أو يرسمون كهنة ، وقد ظلت التبت طوال اثنى عشر قرنا من التاريخ المدون تعارض الحكم الأجنبى ، ولكن الصين فرضت عليها سيادتها منذ وحد المغول الصين والتبت فى إمبراطوريتهم الواسعة ، وقد أيد أباطرة المنج والمانشو النظام الكهنوتى اللامى فى التبت لضمان الأمن بينهم و بين جيرانهم . وفى سنة ١٧٥١ صدر مرسوم صينى جعل الدالاى لاما صاحب السلطتين الروحية والزمنية فى التبت ، وفى نفس الوقت عملت الصين على إضعاف الدالاى لاما فاعترفت اعترافا جزئيا بالپانشن لاما Panchen Lama باعتباره صورة جسدية أخرى لبوذا ، منافسة للدالاى لاما .

وقد تمت تسوية النزاع بين بريطانيا وروسيا فى وسط آسيا بطريق سلمى أسفر عن عقد الاتفاق الإنجليزى الروسى سنة ١٩٠٧ الذى اعترف بسيادة الصين الرسمية على التبت ، غير أن المانشو أرسلوا حملة إلى هذه البلاد سنة ١٩٠٩ لتأكيد سلطانهم عليها فهرب الدالاى لاما إلى الهند وأعلنت الصين عزله .

استقلال التبت :

عاد الدالاى لاما إلى التبت عقب الثورة الصينية سنة ١٩١١ واستخدم البريطانيون نفوذهم لإنقاذه من تدخل حكومة الصين الجمهورية ، ولكن ما نشب من نزاع جديد بين الدالاى لاما ومنافسه الپانشن لاما أدى إلى فرار الپانشن لاما إلى الصين عام ١٩٢٠ ، ولما مات الدالاى لاما سنة ١٩٣٣ تولى خلفه منصبه بطريق سلمى ، ولكن

لما مات البانشن لاما سنة ١٩٣٨ قام النزاع من جديد حول من يخلفه ، فقبض الشيوعيون الصينيون على أحد المرشحين المتنافسين على منصب الدالاى لاما وكان يطلق عليه اسم الكومبوم لاما ثم أيدوه بعد ذلك أملا فى تدعيم مركزهم بالتبت ، كما أن الدالاى لاما كان قد اعترف بمرشح آخر فى لاسا « عاصمة التبت » ، ولما خشى التبتيون سيطرة الشيوعين عليهم أعلنوا استقلالهم التام سنة ١٩٤٩ عندما بدأ حكم الكومنتانج فى الصين ينهار بسرعة ، ولم تعترف باستقلال التبت أية دولة أجنبية .

الغزو الشيوعى للتبت :

فى يناير سنة ١٩٥٠ وجهت حكومة التبت استغاثة محزنة إلى العالم طالبة عونه ضد الشيوعيين الصينيين الذين هددوها بالغزو ولم يظهر اهتماما جديا لهذه الاستغاثة إلا الهند ، ولكنها مع ذلك لم تفعل شيئا ، وأخيرا أرسلت حكومة بيبنج « الاسم الجديد الذى أطلق على بيكين فى ذلك الوقت » قواتها إلى التبت لتحرير التبتيين من السيطرة الأمريكية والبريطانية ، وقد احتجت حكومة الهند على هذا الغزو ، لأنها كانت تحتفظ عادة بحامية صغيرة فى التبت لحماية الطرق التجارية ، فرفضت حكومة بيبنج بجفاء قبول هذا الاحتجاج ، وأبلغت الهند أن مسألة التبت من الشئون الخاصة بالصين ، وفى ٢٣ مايو سنة ١٩٥٤ وقعت السلطات التبتية اتفاقا يقضى بإدماج التبت فى الصين باعتبارها من الأقاليم الصينية .

كوريا

كوريا المستقلة :

تعهد الحلفاء بمنح كوريا استقلالها فى مؤتمر القاهرة ، وفى بوتسدام سنة ١٩٤٥ أعلن ستالين موافقته على هذا التعهد ، ولكنه اشترط أن تقسم شبه جزيرة كوريا إلى قسمين عند خط عرض ٣٨ ، على أن تحتل روسيا القسم الشمالى وتحتل الولايات

المتحدة القسم الجنوبي ، إلى أن يتم تنظيم حكومة كوريا الجديدة . وقد شملت المنطقة الأمريكية أحسن الأراضي الزراعية وثلثي السكان ، بينما استولى الروس على صناعات كوريا ومواردها المعدنية .

المشكلات السياسية :

لقد كان تكوين حكومة كوريا مسألة معقدة ، إذ أنها ظلت تحت حكم اليابانيين خمسا وثلاثين سنة ، ولهذا لم يكن فى كوريا ممن دربوا على السياسة واكتسبوا الخبرة العملية غير أولئك الذين عملوا مع اليابانيين أو الذين لقنوا المذهبية والتدريب على أيدى الروس . وقد وجد الجنرال هودچس قائد قوات الاحتلال الأمريكية عند وصوله إلى كوريا أنه أسست بها جمهورية شعبية يتزعمها الشيوعيون فى مدينة سيول . ولما كان الاعتراف بهذا الوضع معناه إطلاق يد روسيا فى كوريا بأجمعها ، شكل هودچس مجلسا استشاريا من ملاك الأراضى المحافظين لمعاونته فى الحكم ، ولم تجد الحكومة العسكرية الأمريكية بين الكوريين من هو جدير بالزعامة الشعبية الحقيقية . وفى الانتخابات التى أجريت سنة ١٩٤٦ فاز المحافظون بالأغلبية لضغط الحكومة العسكرية الأمريكية على الأحزاب اليسارية .

محاولات لتوحيد كوريا :

رغم الحاجة الشديدة إلى إجراءات سياسية واقتصادية مشتركة لتحقيق الوحدة فإن الخلافات المتواصلة بين قوتى الاحتلال أبقت كوريا مقسمة ، ولم تستطيع اللجنة السوفيتية الأمريكية المشتركة التى شكلت سنة ١٩٤٥ للإشراف على إنشاء حكومة مؤقتة أن تصل إلى اتفاق بشأن من يمثل البلاد من الكوريين ، ولما رفضت روسيا الاقتراح الأمريكى بعقد مؤتمر رباعى للنظر فى مشكلة كوريا عرضت الولايات المتحدة المشكلة برمتها على الأمم المتحدة .



كوريا الشمالية والجنوبية

جمهوريتان :

ورغم أن روسيا رفضت التصريح « للجنة كوريا المؤقتة » التابعة للأمم المتحدة بدخول المنطقة الروسية فى كوريا ، فقد استطاعت هذه اللجنة إجراء انتخابات بكوريا الجنوبية فى مايو سنة ١٩٤٨ لتكوين مجلس تشريعى مؤقت ، وقد وضعت هذه الهيئة الجديدة دستورا وانتخبت الدكتور سنجمان رى رئيسا لها ، وفى ١٥ أغسطس نقل الجنرال ماك آرثر رسميا اختصاصات الحكومة العسكرية الأمريكية إلى الحكومة الجديدة . وفى ديسمبر سنة ١٩٤٨ اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بحق جمهورية كوريا فى حكم كوريا الجنوبية . وفى نفس الوقت أنشئت جمهورية شعبية منافسة تؤيدها روسيا فى كوريا الشمالية ، ووضعت هذه الجمهورية الشعبية دستورا على اعتبار أنها تمثل كوريا بأجمعها ، فلما تم إنشاء هذه الحكومة وتسجيلها استجابت روسيا لرغبة الأمم المتحدة فى سحب جميع القوات الأجنبية من كوريا ، فسحبت قواتها إلى سيبريا ، أما القوات الأمريكية فقد جلت نهائيا فى يونيو سنة ١٩٤٩ عدا بعثة عسكرية بقيت لتقديم المشورة لجيش كوريا الجنوبية . وبعد ذلك تكررت حوادث النزاع على الحدود بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية .

انتخابات مايو سنة ١٩٥٠ :

فى سنة ١٩٤٨ قاطع كثير من المعتدلين الأحرار المعارضين للشيوعية فى كوريا الجنوبية الانتخابات التى تمت تحت رعاية الأمم المتحدة لاعتقادهم أن هذه الانتخابات قد تعوق الوحدة مع كوريا الشمالية ، ومع ذلك فإنه عندما أجرت جمهورية كوريا فى مايو سنة ١٩٥٠ أولى انتخاباتها الحرة فى ظل الاستقلال اشتركت فيها جميع الأحزاب عدا الشيوعيين ، وكانت النتيجة هزيمة واضحة لحزب سنجمان رى المحافظ ، ولم يحتفظ بمقعده البرلمانى من أعضاء المجلس التشريعى القدامى إلا سبعة وعشرون .

ولما لم يكن لسنجمان رى فى الهيئة التشريعية الجديدة غير خمسة وأربعين عضوا

فبات لزاما عليـه أن يتخلى عن السلطة لولا أن المستقلين كانوا يشغلون ١٢٨ مقعدا من بين ٢١٠ مقاعد تـكون منها البرلمان الجديد . واجتمع هذا البرلمان المـكون من العناصر المعتدلة فى ١٩ يونيو سنة ١٩٥٠ تحدوه روح الأمل بعد انتصار الديمقراطية فى أولى تجاربها الانتخابية .

غزو شمال كوريا :

فازت كوريا الجنوبية بالوحدة من جديد بسبب هذا النصر الديموقراطى ، ولـكن حكومة كوريا الشمالية بادرت بنشر دعاية واسعة لمنع أحرار الجنوب من تأييد برلمانهم الجديد ، فقدموا عروضا جديدة للوحدة ، وكرروا مهاجمتهم لزعامة سنجمان رى . ومن الواضح أن هذه الحملة من الدعاية كانت ستارا يخفى وراءه استعدادات الحمر للهجوم الذى قاموا به فى ٢٥ يونيو بحجة أن كوريا الجنوبية هاجمت كوريا الشمالية . وفى نفس اليوم أصدرت الأمم المتحدة أمرا بوقف إطلاق النار ، ولـكن الغزو ظل مستمرا . وبعد يومين أصدرت الولايات المتحدة أمرا إلى القوات الأمريكية ببدء العمليات الحربية بعد أن أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قرارا بفرض عقوبات عسكرية أثناء غيبة مندوبى روسيا .

ولما كانت قوات كوريا الشمالية قد زودت تزويدا كافيا بالعتاد الحربى الروسى وضمت إليها عددا كبيرا من المحاربين القدماء الروس والصينيين فقد تمـكنت من صد قوات الأمم المتحدة بقيادة الجنرال ماك آرثر إلى دائرة ضيقة حول بوزان ، ولـكن لم يحل يوم ١٥ سبتمبر حتى كانت الأمم المتحدة قد واجهت بقوات كبيرة قوات كوريا وتمـكنت من النزول فى إنشون ميناء سيول ، وسرعان ما قضت على مقاومة الحمر فى الجنوب . وفى ٤ أكتوبر أعيد احتلال كوريا الجنوبية وصرحت الأمم المتحدة للقوات التابعة لها بعبور خط عرض ٣٨° واحتلال كوريا الشمالية .

دخول الصين الحرب :

لما تقدمت قوات الأمم المتحدة ومعها قوات كوريا الجنوبية نحو الشمال ازدادت الأدلة على تدخل الصين وضوحا ، فقد حذت الصين حذو الدعاية الروسية واتهمت الأمم المتحدة بأنها آلة فى يد الولايات المتحدة للعدوان على كوريا والصين . وكان الرئيس ترومان قد أرسل أسطولا أمريكيا إلى فرموزا منذ نشوب الحرب الكورية للحيلولة دون نزاع جديد بين الصينيين الوطنيين والصينيين الشيوعيين ، ولما اقتربت قوات الأمم المتحدة بسرعة من حدود منشوريا لاحت لها نهاية النزاع الكورى ، ولكن — فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — على حين غرة قامت قوة صينية تعمل مع الكوريين الشماليين بهجوم سريع على وحدات كبيرة من القوات التابعة للأمم المتحدة وأوشكت أن تطبق عليها ولكنها ارتدت حين بدأت قوات الأمم المتحدة تزحف ، وفى هذه الأثناء طلب إلى الصينيين فى مركز قيادة الأمم المتحدة بنيويورك أن يرسلوا مبعوثيهم الدبلوماسيين للمباحثة فى إيجاد حل للموقف .

مواصلة النزاع :

تبين أن كل الجهود التى بذلت لحسم النزاع بواسطة الأمم المتحدة كانت عديمة الجدوى ، لأن كلا الطرفين اتهم الآخر ببدء العدوان ، وأعلنت حكومة بيكين أن الجيوش الصينية التى تساعد الكوريين الشماليين هى قوات من المتطوعين ، وفى نفس الوقت أعلنت أن مساعدة الصين الشيوعية لكوريا الشمالية عادلة وقانونية ، وفى الشهور التالية قام الشيوعيون بسلسلة من الهجمات العنيفة ردوا بها قوات الأمم المتحدة إلى ما وراء خط ٣٨° ، فتراجعت بعد أن كلفت الشيوعيين خسائر فادحة فى الأرواح . وفى أواخر يناير سنة ١٩٥١ نجح قائد من قوات الأمم المتحدة هو الجنرال ماثيو ب ريدجواى Matthew B. Ridgway فى تثبيت خطوطه وبدأ زحفاً دمويا نحو الشمال . ولكنه لم يحاول القيام بهجوم شامل بل لجأ إلى حرب المساجلة ، فسدد عدة هجمات صغيرة إلى العدو جعلته يفقد توازنه ، كما تناقصت قواته البشرية كثيرا ،

وفشلت الهجمات الصينية المتجددة فى فتح ثغرة بخطوط الأمم المتحدة . وفى يونيه سنة ١٩٥١ ، أى بعد عام من بدء الحرب الكورية كانت الإصابات بين قوات الأمم المتحدة ٢٤٦٫٧٠٠ بينهم ٧٣٫٦٠٠ من الأمريكيين ، وكانت إصابات الصينيين والكوريين الشماليين أكثر من ١٫١٦٥٫١٠٠ فضلا عن تراجعهم وراء خط ٣٨° .

عزل الجنرال ماك آرثر :

كان الجنرال ماك آرثر قائداً لقوات الأمم المتحدة فى كوريا ، وكان فى نفس الوقت قائدا لقوات الولايات المتحدة بالشرق الأقصى ، ورئيسا لحكومة الاحتلال فى اليابان ، وكانت هذه المناصب تتطلب قدرا كبيرا من المهارة الدبلوماسية والعسكرية ، ووجد ماك آرثر نفسه على خلاف مع حكومة ترومان بسبب تأييده لشيانج كاى شيك ضد السياسة التى أعلنتها وزارة الخارجية الأمريكية ، فأدت الطلبات التى تقدم بها ماك آرثر بعد ذلك لإلقاء القنابل على الصين إلى توتر العلاقات بين الولايات المتحدة وحلفائها . وفى مارس سنة ١٩٥١ قطع القائد الصريح المفاوضات الدبلوماسية الدقيقة وعرض على الأعداء شروطه الخاصة بالهدنة مقترنة بالتهديد ، وقد سبب هذا الحادث كثيرا من الضجر فى مقر الأمم المتحدة . وفى ٥ أبريل بواشنطون قرأ جوزيف مارتن الأصغر العضو الجمهورى بالكونجرس رسالة من ماك آرثر أمام الكونجرس يدعو فيها إلى اتباع سياسة خارجية جديدة تتضمن إنزال قوات الصين الوطنية على أرض الصين ، وتركيز قوات الولايات المتحدة فى آسيا بدلا من أوربا .

و بعد ذلك بخمسة أيام أحل الرئيس ترومان الجنرال ماتيو ريد جواى فجأة محل ماك آرثر فى جميع مناصبه . وقد أثار طرد ماك آرثر كثيرا من الجدل فى الولايات المتحدة ، وعقد الكونجرس جلسات لم تسفر عن نتيجة حاسمة ؛ فقد كان أشد الخلاف يدور حول السياسة الخارجية ، بينما حصرت المشكلة الأساسية فى أيهما يحدد السياسة الخارجية : أهى السلطة المدنية ، أم العسكرية ؟ ولكن عزل ماك آرثر قلل الاحتكاك بين الولايات المتحدة وحلفائها الرئيسيين حول شئون الشرق الأقصى .

محادثات الهدنة :

واصل الجنرال ڤان فليت الذى حل محل ريدجواى فى منصب قيادة القوات الأمريكية فى كوريا سياسة الهجوم المقيد التى كان يسير عليها سلفه ، وكلفت هجمات الخريف الشيوعيين مائتى ألف من الأرواح مع زحف قوات الأمم المتحدة نحو الشمال بلا رحمة . وفى ٢٣ يونيو اقترح چوزيف مالك مندوب روسيا فى الأمم المتحدة وقف إطلاق النار بشروط تقرب من الشروط التى وضعتها الدول الغربية ، وتبع ذلك إجراء المفاوضات فاجتمع ممثلو الشيوعيين وممثلو الأمم المتحدة فى كايسونج الواقعة فى القسم الصغير الباقى فى أيدى الشيوعيين من كوريا الجنوبية ، وبدأوا مناقشات كانوا يأملون من ورائها إنهاء القتال ، ولكن هذه الاجتماعات فشلت بعد أن أصر الحمر أولا على انسحاب جميع القوات الأجنبية من كوريا ، ثم عارضوا بعناد بعد ذلك فى إقامة منطقة حاجزة بين قوات الأمم المتحدة والقوات الشيوعية ، وقد أدت الاتهامات التى زعمت أن الأمم المتحدة خرقت حياد كايسونج إلى وقف محادثات الهدنة ، ولم تستأنف هذه المحادثات إلا فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٥١ فى مدينة پانمونچوم Panmunjom .

الفصل الخامس عشر

مشكلات ما بعد الحرب فى الأقاليم الصغرى

الفلبين

الاستقلال :

وعدت الولايات المتحدة بمنح الفلبين استقلالها بمقتضى « قانون تايدنجس — ماك دفى للكومونولت والاستقلال » Tidings - Mc Duffie Commonwealth and Independenec Law الصادر عام ١٩٣٤ على أن يصبح نافذ المفعول فى سنة ١٩٤٦ .

وقد عاقت الحرب العالمية الفترة التمهيدية لمارسة الحكم الذاتى التى اقتضاها هذا القانون وإن كانت لم تؤخر موعد منح الاستقلال ، ومع ذلك فإن مشكلة إعادة تكوين حكومة الفلبين بعد تحرير الجزر أصبحت من الصعوبة بمكان نظرا لأن غالبية أعضاء الحزب الوطنى الذى يتزعم البلاد كانت قد تعاونت مع اليابانيين . وقد حاول سرجيو أوزمينا رئيس حكومة المنفى الفلبينية وزعيم الحزب الوطنى عند عودته إلى الفلبين أن يكون حكومة من معارضى اليابانيين ، ولكن فى انتخابات أبريل سنة ١٩٤٦ فاز مانويل روكساز ، وإلبيديو كويرينو بمنصبى الرئيس ونائبه ، وكان الرجلان قد خدما الحكومة التى يرعاها اليابانيون ، فبرأهما الجنرال ماك آرثر من تهمة التعاون مع اليابانيين بسبب خدمات غير محددة كانا قد أدياها ، فسبب ذلك تصدع الحزب الوطنى ، ثم عين روكساز أول رئيس لجمهورية الفلبين الناشئة حين منحت البلاد استقلالها فى ٤ يوليو سنة ١٩٤٦ .

الحرب الأهلية :

كان خمسة فى المائة من سكان الفلبين يملكون أكثر ثروة البلاد وأراضيها ، وكان أغلب هذه الطبقة الأرستوقراطية يتعاون مع اليابانيين ، ومن ناحية أخرى كوّن كثير من الزراع المستأجرين فرقا قوية من العصابات لمقاومة الغزو اليابانى . ومع أن الأمريكيين تولوا قيادة بعض هذه الفرق فإن بعض الزعماء الفلبينيين وصلوا إلى مركز الزعامة ، وأصبح لويس تاروك — وهو فلاح من منظمى اتحاد الجناح اليسارى — زعيما لمنظمة « الهوك Huks » وهى أكبر منظمات فرق العصابات ، ولما فاز تاروك بمقعد فى مجلس النواب الفلبينى سنة ١٩٤٦ طرد من المجلس هو و بقية زعماء الجناح اليسارى بدعوى أنهم فازوا بمقاعدهم البرلمانية بالغش . وفى العامين التاليين قاوم تاروك رجال الهوك فى حروب متقطعة ضد ملاك الأراضى وحكومة روكساز . ومع أن الرئيس كويرينو أصدر عفوا عاما فى يونيو سنة ١٩٤٨ على أثر وفاة روكساز ، فإن المعارك تجددت حين طالبت الحكومة رجال منظمة « الهوك » بتسليم أسلحتهم ، وأمكن بعد ذلك تحطيم مقاومة الثوار ، ولكن بعض فرق العصابات الصغيرة ظلّ يقاوم حتى مطلع سنة ١٩٥٠ ، واستطاع كويرينو فى انتخابات ١٩٤٩ أن يحتفظ برياسة الجمهورية مدة أربع سنوات أخرى .

المشكلات الداخلية :

كان على الجمهورية الناشئة أن تهيئ لنفسها استقلالا اقتصاديا بجانب الاستقلال السياسى ، يبنى على أنقاض الاقتصاد الزراعى الذى كان يسود البلاد إذ ذاك ، والذى ارتبط بعجلة الأمريكيين أولا ثم اليابانيين بعد ذلك ، وقد قدمت الولايات المتحدة معونة قيمة لإعادة تعمير الفلبين ، ولكن يظهر أن كثيرا من هذه المعونة صرف فى غير أوجهه السليمة أو بُدد فى وجوه الفساد ، وعم البلاء الفلبين بسبب ما انتابها من الكوارث الطبيعية الخطيرة ، كالزلازل ، وأعاصير « التيفون » تضاف إلى ذلك غرامة الحرب التى بلغت بليونا ونصفا من الدولارات . واستولت الحكومة على

الضيـــاع الـكبيرة لإعادة بيعها للمستأجرين إصلاحا للنظام الاقتصادى الزراعى والإقطاعى القائم فى البلاد ، كما أن الرئيس كويرينو حاول زيادة مزارع الأرز التى تفتقر إليها الفلبين افتقارا شديدا ، بتوزيع مساحات من أراضى الدولة على الزارع ، وبذلت محاولات أخرى لتنمية الصناعات التى تستخدم الموارد القومية بقصد تنويع النشاط الاقتصادى وخفض الميزان التجارى لصالح البلاد .

وعمدت حكومة الفلبين إلى الإشراف على الصادرات والواردات لتحافظ على مواردها من الدولارات وتشجع الإنتاج الوطنى ، وقد نجحت الحـكومة عام ١٩٤٨ فى موازنة الميزانية برغم المبالغ الضخمة التى اقترضتها الخزانة العامة لإعادة الإنشاء والتعمير فى الفلبين . وعلى رغم كل ذلك لم يحل عام ١٩٥٠ حتى ظهر أن الاقتصار الفلبينى على وشك الانهيار ، فأرسلت حكومة الولايات المتحدة فى شهر أكتوبر بعثة لمعاينة حالة الفلبين تحت رياسة دانيل بل ، وأوصت هذه البعثة بأن تمنح الولايات المتحدة الفلبين قروضا قدرها ٢٥٠ مليون دولار توزع على السنوات الخمس التالية بشرط أن تقوم حكومة مانيلا بما يأتى :

١ — إصلاح سياستها المالية .

٢ — تحسين ظروف العمل وزيادة الخدمات الاجتماعية للشعب .

٣ — القضاء على الرشوة والاختلاس بين الموظفين ورجال الأعمال .

إندونيسيا

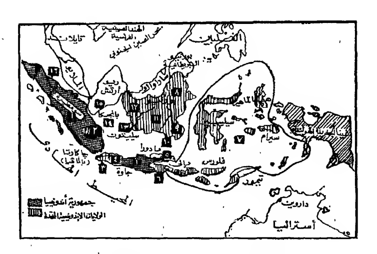
جمهورية إندونيسيا :

فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ أعلن الوطنيون فى باتافيا بجزيرة جاوة إنشاء جمهورية مستقلة تشمل جاوه وسومطرة ومادورا ، وبعد ذلك بأسبوع وضع دستور مؤقت يقضى باختيار رئيس للجمهورية وإنشاء مجلس وطنى . ولما كانت نهاية الحرب قد تركت الهولنديين على غير استعداد لمواجهة الموقف ، فقد احتلت القوات البريطانية

الجزر باسم هولندة ، فبدأ فورا القتال واستمر بعد أن حلت القوات الهولندية محل القوات البريطانية فى يناير سنة ١٩٤٦ .

الولايات المتحدة الإندونيسية :

فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ عقدت الحكومتان الإندونيسية والهولندية اتفاقا يقضى بإنشاء ولايات متحدة إندونيسية تحت التاج الهولندى تساوى فى حقوقها هولندة نفسها ، ولم يكن من المستطاع مواصلة المفاوضات بين الطرفين فى السنوات الثلاث التى تلت سنة ١٩٤٦ إلا عن طريق لجنة المساعى الودية التابعة للأمم المتحدة ، وهذا لم يمنع نشوب المعارك بينهما بين آونة وأخرى . وفى ديسمبر سنة ١٩٤٩ تم نهائيا إنشاء الولايات المتحدة الأندونيسية تحت رياسة محمد حتا ، وفى نفس الشهر أقر البرلمان الهولندى قانونا بنقل السيادة على الجزر إلى الولايات المتحدة الإندونيسية ، وبذلك منحت الهند الشرقية الهولندية وضعا سياسيا يقرب من الوضع السياسى للدومنيون البريطانى « الممتلكات المستقلة البريطانية » .



الولايات المتحدة الإندونيسية عند تكوينها

فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩

تنظيم الاتحاد وعضويته :

كان أساس تنظيم هذا الاتحاد الجديد أن يشمل جمهورية إندونيسيا ، وجمهورية إندونيسيا الشرقية ، وخمس ولايات فى بورنيو ، وثلاث ولايات مستقلة استقلالا ذاتيا فى جاوه واثنتين فى سومطرة ، واتحاد الولايات الثلاث : بانكا ، و بيليتون ، ورريو بين سومطرة و بورنيو ، على أن تقوم حكومة كل ولاية بإدارة شئونها المحلية ، أما حكومة الولايات المتحدة الإندونيسية فتتولى المسائل القومية ، وتتكون حكومة الاتحاد من رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء وهيئة الوزارة ، ومجلس الشيوخ الذى تمثل فيه كل ولاية بعضوين .

المشكلات الداخلية :

لعب الشيوعيون دورا هاما فى إثارة السخط بالبلاد تحت الحكم الهولندى ، وبذلوا جهودا قوية لإحراز السيطرة على الجمهورية الجديدة . وفى سبتمبر سنة ١٩٤٨ اضطرت حكومة الجمهورية للقضاء على حكومة ثورية شيوعية نظمت فى شرق جاوه حين اشتبا كها فى حروب متقطعة مع الهولنديين(*) .

تعقيب المترجم

(*) كانت البواعث الحقيقية لثورة الشعب الإندونيسى المؤامرات الاستعمارية التى تدبرها هولندة ضد الجمهورية الناشئة لاستعادة سيطرتها على الجزر ، فقد حارب الشعب الإندونيسى تحت زعامة سوكارنو جيش الاحتلال اليابانى وهزمه شر هزيمة فى معركة ميدان غمبيز فى أغسطس سنة ١٩٤٥ ، ثم أعلنت إندونيسيا استقلالها فى أغسطس سنة ١٩٤٦ . ولكن هولندة حاولت القضاء على جمهورية إندونيسيا الناشئة فهب الشعب الإندونيسى للدفاع عن استقلاله وحماية الجمهورية ضد القوات الهولندية ، وتدخلت الأمم المتحدة فى النزاع بين إندونيسيا وهولندة ، واجتمع مؤتمر الدول الأسيوية فى نيودلهى لمناصرة إندونيسيا فلم يسع هولندة إلا أن تتراجع أمام عزيمة الإندونيسيين ، وقوة الرأى العام العالمى وقبلت عقد مؤتمر المائدة المستديرة مع ممثلى إندونيسيا فى مدينة لاهاى ، وانتهى المؤتمر باعتراف هولندة للجمهورية الإندونيسية بالسيادة الكاملة على =

الأزمة تنتاب الاتحاد :

لم تلبث البلاد بعد حصولها على استقلالها من الهولنديين أن واجهت ثورات جديدة فى غرب جاوه يقود إحداها طائفة دينية إسلامية ، ويقود الأخرى ضابط هولندى خائن يدعى تورك وسترلنج . الذى أدت محاولات إقامته حكومة مستقلة إلى تنازل ولاية جاوه الغربية عن سلطاتها لحكومة الاتحاد كى تستطيع الحصول على معاونة لمقاومة الثوار ، وتبعتها فى ذلك ولايتا مادورا وجاوه الشرقية فتنازلت عن السلطة لحكومة الاتحاد فى ٣١ يناير سنة ١٩٥٠ ؛ وفى أواخر الشهر التالى تمت هزيمة قوات وسترلنج وظل الأمل فى السلام الدائم ضعيفا بإندونيسيا ؛ فقد شبت ثورة أخرى فى جنوب جزر ملوكاس معارضة للمشروعات التى تهدف إلى إنشاء حكومة مركزية يشمل نفوذها جميع أندونيسيا ، وأيد هذه الثورة تأييدا قويا الأعضاء الوطنيون السابقون فى الجيش الهولندى بجزر الهند الشرقية ، كما أن الحكومة الهولندية احتجت أيضا على مشروع الوحدة باعتباره مناقضا للدستور الإندونيسى ، ولكن برغم الثورات ودلائل المعارضة الأخرى اتفقت وزارتا الولايات المتحدة الإندونيسية وجمهورية إندونيسيا على الوحدة فى شهر أغسطس ، وظل الرئيس سوكارنو رئيسا للدولة ، غير أن الروابط الثقافية التى تربط بين جزر إندونيسيا العديدة كانت أضعف من تلك التى تربط بين حكومات أمريكا الجنوبية ، ولهذا كان من الصعب الوصول إلى وحدة حقيقة فى إندونيسيا .

= أراضيها فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩ . غير أن هولندة استثنت من ذلك إيريان الغربية أو غينيا الجديدة الهولندية — كما كانت تسمى حينذاك — واشترطت ألا تنتقل سيادة إندونيسيا على إيريان الغربية إلا بعد عام تجرى فيه مفاوضات بين الطرفين . وبرغم ذلك بدأ الهولنديون يحولون هذه المنطقة إلى قاعدة ضخمة لقواتهم ، بل إن هولندة أصدرت تصريحات متوالية بأن إيريان الغربية جزء منها ، وهى تحتلها إلى الآن .

ولا تزال مشكلة السيادة على إيريان الغربية موضع نزاع دولى بين أندونيسيا وهولندة حتى الوقت الحاضر .

النهضة الاقتصادية :

تكبدت الهند الشرقية الهولندية كثيرا من الخسائر فى أثناء الحرب ، فقد دمر عدد كبير من منشآت البترول والمزارع ، وعاق الكفاحُ لنيل الاستقلال النهضة الاقتصادية بشكل واضح ، ومع ذلك أعيد بناء بعض مصانع التكرير ، كما أعيدت تهيئة بعض المزارع للإنتاج رغم التخريب الذى سببته حرب العصابات .

والمشكلات الرئيسية التى تواجهها الحكومات الجديدة هى نقص الفنيين من المواطنين المدربين اللازمين لإدارة المزارع ومعامل التكرير الحديثة ، يضاف إلى هذا الاحتفاظ بالأسواق العالمية ، وستظل إندونيسيا مدة طويلة فى حاجة إلى المعونة الفنية الخارجية . ويلاحظ أن الصينيين لا يزالون — حتى فى إندونيسيا المستقلة — العنصر الأساسى لطبقة رجال الأعمال الذين يسيطرون على تجارة الجملة والقطاعى بالمدن .

الملايو

اتحاد الملايو :

يحتل الملايو مركزا هاما فى الاقتصاد البريطانى ، نظرا لأنه أكبر مورد للدولار فى الإمبراطورية بسبب مبيعاته العظيمة للولايات المتحدة الأمريكية من القصدير والمطاط ، وقد أدرك البريطانيون حين عودتهم إلى الملايو بعد هزيمة اليابان أن الحركة الوطنية التى نشأت قبل الحرب قد اكتمل نموها بالعناصر الفتية بفعل الدعايتين اليابانية والشيوعية ، فعلا صوت الطبقة المتوسطة المثقفة المحدودة العدد مطالبة بتوحيد سياسى للوحدات السياسية المختلفة التى تخضع لسيطرة بريطانيا فى مستعمرات التاج والولايات التى يضمها اتحاد ، أو التى لم تنضم إلى اتحاد بعد .

وبعد مفاوضات طويلة أنشأ البريطانيون فى أول أبريل سنة ١٩٤٦ وحدة الملايو وهى مؤلفة من جميع ولايات الملايو ومستعمراته عدا سنغافورة .

اتحاد الملايو :

لم تُرض وحدة الملايو كثيرا من الوطنيين ، وعارضها كذلك السلاطين ، وكان أقوى اعتراض عليها هو منح الهنود والصينيين المقيمين فى الملايو الذين يفوقون أهل الملايو عددا حقوق المواطنين ، و بسبب هذا الانتقاد أطلق على الوحدة « اتحاد الملايو » مع استثناء سنغافورة منه ، وتتكون الحكومة الجديدة من مندوب سام بريطانى ، ومجلسين أحدهما تنفيذى والآخر تشريعى ، ومؤتمر السلاطين . ويمارس السلاطين السلطة التنفيذية فى كل الولايات ، عدا المستعمرات التى بها مجالس (*) .

التطور الداخلى :

قبل أن يتم تنظيم الاتحاد الجديد نشبت فى البلاد ثورة شيوعية ، ويظهر أن الثوار كانوا يهدفون من إحراج مركز الحكومة إلى تعطيل إنتاج القصدير والمطاط ، ولكن فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ اتخذ الحاكم العام البريطانى إجراءات حازمة فاعتبر الحزب الشيوعى خارجا على القانون هو ومنظماته المختلفة ، وزاد من قوات الدفاع فى الملايو . وقد أيدت البريطانيين غالبية السكان وإن بقيت بعض معارك متفرقة خلال العام التالى بين البريطانيين والوطنيين .

وتواجه بلاد الملايو مشكلة عنصرية معقدة بجانب الإرهاب الشيوعى ، إذ أن العنصر الأصلى من أهل الملايو الذين يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق فى حكم البلاد ليسوا إلا أقلية .

وقد بدأ اقتصاد الملايو الذى يعتمد إلى حد كبير على المطاط والقصدير والأناناس يزدهر ازدهارا سريعا رغم أن عامين من الحرب الأهلية فى البلاد كانت نتائجها أربعة آلاف من الأهالى بين قتيل وجريح ومفقود .

تعقيب المترجم

(*) أعلن استقلال بلاد الملايو فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ وأصبحت عضوا فى الكومنولث البريطانى ، وضمت إلى عضوية الأمم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ .

تايلاند « سيام »

معاهدات ما بعد الحرب :

خرجت سيام « تايلاند » من الحرب العالمية الثانية لتجد نفسها فى مأزق حرج ؛ فقد استسلمت لليابانيين بعد مقاومة صورية فقط ، ثم أعلنت الحرب على الحلفاء ، ومع ذلك فقد تعاون فى أثناء الحرب كثير من الموظفين والمواطنين السياميين مع الحلفاء سرا ، و بعد هزيمة اليابان ادعى السياميون أن إعلان حكومتهم للحرب لم يكن قانونيا ، وأعلنت الولايات المتحدة فى أغسطس سنة ١٩٤٥ أن سيام لن تعامل كعدو مهزوم ، ولكن الفرنسيين والبريطانيين لم يكونوا على استعداد لنسيان الماضى خاصة أن سيام قد ضمت إليها أجزاء من الملايو البريطانى والهند الصينية الفرنسية بموافقة اليابانيين .

وقد أعادت سيام الأراضى التى اقتطعتها من الملايو بمقتضى معاهدة عقدت بينها و بين بريطانيا والهند فى يناير سنة ١٩٤٦ ، كما وافقت على عدم إنشاء قناة فى جنوبها . أما علاقاتها بفرنسا فقد تعقدت بسبب ثورة فيتنام فى الهند الصينية الفرنسية ، فلجأت سيام إلى الأمم المتحدة بعد أن وقعت عدة مصادمات على الحدود ، ولكنها سوت النزاع بينها و بين فرنسا بعد ذلك بمفاوضات مباشرة . وفى النهاية أعادت سيام إلى فرنسا الأراضى التى كانت حكومة فيشى قد تنازلت عنها أثناء الحرب ، وفى مقابل ذلك سحبت فرنسا اعتراضها على ضم سيام لعضوية الأمم المتحدة .

الاغتيال والثورة :

أعادت سيام تنظيم حكومتها بعد الحرب ، ومع أن الدستور السيامى الذى صدر سنة ١٩٣٢ نص على إقامة نظام الملكية المقيدة فإن البلاد وقعت بعد ذلك تحت حكم حزب سياسى واحد يرأسه لوانج برادت . وفى سنة ١٩٤٦ وضع دستور جديد ينص على إنشاء برلمان مكون من مجلسين منتخبين ووزارة أكثر مسئولية . وفى يونيو

سنة ١٩٤٦ قتل الملك بطريقة خفية وتولى الملك بعده أخوه البالغ من العمر تسعة عشر عاما ، ولكنه ظل يواصل دراسته فى سويسرة ، وبعد توليته بيومين سقطت الحكومة على أثر انقلاب عسكرى تحت زعامة المارشال پيبول سونجرام الذى أقام دكتاتورية عسكرية دون أن يحدث أى تغيير فعلى فى شكل الحكومة ، ولم يتمكن المارشال سونجرام من أن يتولى رياسة الوزارة بنفسه إلا فى أبريل سنة ١٩٤٨ . ويظهر أن المارشال كان مركزه وطيدا فى سيطرته على المملكة برغم قيام عدة محاولات لإبعاده عن الحكم ، كما أن عودة الملك الشاب فوميپون أدونيت إلى سيام لحضور حفلات تتويجه الذى تم فى ٥ مايو سنة ١٩٥٠ لم تضعف قبضة المارشال على حكومة البلاد .

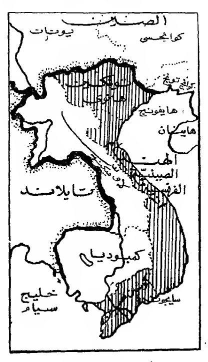
النهضة الاقتصادية :

لم يكن أمام سيام فى أثناء الحرب وفى أعقابها مباشرة من الأسواق المفتوحة لتصدير محصولها الرئيسى من الأرز إلا القليل ، ولكن مشتريات الأمريكان من الأرز السيامى بعد ذلك لإغاثة اليابان والفلبين وكوريا ، وكذلك مشترياتها من القصدير والمطاط لأغراض الخزن أحدثت من الرخاء ما حدا بالشعب السيامى إلى تجاهل الأحداث السياسية داخل بلاده وخارجها إلى حد كبير ، ومع ذلك فإن حكومة سيام قد استجابت للأزمة الكورية وقدمت المتطوعين إلى قوات الأمم المتحدة فى هذه البلاد .

الهند الصينية الفرنسية

ثورة فيتنام :

ظلت الهند الصينية الفرنسية التى احتلها اليابانيون قبل حادثة پيرل هاربور ميدانا للصراع بعد يوم النصر على اليابان . وقد تنازل باوداى إمبراطور أنام عن عرشه لصالح جمهورية ڤيتنام التى أعلنت استقلالها فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ تحت زعامة « هوشى منه » الشيوعى ، فاحتلت القوات البريطانية والصينية الإقليم مبدئيا حتى تستطيع القوات الفرنسية أن تحل محلها . ولم يرحل الصينيون عن البلاد إلا فى عام ١٩٤٦ بعد كثير من المصادمات و إلحاح قوى من فرنسا على شيانج كاى شيك .



الهند الصينية الفرنسية :
المنطقة المظللة هى فيتنام التى يرأسها باوداى إمبراطور أنام السابق

حكومات من أذناب فرنسا :

طرد الفرنسيون قوات ڤيتنام من كمبوديا ، وفى يناير سنة ١٩٤٦ أقامت فرنسا ملكية شبه مستقلة فى كمبوديا ، وفى مارس التالى اعترفت فرنسا بالأمر الواقع فى جمهورية ڤيتنام باعتبارها جزءا من اتحاد الهند الصينية داخل نطاق الاتحاد الفرنسى ، أما كوشين صين فقد أصبحت جمهورية مستقلة ضمن اتحاد الهند الصينية بعد إجراء استفتاء ، ولكن زعيمها الأنامى عجل بالانتحار تكفيرا عن خطاياه بسبب تعاونه مع الفرنسيين ، وأصبحت لاوس حكومة ملكية من أذناب فرنسا بعد ذلك بوقت قصير .

إعادة باوداى إلى عرشه :

فشلت كل محاولة للوصول إلى اتفاق دائم بين فرنسا وجمهورية ڤيتنام ، وكان القتال بينهما متواصلا تتخلله فترات من الهدنة ، وكانت فرنسا مصممة من حيث المبدأ على الاحتفاظ بالوضع الاستعمارى فى الهند الصينية ، بينما ينشد زعماء ڤيتنام اليساريون استقلال بلادهم . ولما يئست فرنسا من الوصول إلى اتفاق أعادت باوداى إلى عرش « أنام » فى يونيو سنة ١٩٤٩ وأيدته بما يزيد على مائة ألف جندى . وقد حظى الإمبراطور المعاد إلى ملكه بتأييد العناصر المعتدلة من الأناميين الذين كانوا يخشون الاتجاهات الشيوعية لدى الزعماء الجمهوريين . وعزز انتصار الشيوعيين فى الصين مركز باوداى فى داخل بلاده وفى الخارج .

مواصلة الحرب الأهلية :

فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ منحت فرنسا حكومة ڤيتنام الموالية لها سلطة إدارة جميع شئونها ماعدا العلاقات الخارجية والدفاع ، وتعهدت بمنحها حرية كاملة فى نطاق الاتحاد الفرنسى بعد هزيمة الشيوعيين ، ورغم ذلك كان الثوار فى أوائل سنة ١٩٥٠ لا يزالون يسيطرون على مايعادل نصف سكان ڤيتنام ، أما باوداى فكان يبسط نفوذه على أغنى المناطق المنتجة للأرز .

ومنذ فبراير سنة ١٩٥٠ ظهرت أدلة كثيرة على أن قوات ڤيتنام التى يقودها هوشى منه كانت تتلقى مساعدات محلية من الصينيين الشيوعيين ، إذ درب عدد كبير من جنود « ڤيت منه » وزودوا بالعتاد الحربى فى مقاطعتى يونان وكوانج تونج الصينيتين . ولما بدأت الصين تتدخل فى الحرب الكورية شرعت قوات ڤيت منه المدربة تدريبا حديثا تشن حربا هجومية فى شمال ڤيتنام أدت إلى حد كبير لمنع الاتصال بين الفرنسيين والحدود الصينية . وكان المتوقع أن تساعد المعونة العسكرية التى وعدت الولايات المتحدة بتقديمها لفرنسا وقدرها ٢٫٤ بليون من الدولارات على تعزيز مقاومة ڤيتنام ، غير أن الموقف تعقد فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ عندما طالب «تران ڤون هو» رئيس وزراء ڤيتنام بأن تمنح فرنسا بلاده استقلالا تاما . ونظراً للصراع القائم فقد كان من الصعب على فرنسا أن تذعن لمطالبه ، وبدأ الفرنسيون يردون قوات ڤيت منه على أعقابها بعد تعيين الجنرال « دى لاتر » قائدا عاما ومندوبا ساميا فضلا عن وصول معونة أمريكية ضخمة ، وقد أدت هزائم الصينيين فى كوريا إلى الإقلال من المعونة التى تقدمها الصين إلى هوشى منه فاضطر إلى تسريح جيوشه الكبرى والعودة إلى أساليب حرب العصابات(*) .

تعقيب المترجم

(*) أخذ هوشى منه يعبئ الشعور الوطنى ضد الاستعمار الفرنسى فى كل شبر من أراضى فيتنام ، وتشعب الجهاز الذى أعده لتحقيق هذا الهدف حتى استطاع جباية الضرائب من سايجون قلعة الاستعمار الفرنسى .

وفى سنة ١٩٥١ أفلح هوشى منه فى تدعيم الجبهة الوطنية بإدماج الجبهتين « فيت منه ، ولين فيت » فى جبهة شعبية واحدة ثم أنشأ حزب العمل « لاو — دونج » فأرادت أمريكا أن تتسلل إلى فيتنام لتضع يدها على مواردها الهائلة من المواد الخام فأخذ الأميرال الأمريكى رادفورد يغرى الفرنسيين بمحاولة الوصول إلى مؤخرة مركز قوات هوشى منه فى الشمال عبر مطار « دين — بيان — فو » وهناك لقى الفرنسيون حتفهم يوم ٧ مايو سنة ١٩٥٤ ، وهذه أول مرة فى تاريخ الحروب يهزم جيش نظامى حديث =

بورما

الاستقلال فى ظل الاحتلال اليابانى :

فى سنة ١٩٤٣ أعلنت حكومة بورما التى تستند إلى تأييد اليابان استقلال بورما ، فى أثناء الاحتلال اليابانى للبلاد ، ولكن سرعان ما تبددت أوهام الشعب بسبب سيطرة اليابانيين ، و بدأ جيش بورما قبل هزيمة اليابان يتعاون سرا مع قوات الحلفاء .

الكتاب الأبيض البريطانى :

فى مايو سنة ١٩٤٥ وافق البريطانيون فى كتابهم الأبيض على مشروع يهدف إلى إعادة تنظيم حكومة بورما على ثلاث مراحل : تبدأ الأولى بتعيين حاكم للبلاد يحكمها حكما مباشرا ، و يساعده مجلس معين وهيئة تشريعية ، والمرحلة الثانية هى العودة إلى الوضع الذى كانت عليه حكومة البلاد طبقا « لقانون بورما الصادر فى سنة ١٩٣٥ » أما المرحلة الثالثة فهى الحكم الذاتى الكامل فى نطاق الكومونولث البريطانى .

الخلاف الذى أثاره مشروع إعادة التنظيم :

كانت طبقة الملاك بوجه عام تحبذ إقامة حكومة قوية حتى يتم إنعاش اقتصاد بورما ، بينما فضل الزعماء السياسيون استقلالا عاجلا ولو على حساب النهضة الاقتصادية ، كما أن «جماعة الحرية الشعبية » المناهضة للفاشية — وهى التى كونها أنصار الاستقلال لمقاومة اليابانيين أثناء الحرب — طالبت بأن تمثل تمثيلا قويا فى الحكومة الجديدة ، ولكن المناقشات التى أجريت بين الحكومة والجماعة فشلت فى الوصول

= كامل العدة والعتاد أمام قوات شعبية من المتطوعين ، ويستسلم خمسة عشر ألف جندى بأسلحتهم الثقيلة . وفى يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٥٤ وقع الطرفان اتفاقية وقف القتال فى جنيف .

وهكذا كانت « دين — بيان — فو » أكبر مقبرة للاستعمار الفرنسى فى العصر الحديث .

إلى اتفاق ، وأخيرا أعلنت حكومة العمال البريطانية فى يناير سنة ١٩٤٧ أنها تنوى منح بورما استقلالها قريبا داخل نطاق الكومونولث أو خارجه .

جمهورية بورما :

فى الانتخابات التى تلت ، كونت « جماعة الحرية الشعبية » المناهضة للفاشية والتى يتزعمها « شاكين نو » حزب الأغلبية ، فقامت بوضع الدستور الجديد ، واستمرت الاستعدادات لنقل السلطة رغم تعدد الاغتيالات السياسية ، ولكن بقيت هناك صعوبة أخرى وهى ضم قبائل شان وكارين الجبلية البدائية إلى الوحدة الجديدة ، فقد كانت قبيلة شان تفضل الحكم البريطانى ، أما قبيلة كارين المسيحية فقد كانت تخشى الاضطهاد . وفى أغسطس سنة ١٩٤٧ تم وضع مشروع دستور يسمح بمنح الحكم الذاتى لقبائل شان وكارين ، ويعتبر بورما دولة مستقلة استقلالا كاملا خارج نطاق الكومونولث البريطانى ، وهذه أول دولة مستقلة تنشأ فى بورما منذ عام ١٧٧٦ . وفى ٤ يناير سنة ١٩٤٩ افتتح اتحاد بورما الجديد رسميا وأصبح شاكين نو أول رئيس للوزراء .

المشكلات والصراع الداخلى :

أخذت الحكومة الجديدة على عاتقها القيام ببرنامج إصلاح اشتراكى يهدف إلى تأميم الموارد الطبيعية والصناعات الكبرى ، وطردت « جماعة الحرية الشعبية » الشيوعيين سنة ١٩٤٦ مع أن تنظيمها الأساسى كان بتوجيه شيوعى ، وأعلن أوتنتوت وزير الخارجية فى يونيو سنة ١٩٤٨ أن بلاده لم تعتنق المذهب الشيوعى رغبة فى تهدئة مخاوف الأجانب ، ولكن نشبت ثورتان شيوعيتان فى البلاد قبل اغتيال أوتنتوت ، وبعد مضى ثلاثة أشهر من هذا الإعلان ، ردت قبيلة كارين على ثورة الشيوعيين بثورة مناهضة للشيوعية استولت أثناءها على مساحات واسعة كى تجعلها فى مأمن من الحمر .

ولما كانت بورما دولة مستقلة فإن العون الوحيد الذى يمكن أن تتوقعه من الخارج هو الذخيرة والعتاد والمعونة الفنية . ولم يحل شهر فبراير سنة ١٩٤٩ حتى كانت الحرب الأهلية قد قضت على ثلاثين ألف نفس ، ورفضت قبيلة كارين عروضا للحكم الذاتى ، وكونت اتحادا قوميا خاصا بها فى شهر يونيو رغم أن شاكين نوكان قد أعلن فى نفس الوقت أن الأزمة قد انتهت .

ويضاف إلى الاضطرابات التى أثارتها قبيلة كارين أن الكثيرين من رجال قبيلة كاشين واصلوا حرب العصابات وساندتهم المنظمات الشيوعية المتنافسة من أتباع ستالين وتروتسكى . وقد كان لهذا الصراع المستمر تأثير خطير على إنعاش اقتصاديات الأرز فى بورما .

مطبوعات مكتبة مصر

فى مشروع الألف كتاب

حضارة الإسلام	تأليف جوستاف جرونيباوم
العلوم عند العرب	« الأستاذ قدرى طوقان
تاريخ الموسيقى العربية	« هـ . ج . فارمر
الرادار فى السلم	« دكتور إسماعيل هزاع ، دكتور رزق نخله سدرة
استخفاء الحيوان	« ا . م . استفنسن ، شارل استيوارت
الذرة فى خدمة السلام	المجمع المصرى للثقافة العلمية
الإنسان والميكروب والمرض	تأليف جون درو
مختارات من المسرحيات القصيرة	هدى حبيشة ، ناديه أبو المجد ، بهاء فهمى
روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى	تأليف جوستاف لوفيفر
الوراثة والسلالة والمجتمع	« ل.س.دن ، ت.دوبزهانسكى
دنيا المصالح	« خسنتو بنفنتى
فجر الضمير	« جيمس هنرى برستد
أشهر الأوبرات	« هنرى . و . سيمون ، إبراهام فينوس
دراسات فى جغرافية مصر	« دكتور محمد صفى الدين، دكتور جمال الدين الدناصورى، والأستاذ محمد صبحى عبد الحكيم، والأستاذ أبو بكر على عبد العاطى
مغامرات هاكلبرى فن	ترجمة الأستاذ ماهر نسيم
المختار من الشعر الحديث	بإشراف الأستاذ على الجندى
عجائب السكيمياء	ترجمة الدكتور أحمد رياض
ديوان الشرنوبى	بإشراف الأستاذ على أحمد باكثير


دار مصر للطباعة
شارع كامل صدقي الفجالة